

الفنية
إدارة الشؤون الفنية
قطاع المساجد



وزارة الشؤون الإسلامية
Ministry of Islamic Affairs
State of Kuwait | دولة الكويت

دروس المساجد

الجزء الأول

إعداد
لجنة دروس الإمام

الإسلام لإدارة الشؤون الفنية
١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م



دروس الامام

۱



حقوق الطبع محفوظة

لوزارة الشؤون الإسلامية الكويتية
قطاع المساجد - إدارة الشؤون الفنية

الطبعة الأولى للجزء الأول: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الثانية: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الطبعة الثالثة: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الطبعة الرابعة: ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

رقم الإيداع في إدارة التخطيط الاستراتيجي
في وزارة الشؤون الإسلامية
(٢٠١٩/١٩)

• الرؤية: الريادة عالمياً في العمل الإسلامي.

• الرسالة: ترسيخ قيم الوسطية، والأخلاق الإسلامية، ونشر الوعي الديني الثقافي، والعناية بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، ورعاية المساجد، وتعزيز الوحدة الوطنية من خلال تنمية الموارد البشرية والنظم المعلوماتية، وفقاً لأفضل الممارسات المالية.

• القيم: التميز، العمل المؤسسي، الشراكة، الوسطية، الشفافية والمسؤولية.

قطاع المساجد - إدارة الشؤون الفنية

للتواصل: بدالة 1810111 - داخلي 7370 - 7387

العنوان: الرقعي - شارع محمد بن القاسم - قطاع المساجد



www.awqaf.gov.kw



وزارة الشؤون الإسلامية
Ministry of Islamic Affairs
State of Kuwait | دولة الكويت

دروس الإمام

الجزء الأول

إعداد
لجنة دروس الإمام

إدارة الشؤون الفنية

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م



تصدير إدارة الشؤون الفنية

الحمد لله الذي امتنَّ على الناس بإرسال الرسل، كي يخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأنزل معهم الشرائع، تُبَصِّرُ وتهدي كلَّ تائه ضائع، ثم ختمها بسيد الرسل نبينا محمد ﷺ، فأتَمَّ به النعمة وأكمل الدين؛ وكان من تمام حكمته وفيوض رحمته سبحانه أن تعهّد بحفظ هذا الدين، فجعل له من كلِّ خَلَفٍ حَمَلَةً عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ وأخذ عليهم بذلك العهد، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتُموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سُئِلَ عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من ناره» [الحاكم في المستدرک (٣١٥) وقال: هذا الإسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، والترمذي (٢٥٧) وأحمد (٧٥٦١) وابن ماجه (٢٦٠)].

ففي هذا الحديث الذي أورده الحافظ رَحِمَهُ اللهُ وعيد شديد، إذ شبه كاتم العلم بالبهائم، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: (شُبِّهَ مَا يُوَضَّعُ فِيهِ مِنَ النَّارِ بِلِجَامٍ فِي فَمِ الدَّابَّةِ، وذلك مُكَافَأَةً لَهُ حَيْثُ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِالسُّكُوتِ، وَشُبِّهَ بِالْحَيَوَانِ الَّذِي سُخِّرَ وَمُنِعَ مِنْ قَصْدِهِ مَا يُرِيدُهُ، فَإِنَّ الْعَالَمَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى الْحَقِّ).

وهذا الوعيد الشديد على كتم العلم يدل بمضمونه على عظم مسؤولية صاحب العلم وقدر الأمانة الملقاة على عاتقه.

ومن جهة أخرى فقد تضافرت النصوص بالوعد بحسن الجزاء على القيام بهذه الأمانة على وجهها؛ ويكفي من تصدر لهذا الأمر أن النبي ﷺ دعا له بنضارة الوجه، كما في الحديث عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا» [رواه أبو داود (٣٦٦٢)، والترمذي (٢٦٥٦)، وغيرهما].

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» [البخاري (٣٢٠٢)]. فقولوه: «بلغوا» تكليف، وقوله: «عني» تشريف.

ومن وجوه بيان جزيل الأجر لمبلغ العلم، ما ذكره العلامة ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: (فكل من هدى واهتدى بتبليغه فله أجره لأنه هو الداعي إليه، ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه لكفى به فضلاً).

ولما كان إمام المسجد نائباً عن النبي ﷺ في أعظم الولايات الدينية وأشرفها، فإن من أول ما يتعين عليه: القيام بوظيفة المرسلين في تعريفهم بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، ومراضيه ومساخطه، وثوابه وعقابه.

وحريّ بأئمة المساجد إذ أقيموا هذا المقام، أن يسلكوا مسلك النبي ﷺ في دعوته، فقد كان يتمثل في ذلك قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي يدعو إلى الإسلام كله، وإلى وجوه الخير والبر جميعها، فلا يكون شيء على حساب آخر، فيُعَرِّض بذلك على الناس الدين كله بشموله وكماله.

وانطلاقاً من هذا فقد ارتأى مكتب الشؤون الفنية ضمن رؤيته الشاملة في دعم شاغلي الوظائف الدينية أن يقدم هذا الكتاب، وهو مجموعة دروس رُوعي فيها الشمول والتنوع، وقد تمت كتابتها تحت ستة مجالات رئيسية (العقيدة الإسلامية،

والفقه والعبادات، والأخلاق، والرقائق، والفكر، والسير والتراجم). وكل مجال من هذه المجالات الستة يحوي أكثر من خمسة عشر عنواناً؛ وقد حَرَصْنَا مع الاختصار في مادة الدرس على إبراز أهم المحاور التي ينبغي طرحها، كما أن فيها مجالاً للتوسع لمن سمت همته بما يتناسب مع جمهوره. وإننا نهدف من هذا أن نكون عوناً لإمام المسجد في مهمته العظيمة، ليكون المؤدّي في النهاية نصيح الأمة، والسير بها على هدًى وبصيرة، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقد شارك في إعداد هذه الدروس جلة من الباحثين الشرعيين التالية أسماؤهم:

د. علي إبراهيم الراشد.	د. محمد محمدي النورستاني.
الشيخ عبد الله مطير الرشيد.	د. سيد حبيب خان.
د. سامي محمد صبح.	د. طاهر الأزهر الخديري.
الشيخ خالد قزاز الجاسم.	الشيخ سليم محمد الرفاعي.
الشيخ محمد محمود جلال.	الشيخ محمود محمد الكبش.
الشيخ يوسف أحمد قويدر.	الشيخ ياسر المقداد.

مكتب الشؤون الفنية

وقد قام بمراجعة هذا الجزء في طبعته الرابعة: الشيخ ياسر إبراهيم نجار، الباحث الشرعي في إدارة الشؤون الفنية، والإمام والخطيب بوزارة الشؤون الإسلامية.

الأبواب

- الباب الأول: العقيدة الإسلامية.
- الباب الثاني: الفقه والعبادات.
- الباب الثالث: الأخلاق.
- الباب الرابع: الرقائق.
- الباب الخامس: الفكر.
- الباب السادس: السَّير والتراجيم.

الباب الأول

العقيدة الإسلامية

- الدرس الأول: الإيمان بالله تعالى (١ - ٢).
- الدرس الثاني: الإيمان بالملائكة الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَام.
- الدرس الثالث: الإيمان بالكتب.
- الدرس الرابع: الإيمان بالرسول عَلَيْهِمُ السَّلَام.
- الدرس الخامس: الإيمان باليوم الآخر.
- الدرس السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.
- الدرس السابع: معنى الشهادتين وشروطهما.
- الدرس الثامن: أركان العبادات القلبية.
- الدرس التاسع: فضائل التوحيد.
- الدرس العاشر: خطر الشرك.
- الدرس الحادي عشر: محبة الله تعالى.
- الدرس الثاني عشر: محبة النبي ﷺ.
- الدرس الثالث عشر: من حقوق النبي ﷺ.
- الدرس الرابع عشر: محبة أهل البيت والأصحاب.
- الدرس الخامس عشر: مخالفات عقدية قولية.
- الدرس السادس عشر: مخالفات عقدية فعلية.
- الدرس السابع عشر: السحر.
- الدرس الثامن عشر: التنجيم.

الدَّرس الأول

الإيمان بالله تعالى (١)

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

الإيمان بالله تعالى أساس قواعده وأركان الإيمان وأصلها، وهو أول أركان الإيمان، كما في حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال له: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» [أخرجه مسلم، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

ولا يتحقق الإيمان بالله إلا بتحقيق أنواع التوحيد الثلاثة؛ وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية.

أولاً: توحيد الربوبية:

وهو الإقرار الجازم بأن الله تعالى وحده ربُّ كل شيء ومليكه، وأنه الخالق للعالم، وهو المدبر، المحيي المميت، وهو الرزاق، ذو القوة المتين. وأدلة الإيمان بالربوبية كثيرة ومتنوعة، منها:

١ - دلالة الفطرة:

إذ إن الله سبحانه فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق الرزاق المدبر، المحيي المميت، فالإيمان بالربوبية أمرٌ جلي مركوزٌ في فطرة كل

إنسان، ولا يستطيع أحدٌ دفعه ولا رفعه، ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بربوبية الله تعالى في الجملة، مع شركهم بالألوهية، وهذا مبثوثٌ في ثنايا أشعارهم، كما أن الله سبحانه بيّن ذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وهذا في القرآن كثير.

٢ - دلالة الأنفس:

فالنفسُ آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسانُ النظرَ في نفسه وما فيها من العجائب: لَعَلِمَ أن وراء ذلك ربًّا حكيمًا عليمًا خالقًا قديرًا، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) [الشمس]، وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) [الذاريات].

٣ - دلالة الآفاق:

قال تعالى: ﴿سَرُّيَهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) [فصلت]، فلو تأمل الإنسانُ الآفاقَ وما أودع الله تعالى فيها من الغرائب والعجائب: لأدرك أن هناك خالقًا ومدبرًا لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم.

ولم ينكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا شواذٌ من البشر، تظاهروا بإنكار الربِّ تبارك وتعالى، مع اعترافهم به في باطن أنفسهم وقرارة قلوبهم، وإنكارهم له إنما هو من باب المكابرة؛ كما ذكر الله تعالى عن فرعون أنه قال:

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الفصص: ٣٨]، وقد خاطبه موسى ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعَوْتُ مَشْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وهم لم يستندوا في جحودهم إلى حجة، وإنما ذلك مكابرة منهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ فهم لم ينكروا عن علم دلهم على إنكاره ولا سمع ولا عقل ولا فطرة.

والإقرار بهذا التوحيد لا يُدْخِلُ المرءَ في الإسلام حتى يؤمن بتوحيد الألوهية.

ثانيًا: توحيد الأسماء والصفات:

وهو إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من صفات الكمال، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص، مع إثبات كمال ضدها له سبحانه وتعالى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وطريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته يمكن تلخيصها في ثلاثة أمور رئيسة، وهي:
الأول: طريقتهم في الإثبات:

إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من

غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فيؤمنون بأن جميع ما ثبت في النصوص الشرعية من صفات الله تعالى: هي صفاتٌ حقيقيةٌ تليقُ بجلال الله تعالى، وأنها لا تماثل صفات المخلوقين.

الأمر الثاني: طريقَتُهُم في النفي:

نفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من صفات النقص، مع اعتقادهم ثبوت كمال ضد الصفة المنفية عن الله جلّ وعلا. وكل ما نفاه الله تعالى عن نفسه فهي صفات نقص، تنافي كماله الواجب، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله.

وما نفاه الله تعالى عن نفسه: فالمرادُ به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها، وذلك أن النفي لا يدل على الكمال إلا إذا كان متضمنًا لصفة ثبوتية يُحمد عليها؛ فإن مجرد النفي قد يكون سببهُ العجزَ فيكون نقصًا، كما في قول الشاعر:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدُرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

وقد يكون سببهُ عدم القابلية فلا يقتضي مدحًا، كما لو قلت: الجدارُ لا يظلم.

إذا تبين هذا: فمما نفى الله تعالى عن نفسه (الظلم)، والمرادُ به انتفاء الظلم عن الله تعالى مع ثبوت كمال ضده له تعالى، وهو (العدل)، ونفى عن نفسه (اللُّغوب)، وهو التعبُّ والإعياء، والمراد: نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده له تعالى، وهو (القوة)، وهكذا بقية ما نفاه الله تعالى عن نفسه.



الأمر الثالث: طريقتهُم فيما لم يرد نفيهُ ولا إثباتهُ في الكتاب والسنة:
طريقتهُم فيما هذا سبيلهُ مما تنازع الناس فيه، كالجسم، والحيز، والجهة،
ونحو ذلك: التوقف في اللفظ، والاستفصال في المعنى.
فأما اللفظ: فيتوقفون فيه فلا يُثبتونه لِعَدَمِ وُجُودِهِ، ولا ينفونه؛ لأنه قولٌ
على الله بغير علم.
وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطلٌ يُنزه الله تعالى عنه: ردُّوه،
وإن أريد به حقٌّ لا يمتنع على الله تعالى: قبلوه.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

تتمة الدرس الأول

الإيمان بالله تعالى (٢)

ثالثاً: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، ويسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق: توحيد العبادة، وتوحيد العبودية، وتوحيد الله بأفعال العباد، وتوحيد العمل، وتوحيد القصد، وتوحيد الإرادة والطلب، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات بإرادة وجه الله تعالى.

وهذا التوحيد هو توحيد المرسلين، وهو يتضمن توحيد الربوبية، كما أن توحيد الربوبية يستلزمه، وهذه هي العلاقة بين نوعي التوحيد.

ولأجل هذا التوحيد خلق الله الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهو أول دعوة الرسل وآخرها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهو أول الدين وآخره، فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» [أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢)]، وقال ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» [أخرجه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩)].

وكما أنه أول ما دعا إليه النبي ﷺ: فقد ذكر فضل ختم العمل به، فقال ﷺ - فيما رواه عثمان رضي الله عنه - : «مَن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» [أخرجه مسلم (٩١٧)]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» [أخرجه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد ٥/ ٢٣٣، والحاكم ١/ ٣٥١، والحديث صحيح، ولفظ أحمد: «وجبت له الجنة»]... وهي الكلمة التي عرضها على عمه أبي طالب عند الموت.

وهذا التوحيد هو مضمون كلمة «لا إله إلا الله»، ومعناها إجمالاً: لا معبود بحق إلا الله تعالى، أي: لا أحد يستحق أن يُعبدَ إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يُدعى إلا الله تعالى، ولا يجوز أن يصلى أو يُنذر أو يُذبح له إلا الله تعالى، وهكذا بقية أنواع العبادة، لا يستحقُّ أحدٌ أن تُصرف له سوى الله تعالى.

وهذه الكلمة العظيمة تشتمل على ركنين أساسيين:

الأول: النفي، وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، ويدل عليه كلمة «لا إله»، فهي تنفي أن يكون غير الله تعالى مستحقاً للعبادة.

الركن الثاني: الإثبات، وهو إثبات الإلهية الله تعالى، ويدل عليه كلمة «إلا الله»، فهي حقاً: كلمة التوحيد، والعروة الوثقى، وكلمة التقوى.

ولا بدّ من العلم أنّ هذه الكلمة لا تنفع صاحبها إلا إذا توافرت جميع شروطها، وانتفت مبطلاتها، ومن أجل عدم تحقّق بعض هذه الشروط لم تنفع هذه الكلمة جميع المنافقين الذين نطقوا بها وفعل كثيرٌ منهم بعض شعائر الإسلام الظاهرة.

وشروطها سبعة، وهي: العلم، واليقين، والقبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للترك، والصدق، والإخلاص، والمحبة.

أما نواقضُ لا إله إلا الله - وتسمى نواقضُ الإيمان ونواقضُ التوحيد - وهي الخصال التي تحصل بها الردة عن دين الإسلام: فهي كثيرة، وهي تجتمعُ في ثلاثة نواقضَ رئيسة، وهي: الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الاعتقادي، وهي كلها تناقض أصل الإيمان.

وهناك وسائل إلى الشرك الأكبر، وهي وإن لم تكن تناقض أصل الإيمان إلا أنها من منقصاته، منها الرياء.

هذا بعضُ أهمِّ ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى، وهو أصلٌ لجميع أركان الإيمان الأخرى.

الفوائد:

- ١- الإيمان بالله تعالى أساسُ قواعد الإيمان كلّها؛ لأنَّ جميعها مبنيةٌ عليه.
- ٢- الإيمان بالله تعالى لا يتحقّق إلا بتحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة.
- ٣- توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يرجعان إلى العلم والمعرفة، كما أنّ توحيد الألوهية يرجع إلى العمل.

مراجع للاستزادة:

- ١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للدكتور صالح الفوزان.
- ٢- اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، للدكتور محمد يوسف الزبيدي.
- ٣- بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، للدكتور محمد محمدي النورستاني.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي

الإيمانُ بالملائكة الكرام ﷺ

الإيمان بالملائكة الكرام ركن من أركان الإيمان الستة، التي لا يصح إيمان المسلم إلا بها، قال الله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ؕ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ﴾ [البقرة].

وقال ﷺ عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» [رواه مسلم]، فالملائكة: (عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه).

أصل خلق الملائكة:

الملائكة الكرام خلقهم الله تعالى من النور، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».

عَظْمُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ:

الملائكة من المخلوقات العظيمة، التي لا يعلم قدر عظمتها إلا خالقها سبحانه، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًى أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم].

وقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية قد سد الأفق من عظم خلقه؛ ففي صحيح مسلم من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال عن جبريل عليه السلام: «رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، وأخرج أبو داود في سننه بإسناد صحيح من حديث جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ».

عدد الملائكة:

الملائكة الكرام عددهم كثير لا يحصيه إلا الله تعالى، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ (٣١) [المدرثر]، وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ سأل جبريل عن البيت المعمور، فقال: «هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ».

أعمال الملائكة:

إن للملائكة أعمالاً كلفوا بها، فمنهم جبريل الموكل بالوحي، ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله، ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات، ومنهم إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور، ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت، ومنهم ملك الجبال، ومنهم مالك خازن النار.

ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام، وآخرون موكلون بحفظ بني آدم، وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم، لكل شخص ملكان: ﴿إِذْ نَفَخْنَا فِي السَّمَاءِ الْمَلَائِكَةَ﴾ (١٧) مَّا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق].

وآخرون موكلون بسؤال الميت في قبره، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه،

ودينه، ونبيه، فحيثُ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [إبراهيم].

ومنهم الملائكة الموكلون بأهل الجنة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد].

ثمرات الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة، منها:

- ١ - العلم بعظمة الله تعالى، وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق دليل عظمة الخالق.
- ٢ - شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، إذ وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.
- ٣ - محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

الفوائد:

- ١ - الإيمان بالملائكة الكرام ركن من أركان الإيمان.
- ٢ - يجب علينا أن نحب الملائكة.

مراجع للاستزادة:

- ١ - بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، د. محمد النورستاني.
- ٢ - فتاوى الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ (قسم العقيدة).
- ٣ - عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر.

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب الإلهية أحد أصول الإيمان، وهو الثالث من أركان الإيمان. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَلَكِنَّا الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَلَكِنَّا الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء].

والإيمان بالكتب معناه: التصديق الجازم والإقرار بأنها حق وصدق، وأنها كلام الله عز وجل، فيها الهدى والنور، والكفاية لمن أنزلت عليه.

والإيمان بالكتب يتضمن أموراً، منها:

١- الإيمان بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً فيها أمره ونهيّه، ووعدّه ووعدّه. ويجب الإيمان بما علّمنا اسمه منها كالقرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ، وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وأما ما لم نعلم اسمه منها فنؤمن به إجمالاً.

٢- العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به؛ سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ [المائدة]،
فقوله: ﴿وَمُهِمَّنَا عَلَيْهِ﴾ أي حاكمًا عليه. وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

ثمرات الإيمان بالكتب:

- ١ - العلم بعناية الله تعالى بعباده إذ أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.
- ٢ - العلم بحكمة الله تعالى في شرعه إذ شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].
- ٣ - شكر نعمة الله في ذلك.

حفظ القرآن الكريم دون الكتب السابقة:

من فضل الله تعالى على البشرية أن تكفل بحفظ القرآن الكريم، لأنه آخر الكتب، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

أما الكتب السابقة، فإنها مؤقتة بآمد ينتهي بنزول ما ينسخها، ويبيّن ما حصل فيها من تحريف وتغيير، ولهذا لم تكن معصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص؛ قال تعالى في تحريفهم لها: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى في بيان زيادتهم عليها: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ

ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾
 [البقرة]، وقال تعالى في النقصان: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا
 وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

وهذا التحريف مستمر حتى الآن؛ فتختلف طبعات التوراة والإنجيل سنة
 عن سنة! فسبحان الله!

الفوائد:

- ١- الإيمان بالكتب ركن من أركان الإيمان.
- ٢- حفظ الله تعالى للقرآن الكريم دون الكتب السابقة.

مراجع للاستزادة:

- ١- نبذة في العقيدة، للشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢- بريق الجمان، للدكتور محمد النورستاني.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرس الرابع

الإيمان بالرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

بيّن الله تعالى في هذه الآية أصنافاً من البر، وذكر منها الإيمان بالنبيين ﷺ، ومن الإيمان بالرسول صلوات الله وسلامه عليهم: الإيمان بأن الله اختصهم بوحيه ورسالته، وجعلهم وسائطاً بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته وأمره وشرعه.

صفات الرسول ﷺ:

جمع الله فيهم من صفات الكمال ما فاقوا به الأولين والآخرين، من الصدق العظيم، والأمانة التامة، والقوة العظيمة، والشجاعة، والعلم العظيم، والدعوة والتعليم، والإرشاد والهداية، والنصح التام، والشفقة والرحمة بالعباد، والحلم والصبر الواسع، واليقين الكامل؛ فهم أعلى الخلق علوماً وأخلاقاً، وأكملهم أعمالاً وآداباً، وأرفعهم عقولاً، وأصوبهم آراء، وأسماهم نفوساً، اختارهم الله واصطفاهم وفصلهم واجتباهم، بهم عرّف الله، وبهم وُحّد، وبهم عرّف الصراط المستقيم، وعلى آثارهم وصل أهل الجنة إلى كل نعيم.

حقوق الرسل ﷺ:

لهم على العباد الإيمان بهم، والاعتراف بكل ما جاؤوا به، ومحبتهم وتعزيّرهم وتوقيرهم واحترامهم، واقتفاء آثارهم والاهتداء بهديهم. [من كتاب فتح الرحيم الملك العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ].

وقال النبي ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» [رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ].
بيّن نبينا الكريم ﷺ في هذا الحديث أن أركان الإيمان ستة، منها الإيمان بالرسول ﷺ، فلا يصح إيمان العبد حتى يحقق الإيمان بالرسول.

(ومعنى الإيمان بالرسول: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يُعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدّقون، بأرّون راشدون، كرامٌ بررةٌ أتقياءُ أمناءٌ هداةٌ مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيّدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً، ولم يغيّروه، ولم يزيّدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، فهل على الرسول إلا البلاغ المبين.

وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً خليلاً، وكلم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً عليّاً، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض درجات.

وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين، وهو توحيد الله عز وجل بالهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته) [معارج القبول للشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللهُ].

الفوائد:

١- الإيمان بالرسول ﷺ من أركان الإيمان الستة.

٢- الرسول ﷺ بشرٌ أيدهم الله تعالى بوحيه.

٣- من حقوق الرسول محبتهم والدفاع عنهم.

مراجع للاستزادة:

١- الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر.

٢- بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، د. محمد النورستاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ

الإيمان باليوم الآخر

المراد باليوم الآخر:

المرادُ باليوم الآخر هنا هو يوم القيامة، ويدخل فيه كل ما كان مقدمة له، كالحياة البرزخية، وأشراط الساعة.

فمبتدؤه من الموت، وهو من مقدّمات اليوم الآخر، وهو القيامة الصغرى، ومنتهاه إلى آخر ما يَقَعُ يوم القيامة، أي: إلى ما لا نهاية له، وعليه فمدة البرزخ من يوم القيامة، وهذا هو المشهور عند العلماء.

والإيمانُ باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، فلا يصح إيمانُ العبد إلا به، كما في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلمٌ في أول صحيحه من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ: «الْإِيمَانُ: أَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَوْمَنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وقال تعالى: ﴿قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، والآيات في ذلك كثيرة جدًا.

كيف الإيمان باليوم الآخر؟

يكون الإيمان باليوم الآخر: بالإيمان بأنه كائنٌ لا محالة، والتصديق بكل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وبالبعث بعد ذلك، والحساب، والميزان، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله تعالى ورسوله به يوم القيامة.

أدلة الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر قد أخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيز، وأقام عليه أدلة كثيرة، وردَّ على المنكرين له في غالب سُورِ القرآن الكريم.

وقد تنوعت أدلة البعث في القرآن الكريم:

* فتارةً يُخبر الله تعالى عمن أماتهم ثم أحياهم في الدنيا، كما أخبر عن قوم موسى الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

وأخبر عن قوم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وعن إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ إلى آخر القصة [البقرة: ٢٦٠]، وكما أخبر عن المسيح عليه السلام أنه كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، وعن أصحاب الكهف أنهم بُعثوا بعد ثلاثمائة سنةٍ وتسع سنين.

* وتارةً يستدل الله تعالى على ذلك بالنشأة الأولى؛ فإن إعادة أهون من الابتداء، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥].

* وتارةً يستدل الله تعالى على ذلك بخلق السماوات والأرض؛ فإن خلقهما

أَعْظَمُ مِنْ إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٢] [الأحقاف].

* وتارةً يستدل الله سبحانه وتعالى على البعث بتنزيه نفسه المقدسة عن العبث، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١١٥] [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [٣٦] أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَلَّ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقْدِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ [القيامة]

فالناسُ في هذه الدنيا منهم المحسن، ومنهم المسيء، وقد يموتون ولم ينل أحدهم جزاء عمله، فلا بد من دار أخرى يقام فيها العدل بين الناس، وينال كل منهم جزاء عمله.

الإيمان بأشراط الساعة:

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأشراط الساعة، وهي علاماتها التي تدل على اقترابها ومجيئها.
وهي تنقسم قسمين:

- ١- أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد، كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى، أو بعدها.
- ٢- أشراط كبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

وقسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها ثلاثة أقسام: قسمٌ ظهر وانقضى، وقسمٌ ظهر ولا يزال يتتابع ويكثر، وقسم لم يظهر حتى الآن. فأما القسمان الأولان: فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث: فتشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

أما القسم الأول - وهو الذي ظهر وانقضى - : فمنه بعثة النبي ﷺ، وموته ﷺ، وفتح بيت المقدس. ومنها: قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، والحروب التي وقعت بين المسلمين بعد قتل عثمان رضى الله عنه.

وأما القسم الثاني: وهو الأمارات المتوسطة، وهي التي ظهرت ولم تنقُض، بل تزايد وتكثر: فهي كثيرة جداً، منها:

* قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر» [أخرجه الترمذي (٢١٨٦)، صحيح].

* وقوله ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شربُ الخمر، ويقلَّ الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأةً القيم الواحد» [متفق عليه].

* وقوله ﷺ للسائل عن الساعة: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال السائل: كيف إضاعتها؟ فقال ﷺ: «إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» [رواه البخاري (٥٩)، (٦٤٩٦)].

أما القسم الثالث من أمارات الساعة: فهي العلامات العظام، والأشراط الجسام، التي تعقبها الساعة، وأولها: ظهور المهدي، ثم خروج الدجال، ثم نزول المسيح عليه السلام.

وهذه العلامات جاء ذكرها في النصوص، ومنها: حديث حذيفة بن أسيد

الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات»، فذكر: الدُّخَانَ، والدَّجَالَ، والدَّابَّةَ، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزولَ عيسى ابن مريم، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم» [رواه مسلم (٢٩٠١)].

الفوائد:

- ١- الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، ويذكرُ غالبًا في القرآن الكريم مع الركن الأول، وهو الإيمان بالله تعالى، وذلك للترغيب والترهيب.
- ٢- الإيمان باليوم الآخر إيمانٌ بانتهاء هذه الحياة الدنيا، وابتداء حياة جديدة، وهي الدار الآخرة، بكل ما فيها من حقائق، وأمور مدهشة، وأحوال عجيبة، من بعث وحشر ونشر وحساب وعقاب، وجنة ونار، وسعادة وشقاء.
- ٣- أكثر القرآن من ذكر أدلة هذا الركن لاستبعاد المشركين أن يبعثوا بعد الموت.

مراجع للاستزادة:

- ١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للدكتور صالح الفوزان.
- ٢- اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، للدكتور محمد يوسف الزبيدي.
- ٣- بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، للدكتور محمد محمدي النورستاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ

الإيمان بالقضاء والقدر

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: (يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السماوات وما في الأرض، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه تعالى عليم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، كما ثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

إن الإيمان بالقضاء والقدر يعني: الإيمان بتقدير الله تعالى الأشياء في القَدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابتها سبحانه لها، ومشيئته لها، ووقوعها على حسب ما قَدَّرَهَا وَخَلَقَهَا.

والإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربعة أركان، مَنْ أَقَرَّ بِهَا جَمِيعًا فَإِنْ إِيْمَانُهُ يَكُونُ مُكْتَمَلًا، وَمَنْ جَحَدَ وَاحِدًا مِنْهَا أَوْ أَكْثَرَ فَقَدْ اخْتَلَّ إِيْمَانُهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ الْأَرْبَعَةُ هِيَ:

الركن الأول: الإيمان بعلم الله تعالى الشامل المحيط:

أي أن علم الله تعالى محيط بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل.

وهو عالم بالعباد وآجالهم، وأرزاقهم وأحوالهم، وحركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم وسعادتهم، وَمَنْ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، عالمٌ بكل ذلك قبل أن يخلقهم ويخلق السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق].

الركن الثاني: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل شيء:

ومن الأدلة المصرّحة بهذا الركن: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء» [أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ: الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ: مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ». [رواه الترمذي (٢٠٥٥)] وقال: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه. اهـ. والحديث صحيح من مجموع طرقه، والغرابه في الوجه الذي أورده الترمذي في باب القدر من سنته].

واللوْحُ المحفوظُ الذي كتب الله تعالى فيه مقادير الخلائق: سمّاه الله سبحانه بالكتاب، وبالكتاب المبين، وبأَم الكتاب، وبالكتاب المسطور، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ [٢١] فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج] ﴿٧٠﴾.

الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله تعالى الشاملة وقدرته النافذة:

وهذا الركن يقتضي الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات والأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

والنصوص المصرحة بهذا الأصل كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير، ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس، ٨٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام، ٣٩].

الركن الرابع: الإيمان بأن الله تعالى خلق كل شيء:

قررت النصوص أن الله تعالى خلق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكونهم وأوجدهم، فهو الخالق، وما سواه مخلوقٌ مربوب؛ قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر، ٦٢]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام، ١].

وأهل السنة يؤمنون بهذه المراتب الأربعة، ومن ذلك الإيمان بأن أفعال العباد داخلة في المرتبة الرابعة، ولذلك فهم يقولون فيها: إن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها، والعباد فاعلون حقيقة، ولهم قدرة حقيقة على أعمالهم، ولهم إرادة، ولكنها خاضعة لمشيئة الله تعالى الكونية، فلا تخرج عنها، فالله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

الفوائد:

الإيمان بالقضاء والقدر يُثمر فوائد عظيمة، وثمرات جليلة، منها:

١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله تعالى وقدره.

٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأن العبد متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة: ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب عز وجل وقدره، فلا أحد أطيّب عيشاً وأهدأ نفساً وأقوى طمأنينةً ممن آمن بالقدر.

٣ - طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله تعالى بما قضاه وقدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدعُ الإعجاب.

مراجع للاستزادة:

١ - الإيمان بالقضاء والقدر، للشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

٢ - القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود.

٣ - بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، للدكتور محمد محمدي النورستاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ

معنى الشهادتين وشروطهما

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

هذا إخبار من الله بألوهيته جل وعلا، فيُفَرِّد وحده بجميع أنواع العبادة، وهذا الذي من أجله خلق الله تعالى الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومن أجله أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...» الحديث [متفق عليه].

وهذا منه ﷺ برهان واضح وبيان شافٍ لأركان الإسلام التي عليها قام، فبدأ هذا البناء المتكامل بالشهادتين اللتين هما بوابة الدخول في الدين، ومن دونهما لا يقبل من العبد صرف ولا عدل، ولا يترتب له ثواب على أي عمل مهما كان، فهما الركن الركين والحصن الحصين، الذي يمنع قائله من استباحة حرمة، فكانتا العاصمتين من القاصمة التي تلحقه بالكفرة الفجرة، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...» الحديث [متفق عليه].

معنى الشهادتين:

هو الإقرار باللسان، والتصديق الجازم بالجنان، بأن الله عز وجل واحد لا شريك له، ولا يُعبد سواه، ولا يُصمد في الحوائج إلا إليه تبارك وتعالى، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأنه مرسل إلى الثقلين كافة الإنس والجن؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وأنه يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع. ولا تُقبل الشهادة الأولى بدون الثانية؛ فهما متلازمان لا تنفكان.

وتضمنت هذه الكلمة العظيمة ركنين أساسيين:

الأول: النفي، وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، ويدل عليه كلمة «لا إله».

الثاني: الإثبات، وهو إثبات الألوهية لله تعالى، يدل عليه كلمة «إلا الله»، فهو المستحق للعبادة وحده تبارك وتعالى.

شروط الشهادتين:

ذكر العلماء للشهادتين سبعة شروط، وهي:

١ - العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، المنافي للجهل؛ قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

٢ - يقين القلب بهما، المنافي للشك؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال النبي ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَقِيَْتَ وراءَ هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مُسْتَقِناً بها قلبه، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ» [أخرجه مسلم].

٣- الانقياد المنافي للترك؛ فينقاد بجوارحه بفعل ما دلت عليه هذه الكلمة من عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

٤- القبول المنافي للرد، فلا يرد شيئاً من لوازمهما، وَيَقْبَلُ بقلبه ولسانه جميع ما دلت عليه هذه الكلمة، ويؤمن بأنه حق وعدل؛ قال تعالى في حق من لم يقبلهما: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفات: ٣٥].

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كَمَثَلِ الغيث الكثير أصاب أرضاً؛ فكان منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الماءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثير، وكانت منها أجادِبٌ أَمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ الله بها الناسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ ماءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دين الله، وَنَفَعَهُ ما بعثني الله به فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هدى الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ» [متفق عليه].

٥- الصدق المنافي للنفاق، وهو أن يقول هذه الكلمة صدقاً من قلبه، يوافق قلبه لسانه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَا يَقْتَنُونَ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [٣] [العنكبوت].

٦- الإخلاص المنافي للشرك، فلا بد من تصفية العمل بصلاح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ [٣] [الزمر].

وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» [متفق عليه].

٧- المحبة لهما ولأهلهما، والموالاتة والمعاداة لأجلهما؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].
وقال ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» [متفق عليه].

الفوائد:

- ١- الشهادتان بوابة الدخول في الدين، وتحقيق شروطهما مفتاح تلکم البوابة؛ ليدخل العبد من بعدها جنان الخلد.
- ٢- تلازم الشهادتين، فلا يقبل من العبد عمل إلا إذا أتى بهما معاً.
- ٣- المطابقة الجازمة بين التلفظ بالشهادتين باللسان والتصديق بالجنان.

مراجع للاستزادة:

- ١- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢- الصارم المسلول، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣- بريق الجمان، للدكتور محمد محمدي النورستاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْس الثَّامِن

أركان العبادات القلبية

إن الله تعالى خلقنا لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذه العبادة لا تقوم إلا على ثلاث ركائز لا بد منها، ولا بد من قيام العبادة عليها، ولا قيام لها إلا بها، وهي: الحب، والرجاء، والخوف.

فلا بد أن يُقيم العبد جميع عباداته؛ من الصلاة، والصيام، والحج، والصدقة، وغيرها من الطاعات التي يُتقرب بها إلى الله سبحانه؛ لا بد أن يُقيمها على هذه الأركان الثلاثة، فيعبد الله تعالى حباً فيه، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه.

قال الله جل وعلا في شأن الحب: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال جل وعلا في شأن الرجاء: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال جل وعلا في شأن الخوف: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧].

وجمع جل وعلا هذه الأركان الثلاثة للعبادة في قوله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

أما الحب: فمقامه من العبادة مقام الروح من الجسد؛ لأنَّ الحب هو الذي

يُهَيِّجُ النَّفْسَ وَيَحَرِّكُهَا إِلَى الْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ وَطَاعَةِ الْمَحْبُوبِ سُبْحَانَهُ، وَالْبَعْدَ عَنْ مَنَاهِيهِ، فَالْحُبُّ أَسَاسُ الْعِبَادَةِ، بَلْ هُوَ رُوحُهَا، لَا قِيَامَ لِلْعِبَادَةِ إِلَّا عَلَيْهِ. وَأَمَّا الرَّجَاءُ: فَقَائِدُ النَّفْسِ، لَا سِيرَ لَهَا فِي الطَّرِيقِ، وَلَا اسْتِقَامَةَ لَهَا عَلَيْهِ؛ إِلَّا بِوُجُودِهِ؛ فَالرَّجَاءُ لِلنَّفْسِ بِمَنْزِلَةِ الْقَائِدِ.

وَأَمَّا الْخَوْفُ: فَهُوَ السَّائِقُ لِلنَّفْسِ، الْحَاجِزُ لَهَا عَنِ الْحَرَامِ، النَّاهِي لَهَا عَنِ الْآثَامِ، الْمُبْعِدُ لَهَا عَنِ مَعْصِيَةِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الرَّجَاءُ قَائِدٌ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ، وَالنَّفْسُ حَرُونٌ) [الْحَرُونُ: هُوَ الشَّدِيدُ، الصَّعْبُ الْمِرَاسُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: أَنَّ النَّفْسَ جَمُوحٌ خِدَاعَةٌ، رَوَاغَةٌ، فَاحْذَرُهَا، وَارْعَاهَا بِسِيَاسَةِ الْعِلْمِ].

فَالرَّجَاءُ يَقُودُ الْعَابِدَ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَيَحْدُوهُ إِلَى الطَّاعَاتِ، وَيَأْخُذُ بِهِ مَأْخِذَ الْجِدِّ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ لَهُ إِلَى الْمُضِيِّ فِي الطَّاعَةِ، وَالْبَعْدَ عَنِ الْحَرَامِ وَالْإِثْمِ، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: (الرَّجَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ نَافِعًا إِذَا كَانَ قَائِدًا لِلطَّاعَاتِ، وَالْخَوْفُ إِنَّمَا يَكُونُ نَافِعًا إِذَا كَانَ حَاجِزًا عَنِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْآثَامِ).

وَيَجِبُ أَيْضًا أَلَّا يُغْلَبَ الرَّجَاءُ عَلَى الْخَوْفِ، وَلَا الْخَوْفُ عَلَى الرَّجَاءِ، بَلْ يُؤْتَى بِهِمَا جَمِيعًا، فَإِنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْجَنَاحَيْنِ لِلطَّائِرِ؛ فَمَنْ غَلَبَ الرَّجَاءُ عَلَى الْخَوْفِ: أَمِنَ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَمَنْ غَلَبَ الْخَوْفُ عَلَى الرَّجَاءِ: قَنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا الضَّالُّونَ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْكِبَائِرِ، فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» [رواه البزار، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٠٢: رجَّله موثقون].

فَبِالْجَمْعِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ تَسْتَقِيمُ الْأَحْوَالُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَا مِنْ تَفْرِيطٍ يَقَعُ فِي النَّاسِ، سِوَاءٍ فِي جَانِبِ الْغُلُوِّ أَوْ جَانِبِ التَّقْصِيرِ

- أي في جانب الزيادة أو جانب النقصان - إلا وهو راجع إلى الإخلال بأحد هذه الأصول الثلاثة.

ومما يوجب اجتماع تلك الأركان في كل عبادة: أن الأخطار المُحدقة بالعباد لا تجد سبيلاً إليه إلا عند الإخلال بأحد تلك الأركان، أو عند الإخلال بالتوازن الواجب فيها، فمن يأتي بالحب وحده - دون خوف ولا رجاء - يأخذ ذلك الأمر إلى التزندق، ومن يأخذ بالخوف وحده - مُعطلاً جانبي الحب والرجاء - يأخذ به ذلك مأخذ التشديد والتعسير على نفسه وعلى الآخرين، ومن يأخذ بالرجاء وحده - مُهملاً للحب والخوف - فإنه يأخذ به مأخذ الاستهانة والاستخفاف بالعبادة.

قال بعض السلف: (مَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْحَبِّ وحده فهو زنديق، وَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ وحده فهو مُرجئ، وَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْخَوْفِ وحده فهو حُرُورِي، وَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ بِالْحَبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فهو مؤمنٌ موحد).

فلا يستقيم العبد على الطريق إلا بالجمع بين هذه الأمور الثلاثة: الحب والرجاء والخوف، التي جمعها الله في قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، فيه إشارة إلى المحبة، وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾، فيه الرجاء، وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، فيه الخوف.

الفوائد:

- ١- إن العبادة لها أركانٌ قلبية يجبُ أن تقومَ عليها، وإلا لم تكن شرعية، وهي: الحب، والخوف والرجاء.
- ٢- لا بدَّ من اجتماع تلك الأركان في جميع العبادات، ولا بدَّ من التوازن بينها، حتى لا يطغى جانبٌ على جانب.
- ٣- مَنْ لم يُراعِ النصوصَ في هذا الباب: وقعَ فيما يجب الحذرُ منه؛ من الزندقة، أو الأمن من مكر الله، أو اليأس من رحمة الله تعالى.

مراجع للاستزادة:

- ١- تفسير مختصر لسورة الفاتحة، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.
- ٢- دروس مستفادة من سورة الفاتحة، للدكتور عبد الرزاق عبد المحسن العباد.
- ٣- عمل القلب: الفريضة الغائبة، للدكتور عبد الله بن صالح الكنهل.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

فضائل التوحيد

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

هذا وعدٌ من الله تعالى لمن آمن وعمل صالحًا، وعبدَ الله ولم يشرك به شيئًا: أن يستخلفهم في الأرض، وأن يُمكنَ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يُبدِّلَ لهم من بعد خوفهم أمنًا؛ بشرط أن يُخلصوا العبادة لله وحده: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، فمن فضائل التوحيد في الدنيا الاستخلاف، وتمكين الدين، والأمن بعد الخوف.

والمراد بالتوحيد: عبادة الله وحده، كما جاء في رواية للبخاري لقصة بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، وفي رواية أخرى للبخاري أيضًا: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ»، مما يدل على أن معنى التوحيد هو: عبادة الله وحده.

وهكذا قول جابر رضي الله عنه في وصفه لحجة النبي ﷺ: «فَأَهْلَ بِالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ لَكَ» [رواه مسلم].

والتوحيد هو الغاية التي خلق الله تعالى الجن والإنس لأجلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، والتوحيد كذلك

هو الغاية من إرسال الرسل ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٥]، وكان النبي ﷺ إذا بعث أحد أصحابه ليدعو إلى الله يأمره أولاً بدعوة الناس إلى التوحيد؛ كما تقدم من قصة بعث معاذ رضي الله عنه إلى أهل اليمن.

من فضائل التوحيد:

- ١- كمال التوحيد سبب لدخول الجنة، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين ذكر النبي ﷺ أن سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم سُئل عنهم، فقال ﷺ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [متفق عليه].
- ٢- التوحيد سبب للأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام]. قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: (فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بِشْرِكٍ ولا بِمَعَاصٍ؛ حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء).

- ٣- الموحّد لا يخلد في النار إن دخلها؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمَمًا، ثُمَّ تَدْرِكُهُمْ

الرَّحْمَةُ، فَيُخْرِجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيُرْسُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ
الْجَنَّةِ الْمَاءَ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُنَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ»

[رواه الترمذي (٢٥٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح].

٤- الله تعالى يحرم على النار أهل التوحيد؛ فقد أخرج الشيخان عن عتب بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».

ومعنى «حَرَّمَ عَلَى النَّارِ» أي: يحرم دخوله النار إن حقق التوحيد ولم يقع منه تقصير، ويحرم خلوده في النار - إن دخلها - إن كان قد حقق التوحيد وحصل منه تفريط لم يتب منه.

٥- التوحيد سبب لمغفرة الذنوب؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» [رواه الترمذي (٣٥٤٠) وحسنه].

الفوائد:

- ١- التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس.
- ٢- التوحيد هو الأساس والبنیان، يبنى عليه غيره من الطاعات والأعمال.

مراجع للاستزادة:

- ١- كتاب التوحيد، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله.
- ٢- فتح المجيد، للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ رحمته الله.
- ٣- بريق الجمال، للدكتور محمد النورستاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ

خطر الشرك

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

يخبر تعالى عن لقمان أنه وعظ ابنه بهذه الموعظة العظيمة، التي نهاه فيها عن الشرك، ويبيّن له السبب في ذلك فقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ووجه كونه ظلمًا عظيمًا، أنه لا أقطع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئًا، بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم يُنعم بمثقال ذرة من النعم، بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل شيء أعظم من هذا الظلم؟!

وهل هناك أعظم ظلمًا ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أحسن المراتب، جعلها عابدة لمن لا يساوي شيئًا، فظلم نفسه ظلمًا كبيرًا؟! [تفسير السعدي].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ». قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ! قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» [متفق عليه].

هذا الحديث الشريف يبين أن الذنوب تتفاوت، فبعضها أعظم من بعض، وأن أعظم الذنوب الشرك بالله؛ لذا فإن النبي ﷺ خاف الشرك على أمته أكثر

من غيره من الشرور، فقال ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ» [رواه أحمد وصححه الألباني]، وأخبر ﷺ فقال: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ! وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ!» [رواه أحمد وصححه الألباني].

وأخبر ﷺ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَقَعُ فِي الشِّرْكَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، فَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! لِلشِّرْكَ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ!» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَلِ الشِّرْكَ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لِلشِّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟» قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ» [رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني].

والشرك مخاطره كثيرة، بَيْنَهَا رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِهِ رَسُولُهُ ﷺ، نَذَكِرُ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الْمَخَاطِرِ، فَنَقُولُ:

١- الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨) [النساء].

٢- الشرك هو الذنب الوحيد الذي يُحْبِطُ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) [الزمر].

٣- المشرك محرَّم عليه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) [المائدة].

٤- المشرك مخلد في نار جهنم، والعياذ بالله! قال تعالى: ﴿وَمَاؤُهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

هذه المخاطر كلها إنما تحصل إذا مات الإنسان ولم يتب من الشرك.

قصة:

أخرج الترمذي في سننه عن أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» [قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ].

الفوائد:

- ١ - الشرك مخاطرة كبيرة، ومظاهره كثيرة، فَمِنْ مظاهره السحر، وصرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى، كالذبج لغير الله، ودعاء غيره سبحانه، والسجود لغير الله تعالى، وغيرها من المظاهر الشركية.
- ٢ - يجب على المسلم أن يحذر الشرك صغيره وكبيره.
- ٣ - ينبغي للمسلم المحافظة على هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

مراجع للاستزادة:

- ١ - كتاب التوحيد، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.
- ٢ - القول المفيد، للشيخ محمد العثيمين.
- ٣ - بريق الجمال، د. محمد النورستاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ

محبة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، عند تفسيره لهذه الآية: (يذكر تعالى حالَ المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالًا ونظراء، يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضدَّ له ولا ندَّ له، ولا شريك معه... وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: فليحبهم الله وتمايم معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له؛ لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه).

تعريف محبة الله تعالى:

إن محبة الله سبحانه وتعالى أحد أركان العبادات القلبية الثلاثة؛ الخوف، والرجاء، والمحبة، والمحبة رأس تلك الأركان، ولذلك شبهها بعضُ السلف برأس الطير، وشبه الخوف والرجاء بجناحيه، وهي أصلُ دين الإسلام، فيفقدُها لا تصحُّ العبادة، وبكمالها يكملُ الإيمان، وبتقصانها ينقصُ توحيدُ الإنسان.

أنواع المحبة:

المحبة نوعان: أحدهما: المحبة المشتركة، وهي المحبة الطبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمان للماء، ومحبة الزوجة، ونحو ذلك، وكذلك محبة

الأنس والإلف؛ كمحبة المُشترَكين في صناعة أو علم أو سفر، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً، وكذلك محبة الرحمة والإشفاق، كمحبة الوالد لولده، وهذه الأنواع الثلاثة لا تستلزم التعظيم، وهي التي تصلح بين الخلق، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله تعالى.

النوع الثاني: المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله، وهي التي تستلزم الذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره.

ومحبة الله سبحانه والأنس به، والشوق إلى لقائه، والرضا به وعنه: أصل الدين، وأصل أعماله وإراداته، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله: أجل علوم الدين كلها.

ويجب التفريق هنا بين أربعة أنواع من المحبة:

أحدها: محبة الله، وهذه لا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، حتى يُجرّدها الله عزّ وجلّ؛ فإن المشركين وعُبدَ الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تُدخل في الإسلام وتخرج من الكفر، وأحبّ الناس إلى الله: أقومهم بهذه المحبة، وأشدّهم فيها.

الثالث: الحب لله وفي الله، وهي من لوازم محبة ما يحبه الله، ولا تستقيم محبة ما يحبه الله إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشريكية، وكلّ من أحبّ شيئاً مع الله؛ لا لله، ولا من أجله، ولا فيه؛ فقد اتخذه ندّاً من دون الله، وهذه محبة المشركين.

والعبودية الحقّة وموجباتها لا تكون خالصةً مع الإشراف بالله في المحبة، بخلاف المحبة لله؛ فإنها من لوازم العبودية وموجباتها، ومن ذلك محبة

رسول الله ﷺ، فمحبته ﷺ بل تقديمه في الحب على النفس وعلى الآباء والأبناء؛ لا يَتَمُّ الإيمانُ إلا بها؛ إذ محبته من محبة الله، وكذلك كلُّ حبٍّ في الله والله.

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ». وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ...» [أخرجه البخاري (٦٠٤١)].

وفي الحديث: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنْعَ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» [رواه أبو داود (٤٦٨١)، والبخاري في شرح السنة (٣٤٦٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه بإسناد حسن]. وهذه المحبة من لوازم محبة الله وموجباتها، وكلما كانت أقوى: كان أصلها كذلك.

الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى:

الأسباب الجالبة لمحبة الله كثيرة؛ منها:

- ١ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، وما أريد به.
- ٢ - اتباع الرسول ﷺ بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والتمسك بسنته، قال بعض السلف: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْمَحَبَّةِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران]. وقد بين سبحانه علامات المحبين له في قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ

عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة:].

الفوائد:

- ١ - المحبةُ الخاصةُ لله عزَّ وجلَّ هي التي تتضمن الخضوع والذل.
- ٢ - إنَّ محبة الله سبحانه أصلُ دين الإسلام؛ لأنَّ إرادته أَجَلَ المقاصد، وعبادته أَشْرَفُ الأعمال، كما أنَّ الثناءَ عليه بأسمائه وصفاته، ومدحه وتمجيده: أَشْرَفُ الأقوال.
- ٣ - لا بدَّ أن تقترن محبةُ الله تعالى بالخوفِ والرجاءِ منه، وإلا لم تكن شرعية.

مراجع للاستزادة:

- ١ - قاعدة في المحبة، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢ - استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، للحافظ ابن رجب الحنبلي.
- ٣ - موسوعة نضرة النعيم.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ

محبة النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال الشيخ السعدي رحمه الله، في تفسير هذه الآية: (هذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله).

وعلاوة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يفوت عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله؛ دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه).

إن من أوجب الواجبات على العبد: محبة الله عز وجل؛ لأنه هو الرب المتفضل على عباده بجميع النعم ظاهرها وباطناتها، ومحبة الله تعالى من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ثم بعد محبة الله تعالى، تجبُ محبةُ رسوله محمد ﷺ؛ لأنه هو الذي دعا إلى الله، ودل عليه، وبلغ شريعته، وبيّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة، فعلى يد هذا الرسول ﷺ، ولا يدخل أحد الجنة إلا بطاعته واتباعه ﷺ، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» [أخرجه البخاري (١٦) واللفظ له، ومسلم (٤٣)].

فمحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته ﷺ ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى، قوله ﷺ: «فوالذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده» [أخرجه البخاري (١٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» [متفق عليه].

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسول ﷺ أحبَّ إليه من نفسه، فعن عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» [أخرجه البخاري (١٦٣٢)].

فمحبة الرسول ﷺ واجبةٌ ومقدمةٌ على محبة كل شيء سوى محبة الله، فإنها تابعة لها، لازمةٌ لها؛ لأنها محبةٌ في الله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتُنقص بنقصها.

ومحبته ﷺ تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه، وتقديم قوله ﷺ على قول كل أحد من الخلق، وتعظيم سنته ﷺ.

ولهذا لم يكن بشرٌ أحبَّ إلى بشر، ولا أهيَبَ وأجلَّ في صدره؛ من رسول الله ﷺ في صدور أصحابه رضي الله عنهم، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد إسلامه: (إنه لم يكن شخصٌ أبغضَ إليَّ منه، فلما أسلمتُ؛ لم يكن شخصٌ أحبَّ إليَّ منه، ولا أجلَّ في عيني منه، قال: ولو سُئِلْتُ أن أصِفَه لكم لما أطقتُ؛ لأنِّي لم أكن أُملاً عينيَّ منه) [أخرجه مسلم (١٢١)].

وقال عروة بن مسعود رضي الله عنه لقريش: (أي قوم! والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيتُ [أي: ما رأيتُ] ملكاً قط يُعظِّمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ أصحابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا! والله إن تنخَّم [أي: ما تنخَّم] نخامةً إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدِّثون إليه النظرَ تعظيمًا له) [أخرجه البخاري (٢٧٣١) (٢٧٣٢)].

ومحبة النبي ﷺ من الإيمان به، فإن الإيمان به يكون:

بقول القلب: وهو تصديقه، والإقرار برسوليته، أي: كونه رسولاً، ورسالته، أي: ما تضمَّنته من أخبار وأوامر.

وبقول اللسان: وهو النطق بشهادة برسالته.

وبعمل القلب: وذلك بمحبته، وتعظيمه فوق سائر الخلق، لكن في حدود بشريته، دون محبة الله تعالى وتعظيمه، فمحبة الله محبة تأله وعبودية، تتضمن الذل والخضوع والتعظيم، وذلك لا يصلح لأحد سواه تعالى.

وبعمل الجوارح: وهو اتباعه وطاعته باعتباره رسولاً من الله، لا تقرباً إليه، والله سبحانه يطاع تقرباً ورغبة ورهبة.

والإيمان به ﷺ يتضمن كثيراً من المعاني، فيدخل في ذلك كل ما ذكره الله سبحانه عن نبيه ﷺ من الطاعة، والمحبة، والتعزير، وغير ذلك.

وكما أن محبة النبي ﷺ من الإيمان به؛ فإنها من حقوقه على أمته، فإن الله سبحانه جعل لنفسه حقوقاً على عباده لا يشاركه فيها أحد، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وجعل لنبيه ﷺ حقوقاً على أمته، لا يساويه فيها أحد من الخلق، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

لله حق لا يكون لعبده ولعبده حق، هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً من غير تمييز ولا فرقان

ومحبة النبي ﷺ لها علامات ودلائل، وهي كثيرة، منها: تقديم النبي ﷺ وتفضيله على كل أحد، وسلوك الأدب معه، وتصديقه فيما أخبر، واتباعه وطاعته والاهتداء بهديه، والتحاكم إلى سنته ﷺ، والذب عنه وعن أزواجه وأصحابه رضي الله عنهم، ونشر سنته، وغيرها من العلامات التي تدل على محبة النبي ﷺ.

الفوائد:

- ١- إنَّ محبة النبي ﷺ من الإيمان به، فلا يتأتَّى الإيمانُ به ﷺ إلا بمحبَّته.
- ٢- إنَّ محبة النبي ﷺ تابعةٌ لمحبةِ الله سبحانه، ويجبُ التفريقُ بين المحبَّتين.
- ٣- من محبةِ النبي ﷺ الابتعادُ عن الغلوِّ فيه وإطرائه، وعدم الخلط بين حقوقه وحقوق الله عزَّ وجلَّ.

مراجع للاستزادة:

- ١- حقوقُ النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، لمجموعةٍ من الباحثين.
- ٢- حقوق المصطفى ﷺ، للدكتور محمد خليفة التميمي.
- ٣- محبة النبي ﷺ، للدكتور فضل إلهي ظهير.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَرَ

من حقوق النبي ﷺ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٨] لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٩] [الفتح].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: (هذه المنّة التي امتنّ الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [١٦٤] [آل عمران]، يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحاً لهم، مشفقاً عليهم، يتلو عليهم آيات الله، يُعَلِّمُهُمْ أَلْفَاظَهَا وَمَعَانِيَهَا).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مبيناً شيئاً من مكانة النبي ﷺ وفضائله وحقوقه: (أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فختم به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وفتح برسالته أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلْفًا، فأشرقت

برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألّفت بها القلوبُ بعد شتاتها، فأقام المِلَّةَ العوجاءَ، وأوضح بها المَحَجَّةَ البيضاءَ، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع ذكره، وجعل الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على من خالف أمره، أرسله على حينِ فترةٍ من الرسل، ودروسٍ من الكتب، حين حُرِّفَ الكَلِمُ، وبُدِّلَتِ الشرائعُ، واستند كلُّ قومٍ إلى أظلمِ آرائهم، وحكّموا على الله وبينَ عبادِهِ بمقالاتهم الفاسدة، وأهوائهم، فهدى الله به الخلائقَ، وأوضح به الطريقَ، وأخرج به الناسَ من الظلماتِ إلى النور، وبصّر به من العمى، وأرشد به من الغيِّ، وجعله قسيمَ الجنةِ والنارِ، وفَرَّقَ ما بين الأبرارِ والفجارِ، وجعل الهدى والفلاحَ في اتِّباعِهِ وموافقته، والضلالَ والشقاءَ في معصيته ومخالفته) [مجموع الفتاوى ١٩/١٠٢].

وله عليه الصلاة والسلام حقوقٌ على أمته والبشرية جمعاء، بينها الله تعالى في كتابه، وبينها عليه الصلاة والسلام في سُنَّتِهِ، وهي حقوقٌ كثيرةٌ جدًّا، إلا أننا سنشير إلى بعضها والمهمَّ منها، بعون الله تعالى.

فمن حقوقه عليه الصلاة والسلام:

أولاً: الإيمان الصادقُ به ﷺ، وتصديقُه فيما أتى به:

قال الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨] [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

وَقَالَ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ» [رواه مسلم].

والإيمان به ﷺ هو: تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان، مع تطبيق ذلك والعمل بما جاء به؛ تَمَّ الإيمان به ﷺ.

ثانيًا: طاعته ﷺ، والحذر من معصيته:

فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به، وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ» [رواه البخاري ومسلم]. وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» [رواه البخاري].

ثالثاً: اتباعه ﷺ، واتخاذَه قدوةً في جميع الأمور، والافتداء بهديه:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فيجبُ السيرُ على هديه والتزامُ سنته، والحدُّ من مخالفته، قال ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [رواه البخاري ومسلم].

رابعاً: محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [رواه البخاري ومسلم].

وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماعُ معه في الجنة، وذلك حين سألَه رجلٌ عن الساعة، فقال ﷺ: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ» [رواه البخاري ومسلم].

وإن المحبة الصادقة للنبي ﷺ تورثُ اتِّباعَهُ والافتداءً بهديه، فمن زعم حبه عليه الصلاة والسلام ولم يَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ يصدقُ عليه قول الشاعر:

لو كان حُبُّكَ صادقاً لَأَطَعْتَهُ
إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

خامساً: احترامه، وتوقيره، ونصرته:

قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح ٩]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

وحرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره، لازم كحال حياته، وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ويجب تعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها.

سادساً: الصلاة عليه ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» [رواه الترمذي وأحمد].

وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة، منها: عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وغيرها من المواطن.

سابعًا: وجوب التحاكم إليه، والرضا بحكمه ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده ﷺ.

الفوائد:

- ١ - للنبي ﷺ حقوق كثيرة، منها: الإيمانُ به، وطاعته، واتباعه، ومحبته، وتحكيمة، والصلاةُ عليه.
- ٢ - علامة محبة النبي ﷺ طاعته واتباعه.

مراجع للاستزادة:

- ١ - حقوق النبي ﷺ على أمته، د. محمد التميمي.
- ٢ - وداع النبي ﷺ، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ

محبة أهل البيت والأصحاب

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ولا سيما سيد الصحابة رَحِمَهُ اللهُ بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر، والخليفة الأعظم، أبا بكر رَحِمَهُ اللهُ، فإن الطائفة المخدولة يُعادُونَ الصحابة رَحِمَهُ اللهُ، وَيُغَضُّونَهُمْ وَيَسُبُّونَهُمْ، عيادًا بالله! وهذا يدلُّ على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة) [تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٣].

فتضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة. وقد نطق القرآن في غير موضع بفضلهم، وبَيَّنَّ علوَّ رتبهم على من بعدهم؛ فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وخصَّتهم السنة كذلك بأحاديث دلت على حوزهم قَصَبَ السَّبْقِ في الشريعة، وأنهم خير القرون إلى يوم القيامة، فقال النبي ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» [أخرجه البخاري]، وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه» [أخرجه البخاري].

وهذا بيانٌ شافٍ منه ﷺ بفضل أصحابه، فأوصى بتعظيمهم وتوقيرهم، وألا يُتخذوا هدفاً فيرموا بقبيح الكلام وسوء الظنِّ، والسبِّ والشتَم، عياداً بالله تعالى! فمحبّتهم سببٌ لمحبة الله تعالى ونبيه ﷺ لمن أحبهم وتولاهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]. وبغضهم سببٌ لبغض الله تعالى ونبيه ﷺ لمن أبغضهم، قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» [أخرجه البخاري].

وإذا لم يكن صحابته ﷺ أولياءه، فمن هم الأولياء؟! فوجبت محبتهم في القلوب، وغدت جزءاً لا ينفكُّ من الإيمان؛ لأنهم حملة الدين وناصرُوه، الذين ذادوا عن حياضه، وصانوا رياضَه، وبلغوا من بعدهم آياته وأحكامه، بكل صدق وأمانة، ودقة متناهية وصيانة. وأهل البيت من جُملة الصحابة رضي الله عنهم، ولكن خصوا بمزيد من الرعاية والاهتمام؛ لقرابتهم من خير الأنام، عليه الصلاة والسلام؛ فأثنى الله عليهم فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» [أخرجه مسلم].

وقد تأصلت المحبة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم كلهم، فأثنى كلٌّ منهم على الآخر، وخاصةً بين كبار الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم، فمن ذلك:

١- قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده! لقراية رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي) [أخرجه البخاري].

٢- وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا أجد أحداً يُفضِّلني على أبي بكر وعمر، إلا جلدته حدَّ المفترى) [تاريخ دمشق].

٣- وقال محمد بن الحنفية، وهو ابنُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (قلت لأبي - علي بن أبي طالب: يا أبت! مَنْ خَيْرُ هذه الأمة بعد نبيها؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال عمر، فخِفْتُ إن قلتُ: ثم من؟ أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت يا أبت؟ قال: ما أبوك إلا رجلٌ من المسلمين) [تاريخ دمشق].

وازدادت هذه المحبةُ وتعمقت بين الصحابةِ وأهل البيت عليهم السلام بالمصاهرات التي تمت بينهم، وبالتسميات، فمن ذلك:

- ١- تزوّج عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أمَّ كلثوم بنتَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
 - ٢- وتزوَّج الحسنُ بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمَّ إسحاق بنتَ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، ثم تزوّجها بعد وفاته أخوه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم تزوّجها بعد وفاته عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عليه السلام. وهذا غيْضٌ من فيض.
- وأما التسمياتُ فلا تنحصرُ في هذه الوريقات، ونذكرُ بعضها للدلالة على المقصود، فمنها:

- ١- من تسمى بأبي بكر من أهل البيت: أبو بكر بن علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ٢- من تسمى بعمر: عمر بن علي بن أبي طالب، وعمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ٣- من تسمى بمعاوية: معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

الفوائد:

- ١- إن توقير الصحابة وأهل البيت وحبهم واجبٌ وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها.
- ٢- لا ينتقص أحدُ الصحابة عليه السلام إلا حلت به العقوبة عاجلاً أو آجلاً.
- ٣- العلاقة بين الصحابة وأهل البيت علاقة نسب ومحبة من نسج فريد عز وجوده في الأعصار.

مراجع للاستزادة:

- ١- الأسماء والمصاهرات بين الآل والأصحاب، للسيد بن أحمد بن إبراهيم.
- ٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- ٣- ذرى السحاب، للدكتور أحمد عبد الغني الجمل، وعزة محمد فودة.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ عَشَرَ

مخالفات عقدية قولية

قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ ﴾ خير أو شرٍّ، ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ أي مراقبٌ له، حاضرٌ لحاله).

ولمَّا قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بما نتكلَّمُ به؟ قال رسول الله ﷺ: «ثَكَلَتَكَ أُمُّكَ يَا مَعَاذُ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ - أو على مناخِرِهِمْ - يومَ القيامةِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ!» [رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح].

وقد تتفاوت هذه الكلمات المخالفة للشريعة خطورةً وإثمًا، فقد تكون الكلمة كفرًا أو فسقًا، وقد تكون خلاف الأولى، وقد يتكلَّم العبدُ بالكلمة فتكون عاقبتها أخطر وأضرَّ مما كان يتوقَّع، فقد قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» [متفق عليه].

ومن أمثلة المخالفات العقدية القولية التي يجب تجنبها والتحذير منها ما يلي:

١ - الاستغاثة بالأموات، ودعائهم، وطلب المدد منهم، والتقرب إليهم بأي نوع من العبادات، وذلك شركٌ أكبر، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ، بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

[المؤمنون: ١١٧].

٢- الحَلْفُ بغير الله، كالحلفِ بالنبي ﷺ، والأمانة، و الشرف، وغيرها، كأن يقول: والنبي، أو وحياتِكَ، لقوله ﷺ: «من حلفَ بغيرِ الله فقد كفرَ أو أشركَ» [رواه الترمذي (١٥٣٥) وحسنه].

٣- سبُّ الدهر، ومثله الأيامُ والليالي والساعات، لقوله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدهرَ، فإنَّ اللهَ هو الدهرُ» [رواه مسلم].

٤- سبُّ الريح، ومثله سبُّ الجو كالغبار أو الأمطار، لقوله ﷺ: «لا تسبوا الريح، فإنها من رَوْحِ الله تعالى، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها» [رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٩٣)].

٥- قولهم لشخص: أنا متوكِّلُ عليك، لقوله ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: «أَجْعَلَنِي لله نَدًّا! قل: ما شاء الله وحده» [رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري].

٦- سبُّ أو ذمُّ ما هو من أفعالِ الله عز وجل، كالمرض والموت وصفة الخَلقة، لما روت عائشةُ رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا! قال بعض الرواة: تعني قصيرةً، فقال ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لَمَزَجَتْهُ!» [رواه أبو داود، وصححه الألباني في رياض الصالحين].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ دَخَلَ على أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أُمُّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمِّ المُسَيَّبِ تُزْفِرِينَ؟» قَالَتْ: الحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا! فَقَالَ ﷺ: «لَا تَسْبِي الحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يَذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ» [رواه مسلم].

وبهذا يُعرف أنه لا يجوز أن يقال لمن أُصيب بمرض أو مات: حرام! ولا أن يقال: ما يستاهل! لأن الموت و المرض من أفعالِ الله تعالى.

الفوائد:

- ١- أهمية طلب العلم الشرعي.
- ٢- خطورة التساهل في أمر الكلام.

مراجع للاستزادة:

- ١- معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر أبو زيد.
- ٢- المستدرك على معجم المناهي اللفظية، للشيخ سليمان الخراشي.
- ٣- أخطاء شائعة، للشيخ خالد الخراز.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ عَشَرَ

مخالفات عقدية فعلية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (يخبر تعالى أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرُها وكبائرُها، وذلك عند مشيئته مغفرةً ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة في الدنيا، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحقُّ بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك؛ فإن المشرك قد سدَّ على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة ناصر ولا مدافع، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (١٠٠) ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء).

فينبغي للعبد أن يحذر كل الحذر من الوقوع في أي صورةٍ من صور الشرك أو الوسائل المفضية إليه، لأن الشريعة المباركة إذا حرّمت شيئاً حرّمت كل وسيلة توقع في هذا الحرام، ويتأكد هذا في كبائر الذنوب وعظائم السيئات، وأعظمها الشرك بالله، ولذا قال ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عَنَانَ السَّما، ثم استغفرتني، غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك

لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة» [رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: حديث حسن غريب].

وهذه جملة من المخالفات العقدية الفعلية، التي ينبغي الحذر من التلبس بها:

١ - تعليق التمايم ووضع الحروز، خوفاً من الضرر أو دفعاً للعين والحسد:
عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أنه جاء في ركبٍ عشرةٍ إلى رسول الله ﷺ، فبايع تسعةً، وأمسك عن رجل منهم، فقالوا: ما شأنه؟ فقال: «إن في عضده تميمة»! فقطع الرجل التيممة، فبايعه رسول الله ﷺ، ثم قال: «مَنْ عَلَّقَ فَقَدْ أَشْرَكَ» [رواه أحمد والحاكم واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب للمنزدي (٣٤٥٥)].

٢ - سؤال العرافين والكهنة:

قال النبي ﷺ: «من أتى عَرَّافًا أو كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمدٍ!» [رواه أحمد ٤٢٩/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٩)].
ويلحق بهذا الفعل قراءة الكف أو الفنجان أو الأبراج.

٣ - الذبح عند باب المنزل أو السيارة، ومثله رش الملح، خوفاً من المكروه، أو طرداً للجن أو لغيرها من الأوهام.

٤ - البناء على القبور وتجسيصها وغرس الأشجار عليها، كله من البدع والمنكرات، لما رواه جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القبرُ، وأن يُقَعَّدَ عليه، وأن يُبنى عليه» [رواه مسلم (٩٧٠)].

٦ - تخصيص أزمته أو أمكنة معينة بعبادات لا دليل عليها من كتاب أو سنة، كتخصيص رجب بالصيام، أو ليلة النصف من شعبان بالقيام، أو إحياء

ليالي الأعياد بالتهجد، أو غيرها من المُحَدَّثَات؛ لقوله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ» [رواه مسلم (١٧١٨)].

٨- التطير والتشاؤم بِمُشَاهِدٍ أَوْ مَسْمُوعٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ لقوله ﷺ: «لَا عَدَوِي وَلَا طِيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ» [رواه البخاري (٥٧٥٧)]، وقال ﷺ: «الطِيْرَةُ شِرْكٌ» قالها ثلاثاً. [رواه أبو داود، وصححه الألباني (٣٩١٠)].

٧- تعاطي السحر أو تعلُّمه أو سؤال السحرة أو الاستعانة بهم؛ لقوله ﷺ: «ليس منا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطَيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تُكْهَنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُجِرَ لَهُ» [رواه البزار، وصححه الألباني في السلسلة (٢١٩٥)]، ولو كانت هذه الاستعانة بغير قصد الإضرار، لأن النبي ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرَةِ - وهي فُكُّ السحرِ بالسحرِ - فقال: «هي من عمل الشيطان» [رواه أبو داود (٣٨٦٨) وصححه الألباني].

الفوائد:

- ١- أهمية التوحيد ووجوب تعلمه.
- ٢- خطورة الشرك ووجوب الحذر منه ومن وسائله.
- ٣- المخالفات العقدية الفعلية كثيرة، فينبغي للمسلم معرفتها والحذر منها.

مراجع للاستزادة:

- ١- المنظار في بيان كثير من الأخطاء الشائعة، للشيخ صالح آل الشيخ.
- ٢- القول المفيد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ ابن عثيمين.
- ٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ عَشَرَ

السَّحَرُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَ مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦٩) [طه].

في هذه الآية الكريمة بيان من الله سبحانه لهذه الحقيقة، وهي أنه لا يفلح الساحر لا في الدنيا، ولا في الآخرة، فإذا كان الساحر نفسه لا يفلح ولا يفوز، فلا شك أن الذي يأتي الساحر ليس أحسنَ منه حالاً. [تفسير السعدي].

ففي هذا تحذير من الوقوع في السَّحَر، الذي هو من أعظم الكبائر، وأشدَّ الموبقات، لأنَّ في تعاطيه جمعاً بين الكُفْرِ والإِضْرَارِ بالنَّاسِ، ولذلك حذر منه النبي ﷺ تحذيراً أكيداً شديداً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبَقَاتِ»، وذكر منها السَّحَر. [متفق عليه].

وَمِنَ الْمَهْمِ أَنْ نَعْلَمَ وَنُعْلَمَ غَيْرَنَا، أَنَّ السَّحْرَةَ كَذَّابُونَ، وَلَوْ طَارُوا فِي الْهَوَاءِ، وَمَشَوْا عَلَى الْمَاءِ، وَزَعَمُوا تَحْضِيرَ الْأَرْوَاحِ، فَهُمْ خَطَرٌ عَلَى الْأُمَّةِ، كَافِرُونَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، مَبْتَرُونَ لِأَمْوَالِ النَّاسِ، مُلَبَّسُونَ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ جَدِيرُونَ بِالرَّدْعِ وَالْعِقَابِ، حَتَّى لَا يَعْمَ ضَرُّهُمْ، وَيَسْتَشِيرَ خَطَرُهُمْ.

عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَدِّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ» [أخرجه الحاكم وصححه]، وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ» [أخرجه أحمد].

وإنَّه لمنَّ المستغَرِبُ أنْ تنتشر هذه الأباطيلُ في المجتمعات الإسلاميَّة، ومن العارِ أنْ تجدَ بعضَ المسلمين يلجأ إلى هؤلاء السحرة، فإنه لا يليق بأمة الإسلام، أمة العلم والتعلُّم، أمة القرآن الكريم، أنْ تخلدَ للخيالات والأوهام، وأنْ تُخدعَ بثُلَّةٍ من المشعوذين الكذبة!

لا شكَّ أن أعداء الإسلام قد حاولوا كثيراً أن يصرفوا النَّاسَ عن جوهر الدين وصفاء العقيدة، ويُسِرَّ الشريعة، بهذه التَّوافِه والسَّفاسِف، ليتمكنوا من تفريق كلمتهم، وبثِّ الشقاق والنزاع بينهم، لتسهلَ بعد ذلك السيطرةُ عليهم، والتَّاريخُ أكبر شاهدٍ على مثل هذه المحاولات.

وفي الحقيقة إنَّ القلوبَ التي مُلئتُ بالإيمان، وترَبَّتْ على القرآن، وابتعدت عن المعاصي والملاهي، لا تبالي بمثل هذه الأمور التافهة، ولا تركز لأمرٍ ساحرٍ أو مشعوذٍ أو كاهنٍ، وإنما علَّقتْ أمورها بالله، وأيقنتُ أنَّ المنفعة والمضرة بيد الله، والشِّفاء والمرَضُ بقدره الله، والغنى والفقر بأمر الله، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) [الشعراء].

فعلينا إذاً أن نقوي إيماننا بالله سبحانه، فهو الضارُّ والنافع، وهو المعطي والمناع، ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨) [الفصلر]، ولنُقمَ بتحسين أنفسنا وأولادنا بالرُّقى المشروعة، والأوراد الماثورة، والمداومة على تلاوة كتاب الله العزيز، فهو الحصنُ الحصينُ، والحرزُ الأمينُ، عن عبد الله بن حبيب رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» [أخرجه الترمذي وقال: صحيح غريب].

الفوائد:

- ١- إن الله سبحانه حرَّم السحر، وعده رسول الله ﷺ من الموبقات والكبائر.
- ٢- يحرم الذهاب إلى السحرة، ويحرم تصديقهم فيما يقولون.
- ٣- السحر عمل شيطاني، كثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك.

مراجع للاستزادة:

- ١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
- ٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ عَشَرَ

التنجيم

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝﴾ [الملك].

إِنَّ لله سبحانه في خلق النُّجُومِ حِكْمًا ساميةً، بينت هذه الآية منها ثلاثاً: فهي علاماتٌ وأدلةٌ يَهْتَدِي بها النَّاسُ في ظلمات البرِّ والبحر، وزينةٌ للسماء، ورجومٌ يُرْجَمُ بها مَنْ استرقَّ السَّمْعَ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

روى الإمام البخاري تعليقاً عن قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (خلق الله هذه النُّجُومَ ثلاثاً: جعلها زينةً للسماء، ورجوماً للشَّيَاطِينِ، وعلاماتٍ يُهْتَدَى بها، فَمَنْ تأوَّل فيها بغير ذلك خطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به).

والتنجيم: هو ادعاء معرفة الحوادث التي لم تقع، بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها.

ولقد انتشرت صناعةُ التنجيم في العصر الحاضر انتشاراً كبيراً، وأصبح التنجيمُ في أغلبِ صورِهِ، وسيلةً لابتزازِ أموال الآخرين وخداعِهِمْ؛ فينبغي الحذرُ منه، لأنه أصبح يَتَسَتَّرُ بِمَسْمِيَّاتٍ عدَّة، وله وسائلٌ متعددة، ومن أكثر وسائله رواجاً: الصُّحُفُ والمَجَلَّات، ويكونُ التنجيمُ عادةً فيها تحتَ عنوان: الأبراج، أو الحظُّ والأبراج، أو حظُّك والنجوم.

وأنَّ الكواكبَ لها تأثيرٌ في الكون، ولها قدرة على إحداث شيءٍ - كتغيير

واقع - فهذا ضلالٌ وجهلٌ بدينِ الله تعالى، ومخالفٌ للعقيدة السويّة، التي أمرَ المسلم باتباعها، وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطاله، كقوله ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ؛ زاد ما زاد» [رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح].

فما يدّعيه أهلُ التنجيم من علمٍ بالكون والحوادث التي لم تقع أو ستقع في مستقبل الزمان، كَلُّهُ كَذِبٌ واختلاقٌ، وادّعاءٌ بغير دليل، وذلك كإخبارهم بالسعادة والشقاء، وبالموت والحياة، وبزوال الدُّول وقيامها، وبفناء العالم ودوامه، وتغيُّر الأسعار، وما كان في معنى كلِّ ذلك من الأمور؛ وهم يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها واقتترانها.

وأقوالهم هذه خطيرةٌ، ينبغي التحذير منها، لأنها تعمقُ خرافةَ تأثير الكواكب في نفوس أتباعهم ومُصدِّقيهم، بل هي من جنس ما نهى النبي ﷺ عنه، وحذّر من الوقوع فيه، وعده كفراً بالله تعالى؛ فعن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ [أي مطر] كانت من اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ. قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ» [أخرجه البخاري (٨٤٦) ومسلم (٧١)].

الفوائد:

١ - يجبُ على المسلمين تقويةَ عقيدتهم بالله سبحانه، فهو الخالق المدبّر لهذا الكون.



- ٢- العلمُ يقيناً بأنَّ النُّجُومَ مخلوقةٌ مأمورة، لا تملكُ لذاتها ضرّاً ولا نفعاً.
- ٣- الحكمُ بكذبِ المنجّمين؛ وإنْ صادف أن صدّقُوا في شيءٍ قالوه، فهمُ الكاذبون.

مراجع للاستزادة:

- ١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
- ٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ.
- ٣- بريق الجمان، للدكتور محمد محمدي جميل النورستاني.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الباب الثاني

الفقه والعبادات

- الدرس التاسع عشر: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».
- الدرس العشرون: سنن الفطرة.
- الدرس الحادي والعشرون: منزلة الصلاة.
- الدرس الثاني والعشرون: صلاة الجماعة.
- الدرس الثالث والعشرون: السنن الرواتب.
- الدرس الرابع والعشرون: فضل نوافل الصلاة.
- الدرس الخامس والعشرون: صلاة الاستخارة.
- الدرس السادس والعشرون: بعض آداب المسجد.
- الدرس السابع والعشرون: عقوبة مانع الزكاة.
- الدرس الثامن والعشرون: فضل نوافل الصيام.
- الدرس التاسع والعشرون: فضل الحج.
- الدرس الثلاثون: أحكام اليمين.
- الدرس الحادي والثلاثون: الوصية.
- الدرس الثاني والثلاثون: أحكام الجَدَاد.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ عَشَرَ

«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أخبر سبحانه وتعالى بأنه يحب التوابين من ارتكاب ما نُهوا عنه من الذنوب والشرك، الرجاعين إليه؛ ويحب المتطهرين من الأحداث والنجاسات، المتنزّهين من الفواحش والأقذار.

وقَدَّمَ جَلَّ وعلا ذِكْرَ المذنب على من لم يذنب، لئلا يَقْنَطَ التائب من الرحمة، ولا يُعَجَبَ المتطهرُ بنفسه.

وقد كان من معجزات النبي ﷺ ما أُوتِيَ من فصاحة اللسان، وبلاغة القول، ونصاعة اللفظ وجزالته، إذا تكلم فيقول مُوجِزًا، قليل لفظه، كثير معناه.

ومن جوامع كَلِمِهِ وبدائع حِكْمِهِ التي صارت حِكْمًا وأمثلةً تجري على ألسنة الحكماء والبلغاء، قوله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»؛ وهي جملة جاءت

في صدر حديث جامع [أخرجه مسلم في صحيحه (٥٥٦)] عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ،

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ

نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ

يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

فقوله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ» أي نصفه؛ وذلك أن الإيمان تخلية

وتحلية؛ فشطره الأول تخلية بالطهور من النجاسات ومن الشرك، وشطره الثاني تحلية بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة؛ لأن أي شيء محمود لا يتم إلا بعد تنقيته من الشوائب، وتكميله بالفضائل؛ فالتكميل بالفضائل نصف، والتنقية من الرذائل نصف آخر.

والطهور المذكور يشمل الطهارة الحسية والمعنوية: فالطهارة الحسية هي طهارة البدن من الأحداث، وطهارة البدن والثوب والمكان من النجاسات؛ والطهارة المعنوية هي طهارة القلب من الشرك والذنوب، وطهارته من الغل والحقد والحسد وسائر أمراض القلوب ونجاساتها.

وإن الطهارة بكل معانيها المتقدمة أساس في صلاح القلب وقبول العمل؛ ويكفي دليلاً على توكيدها أن الله أمر بها نبينا محمداً ﷺ فقال: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدر،]، وليس بممتنع أن يحمل التطهير المأمور به في الآية على التطهير الحسي والمعنوي؛ لأن طهارة الثياب ربما جاءت في الاستعمال العربي كناية عن طهارة القلب والخلق والعمل، فما بالك إذا كان الأثر يشهد لذلك المعنى ويعضده.

وقد أثنى الله على مؤمني الأنصار الذين يصلون بمسجد رسول الله ﷺ وبمسجد قباء بأنهم يتطهرون، تقريباً إلى الله بالطهارة، وإرضاءً لمحبة نفوسهم إياها، بحيث صارت الطهارة خلقاً لهم، فلو لم تجب عليهم لفعلوها من تلقاء أنفسهم، فقال تعالى: ﴿لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾، ثم أعقب ذلك الشناء بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، إشارة إلى أن نفوسهم وافقت خلقاً يحبه الله تعالى، وكفى بذلك تنويهاً بزكاء أنفسهم.

ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء. قال: «فهو ذاك، فعليكموه» [أخرجه ابن ماجه (٣٥٥)، وصححه الألباني].

ثم إن الطهارة - إضافة إلى ما تقدم من محبة الله تعالى للمتصفين بها وثنائهم عليهم - تُنْقِي الجوارح من الخطايا والذنوب التي اقترفتها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» [أخرجه مسلم (٦٠٠)].

وكان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يمر عليه يوم إلا اغتسل فيه، محافظةً على الطهارة، ومبالغةً منه في تكثيرها، فقال يوماً لأصحابه: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عند انصرافنا من صلاتنا هذه - يعني العصر - فقال: «مَا أَذْرِي أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَسْكُتُ؟» فقلنا: يا رسول الله، إن كان خيراً فحدِّثنا، وإن كان غير ذلك فالله ورسوله أعلم! قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا» [أخرجه مسلم (٥٦٨)].

ورغم الترابط الحاصل شرعاً وعقلاً بين طهارة القلب والبدن، إلا أنه ينبغي البدء بتطهير القلب من نجس الشرك والمعاصي، وتهذيبه عما يُسْتَهْجَن من الأقوال والأفعال، لأن مَنْ لا يرضى بنجاسة ما يلمسه كيف يرضى بنجاسة قلبه!

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ فِي مَوَاعِظِهِ: (يا هذا! طَهِّرْ قَلْبَكَ مِنَ الشَّوَابِ، فَاَلْمَحَبَّةُ لَا تُلْقَى إِلَّا فِي قَلْبٍ طَاهِرٍ، أَمَا رَأَيْتَ الزَّارِعَ يَتَخَيَّرُ الْأَرْضَ الطَّيْبَةَ، وَيَسْقِيهَا وَيُرْوِيهَا، ثُمَّ يُثِيرُهَا وَيَقْلِبُهَا، وَكَلِمَا رَأَى حَجَرًا أَلْقَاهُ، وَكَلِمَا شَاهَدَ مَا يُؤْذِي نَحَاهُ، ثُمَّ يُلْقِي فِيهَا الْبَذْرَ، وَيَتَعَاهَدُهَا مِنْ طَوَارِقِ الْأَذَى؟ وَكَذَلِكَ الْحَقُّ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ عَبْدًا لِيُودِدَهُ حَصَدَ مِنْ قَلْبِهِ شَوْكَ الشَّرْكِ، وَطَهَّرَهُ مِنْ أَوْسَاخِ الرِّيَاءِ وَالشُّكِّ، ثُمَّ يَسْقِيهِ مَاءَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَيُثِيرُهُ بِمَسْحَاةِ الْخَوْفِ وَالْإِخْلَاصِ [الْمَسْحَاةُ: الْمَجْرَفَةُ مِنَ الْحَدِيدِ]، فَيَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فِي التَّقَى، ثُمَّ يُلْقِي فِيهِ بَذْرَ الْهَدْيِ، فَيُثْمِرُ حَبَّ الْمَحَبَّةِ) [مَوَاعِظُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ١/ ١٣].

الفوائد:

- ١ - التائب والمتطهر يتخلّقان بخلق يحبه الله.
- ٢ - الإيمان تخلية بالطُّهور، وتحلية بفعل الطاعات.
- ٣ - أساس الطهارة تطهير القلب من الشرك.

مراجع للاستزادة:

- ١ - جامع العلوم والحكم، لابن رجب.
- ٢ - رسالة طهور المسلم، لسعيد القحطاني.
- ٣ - صفة وضوء النبي ﷺ، لفهد الشويب.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ الْعَشْرُونَ

سنن الفطرة

المراد بالفِطْرَة: السُّنَّة، وقِيلَ: الدِّين، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى:

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم].

وعليه فخصال الفطرة كثيرة، منها: أمهات الأخلاق، وكل ما هو برٌّ مثل برِّ الوالدين، وصلة الرحم، وأداء حقوق الجار، ومعاونة المحتاج ماديًّا ومعنويًّا، وغيرها من الخصال الحميدة، إلا أن النبي ﷺ نص على بعضها، وأطلق عليها الفقهاء خصال الفطرة، أو سنن الفطرة.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «عشرٌ من الفطرة: قَصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، وتنفُّ الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء، قال الراوي - مصعب بن شيبة -: ونسيتُ العاشرة إلا أن تكون المضمضة».

وهذه الخصال يجمعها النظافة وحسن الهيئة التي هي أصل فطرة الإنسان. وأحكام هذه الخصال تتفاوت، فبعضها واجبٌ، وبعضها سنةٌ، وقد جمعها رسول الله ﷺ في نظم واحد؛ ليدل على أهميتها والحرص عليها.

فَقْصُ الشَّارِبِ، ورد فيه أحاديثٌ: ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحْيَ». والإحفاء المبالغة في الأخذ. وأما إعفاء اللحية فهو أمر بإطلاقها وتحريم حلقها؛ وفي رواية: «وَقَرُّوا».

والسواك: من السنن المؤكدة، ولعظيم شأنه قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» [متفق عليه]، وفي رواية للبخاري تعليقاً: «عند كل وضوء». ويتأكد السواك في مواضع، منها: عند الصلاة، وعند الوضوء، وبعد الاستيقاظ من النوم، وعند تغير الفم، وعند تلاوة القرآن، وغيرها من المواطن.

وأما **الاستنشاق**: فهو إدخال الماء في الأنف، ويلحق به الاستنثار: وهو دفع الماء للخارج، وتسبب المبالغة في الاستنشاق لغير الصائم؛ لما رواه الترمذي وصححه: «وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً»، وكذا **المضمضة**: فهي إدخال الماء في الفم، وإدارته ثم طرحه، ويسن فيهن التلثيث؛ أي أن يأتي بكل واحدة منهن ثلاث مرات.

وتقليم الأظفار: سنة، ويستحب أن يبدأ باليدين قبل الرجلين، وباليد اليمنى قبل اليسرى.

والمراد **بالبراجم**: المفاصل والعُقد التي تكون في ظهور الأصابع، ويجتمع فيها الوسخ. فيندب غسلها في الطهارة، في الوضوء والغسل وغيرهما، ويلحق بالبراجم المواطن التي يجتمع فيها الوسخ عادة: كالأذن والأنف والأظفار، وأي موضع من البدن. هذا إذا كان الوسخ لا يمنع وصول الماء إلى البشرة، أما إن منع وصول الماء إليها، فإنه يجب إزالته في الجملة، ليصل الماء إلى العضو في الطهارة.

وأما **نتف الإبط**: فالمراد إزالة شعره بحلق أو نتف، والنتف أولى لمن قوي عليه.

وأما **الاستحداد**: فهو إزالة الشعر الثابت حول العانة، روى الإمام مسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: «وُقِّتَ لنا في قص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة: ألا نترك ذلك أكثر من أربعين يومًا»؛ والمقصود من الحديث المبادرة بإزالتها قبل ذلك.

وأما **انتقاص الماء**: فقصد به النبي ﷺ: الاستنجاء من البول والغائط، وهو واجب، والأمر فيه من أجل نظافة السيلين وإزالة الخبث عن مخرجيهما.

الفوائد:

- ١ - هذه الخصال ونحوها تتضمن الطهارة والنظافة.
- ٢ - يجب الحرص والمحافظة على شعائر الإسلام.
- ٣ - دين الإسلام هو دين الفطرة ظاهرًا وباطنًا.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي.
- ٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالْعَشْرُونَ

منزلة الصلاة

لقد بلغت عناية الإسلام بالصلاة أن أمر بالمحافظة عليها في الحضر والسفر، والصحة والمرض، والأمن والخوف، فقال عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ [البقرة].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: (يأمر تعالى بالمحافظة على الصلوات عموماً، وعلى الصلاة الوسطى - وهي العصر - خصوصاً، والمحافظة عليها: أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر، خصوصاً إذا أكملها كما أمر بقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت، والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة).

إن للصلاة منزلة في الإسلام لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي أم العبادات وأفضل الطاعات، وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فرضها الله تعالى في كل دين، وخص هذه الأمة وفصلها بأن فرض عليها الصلوات الخمس في السماء ليلة المعراج، بكلام الله عز وجل لنبيه وخليفه محمد صلوات الله وسلامه عليه بلا واسطة ملك، وذلك زيادة في تأكيد فرضيتها ومنزلتها عند الله تعالى.

ويدل أيضاً على أهمية الصلاة، وعظم منزلتها عند الله تعالى، ومكانتها في الإسلام أمور كثيرة، من أهمها ما يلي:

١- أن الصلاة أول ما فرضه الله من العبادات في الإسلام، كما كانت مفروضة من قبل في الأديان السابقة.

٢- أنها أعظم أركان الإسلام ودعائمه العظام بعد الشهادتين؛ فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» [أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)].

٣- أنها عمود الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» [أخرجه الترمذي (٣٩٧٣) وقال: حديث حسن صحيح]. وإذا سقط العمود سقط ما بُني عليه.

٤- أنها قرينة التوحيد في كتاب الله مع الزكاة في أي كثيرة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة].

٥- أن الله تعالى جعل فعلها في وقتها أفضل الأعمال؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدین»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزداني. [متفق عليه].

٦- أنها أول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فصلاحه عمله بصلاحه صلاته، وفساد عمله بفسادها؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صَلَحَتْ صَلَحَ سائر عمله، وإن فَسَدَتْ فَسَدَ سائر عمله». وفي رواية: «أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن صَلَحَتْ فقد أفلح، وإن فَسَدَتْ فقد خاب وخسر» [أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٤٠٩، وصححه الألباني بمجموع طرقه، وأخرج الترمذي والنسائي نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

٧- أنها آخر ما يُفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه؛ فعن أبي أُمّة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرُوهُ عُرُوهُ! فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة» [أخرجه أحمد (٢٢١٦٠)، وابن حبان والحاكم وصححه].

٨- أنها آخر وصية أوصى بها النبي ﷺ أمته؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان من آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل نبي الله ﷺ يُجلجلها في صدره وما يفيض بها لسانه. [أخرجه أحمد (١٢١٦٩) وابن ماجه، وصححه الألباني].

٩- أن الله تعالى مدح القائمين بها، ومن أمر بها أهله، فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥ ﴿﴾ [مريم].

١٠- أن الله تعالى ذم المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال الله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]،

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾ [النساء].

١١- أنها فرضت ابتداءً خمسين صلاة، وهذا يدل على محبة الله لها، ثم خفف الله عز وجل عن عباده، ففرضها خمس صلوات في اليوم والليلة، فهي خمسون في الميزان، وخمس في العمل، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

١٢- أن الله افتتح أعمال المفلحين بالصلاة، واختتمها بالصلاة، وهذا يؤكد أهميتها، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون].

١٣- أن الله أمر النبي محمدًا ﷺ وأتباعه أن يأمروا بها أهلهم؛ فقال الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ ﴿١٣٢﴾ [طه].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [أخرجه أبو داود (٤٩٥) وصححه الألباني].

هذه بعض المظاهر التي تبين منزلة الصلاة في الإسلام، وأهميتها، ومكانتها عند الله تعالى، إلى جانب ما ورد من فضائلها العظيمة، والثواب الجزيل لمن يحافظ عليها.

فلو أن كل مسلم ومسلمة أقام الصلاة كما أقامها رسول الله ﷺ وأصحابه لكانت الأمة في عافية من الفتن والشرور والمخالفات، ولأمنت من العقوبات، ولكفاها الله شر أعدائها، ولصلحت حال كل مسلم ومسلمة، وانتظمت أحواله وحسنت عواقبه.

الفوائد:

- ١ - الصلاة من أهم العبادات وأفضل الطاعات، وهي عمود الدين.
- ٢ - أن الصلاة من أكبر العوامل المؤثرة في استقامة السلوك إذا أدت كما أمر الله سبحانه وتعالى.

مراجع للاستزادة:

- ١ - منزلة الصلاة في الإسلام، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني.
- ٢ - أهمية الصلاة في الإسلام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- ٣ - صفة صلاة النبي ﷺ، للشيخ الألباني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرس الثاني والعشرون

صلاة الجماعة

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (قوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي صلُّوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة، ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة؛ لأنه عبر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها).

مما لا شك فيه أن الصلاة أكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي عمود الدين، والفارق بين المسلم والكافر، ومن أحب الأعمال إلى الله عز وجل، وأداؤها مع الجماعة من أكد العبادات، وأجل الطاعات، ومن أعظم شعائر الإسلام.

وإن الإسلام قد اهتم بأمر صلاة الجماعة أيما اهتمام، ورغب فيها، ورتب عليها الأجر الجزيل، والثواب المضاعف، وبين أن المتخلف عنها بدون عذر يُخشى عليه من النفاق؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاةُ الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبَّوًا، ولقد هممتُ أن آمرَ بالصلاة فتقام، ثم آمرَ رجلًا يصلي بالناس، ثم أنطلقَ معي برجال معهم حُزْمٌ من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرقَ عليهم بيوتهم بالنار» [أخرجه البخاري (٦١٨) ومسلم (٦٥١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فليُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهَدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهَدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يَصِلِي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحَسِّنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» [أخرجه مسلم (٦٥٤)].

فقد جعل ابن مسعود رضي الله عنه التخلف عن الجماعة من علامات المنافق المعلوم النفاق، مما يدل على خطورة ترك الجماعة، والاستهانة بها بدون عذر. هذا، وقد وردت في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدلة كثيرة في فضل صلاة الجماعة، والحث عليها، والترغيب فيها، والتحذير من تركها، منها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوْقِهِ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرَ الصَّلَاةَ» [أخرجه البخاري (٦٢٠) ومسلم (٦٤٩)].

٢- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ» [أخرجه مسلم (٢٣٢)].

٣- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى العشاءَ في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صَلَّى الصبحَ في جماعة فكأنما صَلَّى الليل كله» [أخرجه مسلم (٦٥٦)].

٤- عن جُنْدَبِ بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلَا يَطْلُبُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبُهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» [أخرجه مسلم (٦٥٧)].

٥- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الفجرَ في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صَلَّى ركعتين، كانت له كأجر حجةٍ وعمرَةٍ تامةٍ تامةٍ تامةٍ» [رواه الترمذي (٥٨٦) وقال: حديث حسن غريب].

ومما يدل أيضًا على أهمية صلاة الجماعة وعظم شأنها: اهتمامُ النبي ﷺ بها أشدَّ الاهتمام في أشدِّ الأحوال وأصعبها، ومن ذلك:

أ- قيامه بأداء الصلاة مع الجماعة في شدة المعركة:

فقد روى الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جُهينة، فقاتلونا قتالًا شديدًا، فلما صلينا الظهر، قال المشركون: لو ملنا عليهم مِيلةً واحدةً لاقتطعناهم! فأخبر جبريلُ الرَّسُولَ ﷺ بالأمر، فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ قال: «وقالوا: إنه ستأتيهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من الأولاد». فلما حضرت العصر صَفْنًا صَفَيْنِ، والمشركون بيننا وبين القبلة. قال: فَكَبَّرَ رسول الله ﷺ وكَبَّرْنَا، وركع فركعنا، ثم سجد فسجد معه الصف الأول، فلما قاموا، سجد الصف الثاني، ثم تأخر الصف الأول، وتقدم الصف الثاني فقاموا مقام الأول، فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا، وركع فركعنا، ثم سجد وسجد معه

الصف الأول، وقام الثاني، فلما سجد الصف الثاني، ثم جلسوا جميعاً، سلم عليهم رسول الله ﷺ. [أخرجه مسلم (٧٤٠)].

ويتجلى اهتمام الرسول ﷺ بصلاة الجماعة في هذه القصة من عدة وجوه، منها:

١- أن الرسول ﷺ أدى صلاة الظهر مع الجماعة أثناء قتال قوم من جهينة، وكانوا قد قاتلوا المسلمين قتالاً شديداً.

٢- أن الاطلاع على قرار المشركين بالإغارة دفعةً واحدة أثناء تأديتهم لصلاة العصر مع الجماعة لم يقلل من اهتمامه ﷺ بها.

ب - حرصه على حضور الجماعة في شدة المرض:

فقد روى الإمام البخاري عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عَتْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقلت: ألا تحذيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى! ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فقال: «أصلى النَّاسُ؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: «ضَعُوا لي ماءً في المِخْضَبِ» قالت: ففعلنا. فاغتسل عليه الصلاة والسلام، فذهب لِنِوَاءٍ [أي ليقوم] فَأَغْمِيَ عليه، ثم أفاق عليه الصلاة والسلام، فقال: «أصلى النَّاسُ؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: «ضَعُوا لي ماءً في المِخْضَبِ» قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لِنِوَاءٍ فَأَغْمِيَ عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلى النَّاسُ؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! والناس عُكُوفٌ في المسجد [أي مجتمعون] ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء.

فأرسل النبي ﷺ إلى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول الذي بعثه الرسول ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تصلي بالناس، فقال أبو

بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكان رجلاً رقيقاً - : يا عمر، صلِّ بالناس. فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت أحقُّ بذلك. فصلى أبو بكر تلك الأيام. [أخرجه البخاري (٦٥٥)].

الله أكبر! كم كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حريصاً على حضور صلاة الجماعة! فقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتد مرضه فيغتسل ثم يُغَمِّي عليه، فيُفَيِّق فيغتسل للمرة الثانية، ثم يغمِّي عليه، فيُفَيِّق فيغتسل للمرة الثالثة، كل ذلك لعله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتسب نشاطاً يمكنه بفضل الله تعالى من حضور صلاة الجماعة في المسجد!

وكان لسلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم مواقف تدل على إدراك عظيم لفضل صلاة الجماعة، وسعيهم لنيل هذا الفضل، وحرصهم على دعوة الآخرين لأدائها بالجماعة، ومن تلك المواقف:

- ما ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يبعث غلاماً إلى من كان قد ذهب بصره كي يقوده إلى المسجد!

- وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يمر في الطريق منادياً: (الصلاة الصلاة)! كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر، ويفعل ذلك كل يوم.

- وورد عن سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد) [سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢١، وقال الذهبي: إسناده ثابت]. وجاء عنه أنه قال: (لم تفتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة) [سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢١].

- ومن المعاصرين من كان نموذجاً للرغيل الأول في ذلك، فقد ذُكِرَ عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان شديد المحافظة على صلاة الجماعة، وذات يوم فاتته صلاة الفجر جماعة، فقال لمن كان معه: هذه أول مرة تفوتني صلاة الفجر!

وأخيراً، فإن لصلاة الجماعة في المساجد فوائد عديدة أخرى غير ما تقدمت، منها: أنها رمز للتآخي ووحدة المسلمين، وجمع قلوبهم واتحاد صفوفهم، فالرب واحد، والنبي ﷺ واحد، والقبلة واحدة، والهدف واحد، وهو طلب رضا الله وجنته والسلامة من عذابه وسخطه. كما يحصل التواد والتعارف بين الناس، وهو مقصد من مقاصد الشريعة، نسأل الله أن يوفق الجميع لأداء الصلوات جماعة في المساجد، وأن يجمع كلمة المسلمين، ويوحد صفوفهم.

الفوائد:

- ١- عظم فضل صلاة الجماعة، وخطورة تركها.
- ٢- أن الجماعة رمز للتآخي بين المسلمين وجمع كلمتهم، ووحدة صفوفهم.
- ٣- حرص السلف الصالح على صلاة الجماعة.

مراجع للاستزادة:

- ١- وجوب أداء الصلاة في جماعة للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢- صلاة الجماعة في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
- ٣- أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين، للدكتور فضل إلهي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالْعَشْرُونَ

السنن الرواتب

أوجب الله تعالى على عباده الفرائض، وسنَّ رسولُ الله ﷺ لأُمَّته النوافل، لكل نوع من أنواع الفريضة تطوعاً يشبهه، فالصلاة لها تطوع يشبهها من الصلوات، والزكاة لها تطوع يشبهها من الصدقات، والصيام له تطوع يشبهه من الصيام، وذلك ليزدادوا ثواباً وقرباً إلى الله تعالى، وليجبروا الخلل الحاصل في الفرائض.

والسنة: هي ما طُلب فعلها من المكلف زيادةً على الفرائض طلباً غير جازم، بحيث يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

والسنن على أنواع: منها السنن المؤكدة، وهي التي واظب النبي ﷺ على أدائها، كالوتر والسنن الرواتب. ومنها ما هو غير مؤكد، وهي التي كان النبي ﷺ يصليها غالباً ويتركها أحياناً، مثل أربع ركعات قبل العصر.

والسنن الرواتب ثنتا عشرة ركعة في اليوم والليلة: ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء.

والسنن الرواتب نجدها مقترنة بالفرائض، فمنها ما يصلى قبل الفريضة، مثل سنة الفجر وسنة الظهر القبلية، ومنها ما يصلى بعد الفريضة، مثل سنة الظهر البعدية، وسنة المغرب والعشاء.

وقد ذكر الإمام ابنُ دقيقِ العيد رَحِمَهُ اللهُ تفسيراَ لطيفاَ في تقديم النوافل على الفرائض وتأخيرها عنها، فقال: (أما في التقديم، فلأن النفوس - لاشتغالها بأسباب الدنيا - بعيدةٌ عن حالة الخشوع والحضور التي هي روح العبادة، فإذا قَدَّمتِ النوافلُ على الفرائض أنَسَتِ النَّفْسُ بالعبادة، وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع، وأما في تأخيرها عنها، فقد ورد ما يدل على أن النوافل جابرة لنقص الفرائض).

فضل السنن الرواتب:

١ - أنها مما تُنال به محبة الله، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه عز وجل: «ولا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أُحِبَّهُ كنتُ سمعُهُ الذي يَسْمَعُ به، وبصرُهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدُهُ التي يَبْطِشُ بها، ورجلُهُ التي يَمْشِي بها، ولئن سألني لأُعْطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأُعِذَّنَّهُ» [رواه البخاري].

٢ - أنها يُسَدُّ بها خلل الصلاة المفروضة ونقصها، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أول ما يحاسبُ الناسُ به يومَ القيامةِ من أعمالهم الصلاة». قال: يقول ربنا جل وعز لملائكته - وهو أعلم - : انظروا في صلاة عبدي أتمَّها أم نقصَّها؟ فإن كانت تامةً كُتِبَتْ له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتمِّموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاك» [رواه أبو داود والترمذي].

٣ - المحافظة على هذه الركعات من أسباب دخول الجنة؛ روى الإمام مسلم من طريق النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس قال: حدثني عَبَسَةُ بن أبي سفيان

قال: سمعت أم حبيبة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبدٍ مسلم يُصلي لله تعالى كلَّ يومِ ثنتي عشرةَ ركعةً تطوعاً من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة». قالت أم حبيبة رضي الله عنها: فما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عنبسة: فما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوس: ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من عنبسة. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من عمرو بن أوس.

الفوائد:

- ١- الحرص على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، ومنها النوافل.
- ٢- النوافل سبب من أسباب محبة الرب جلّ وعلا لعبده.
- ٣- أداء النوافل والحرص عليها سبب لدخول الجنة ولرفع الدرجات.

مراجع للاستزادة:

- ١- الموسوعة الفقهية الكويتية.
- ٢- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي.

والحمد لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ

فَضْلُ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، يُحْضِّه فيه على التهجد وقراءة القرآن في تهجده، فالقرآن روح الصلاة وقوامها؛ وإنما خص الليل بالذكر لأنه «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل» كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه.

وهذا الخطاب المرغَّب في صلاة الليل يعم جميع الأمة، فصلاة النافلة من الليل أو النهار مندوبة ومشروعة لكل مكلف إلا في الأوقات المحدودة التي ورد النهي فيها.

وقد رَغِبَ رسولُ الله ﷺ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الإكثار من السجود لله تعالى، وبيَّن ثوابه، فقال للذي سأله عن عمل يُدخله الجنة أو عن أحبِّ الأعمال إلى الله: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ» [رواه مسلم]. وكثرة السجود كناية عن كثرة الصلاة.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أبيتُ مع رسولِ الله ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ». فقلت: أَسْأَلُكَ مِرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ؟» قلت: هو ذاك. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» [رواه مسلم].

وكان رسول الله ﷺ يذكر أوقاتاً مخصوصة، فيرغب في الصلاة فيها لشرفها، لأن الوقت إذا كان شريفاً كان ثواب العبادة فيه أكثر، فمن ذلك قوله ﷺ كما في حديث عبد الله بن مغلّ رضي الله عنه: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ»، ثم قال في الثالثة: «لِمَنْ شَاءَ» [متفق عليه]، ومنه قوله ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» [رواه مسلم].

وقد كانت سنة رسول الله ﷺ الفعلية ناطقة بهذا المعنى، ومُعبِّرة عنه أبلغ تعبير، فكان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فسألت عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟» [متفق عليه].

وما كان أصحاب رسول الله ﷺ ليرغبوا عن تلك السنة النبوية الطيبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لبلال رضي الله عنه عند صلاة الفجر: «يَا بَلَّالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ. [متفق عليه].

ولما سمعت أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قول رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لَهِ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»، قالت: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وقال عَنَسَةُ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ. وقال عمرو بن أوس:

ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من عَنَسَةٍ. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهنّ منذ سمعتهنّ من عمرو بن أوس. [رواه مسلم].

إن من نعم الله عز وجل أن شرع لعباده صلاة النافلة لتكملّ الفرائض، وتصلح ما فيها من نقص، فإن الفرائض يندر أن تخلو من ذلك. ويدل لهذا المعنى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن أول ما يُحاسب به العبدُ يوم القيامة من عمله صلاتُهُ، فإن صَلَحَتْ فقد أفلَحَ وأنجَحَ، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيءٌ قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكملُّ بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائرُ عمله على ذلك». [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن غريب].

وإن أفلح العبد في الحساب وصلحت صلاته، كانت نوافله في الدنيا قرباتٍ يرفعها الله بها درجات.

وإنما يكون التقرب بالنوافل ممن أدى الفرائض، لا ممن أخلّ بها وضيعها، فإن الفرض كالأصل والأُس، والنفل كالفرع والبناء، والنافلة إنما سميت نافلة لأنها زائدة على الفريضة؛ فمن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك، تحققت منه إرادة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى التي تورث محبته.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «.. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ» [أخرجه البخاري].

الفوائد:

- ١- حرص رسول الله ﷺ وأصحابه على الإكثار من النوافل.
- ٢- كثرة السجود سبب في حط الخطايا ورفع الدرجات.
- ٣- النوافل تكمل الفرائض وتصلح ما فيها من نقص.
- ٤- التقرب بالنوافل يكون بعد أداء الفرائض.

مراجع للاستزادة:

- ١- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، للحافظ ابن رجب.
- ٢- رياض الصالحين، للإمام النووي.
- ٣- صلاة التطوع، د. سعيد بن وهف القحطاني.
- ٤- بغية المتطوع في صلاة التطوع، د. محمد بن عمر بازمول.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالْعَشْرُونَ

صَلَاةُ الْاسْتِخَارَةِ

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) [القصص].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (والمعنى: وربك يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار من يشاء لطاعته) [تفسير القرطبي].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يَعْلَمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ...» [أخرجه البخاري (١١٦٢)].

تعريف الاستخارة:

الاستخارة: هي طَلَبُ الْاِخْتِيَارِ، أَيِ طَلَبُ صَرْفِ الْهِمَّةِ لِمَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْأُولَى، إِمَّا عَنْ طَرِيقِ الصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ الْوَارِدِ فِي الْاسْتِخَارَةِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ الدُّعَاءِ فَقَطْ.

حكم الاستخارة:

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْاسْتِخَارَةَ سُنَّةٌ.

حِكْمَةُ مَشْرُوعِيَّتِهَا:

هِيَ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْحَوْلِ وَالطَّوْلِ، وَالْإِتِّجَاءُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَا شَيْءَ أَنْجَعُ لِدَلِكِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ، وَالشَّاءِ عَلَيْهِ، وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ.

والاستِخارةُ تكونُ في الأمورِ التي لا يدري العبدُ وجهَ الصوابِ فيها، أمّا ما هو معروفٌ خيره أو شره، كالعباداتِ وصنائعِ المعروفِ، وكالمعاصي والمُنكراتِ، فلا حاجةَ إلى الاستِخارةِ فيها، إلّا إذا أرادَ بيانَ خصوصِ الوقتِ، كالحجِّ مثلاً في هذهِ السّنة؛ وعلى هذا فلاستِخارةُ لا محلّ لها في الواجبِ والمندوبِ والمكروهِ والحرامِ، وإنّما تكونُ في المُباحاتِ.

هل للمسلم أن يستشير غيره قبل الاستِخارة؟

قال الإمام النّووي رَحِمَهُ اللهُ: (يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَشِيرَ - قَبْلَ الاستِخارةِ - مَنْ يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ النَّصِيحَةَ وَالشَّفَقَةَ وَالخَبْرَةَ، وَيَثِقُ بِدِينِهِ وَمَعْرِفَتِهِ؛ قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وإذا استشارَ وظهرَ أنّه مصلحةٌ، استخارَ اللهَ تعالى في ذلك).

كَيْفِيَّةُ الاستِخارةِ:

وَرَدَ في الاستِخارةِ كِيفِيَتَانِ:

الأولى: أن يصلي ركعتين من غير الفريضة بينة الاستِخارة، ثم يكون الدعاء المأثور بعدها.

الثانية: أن تكون بالدعاء فقط من غير صلاة، إذا تعذرت الاستِخارة بالصلاة والدعاء معاً.

وَقْتُ الاستِخارةِ:

إذا كانت الاستِخارة بالدعاء فقط فتجوز في أيّ وقتٍ من الأوقات؛ لأنّ الدعاء غير منهي عنه في جميع الأوقات.

أَمَّا إِذَا كَانَتْ الْاسْتِخَارَةُ بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ فِي أَوْقَاتِ الْكَرَاهَةِ؛ لِعُمُومِ أَحَادِيثِ النَّهْيِ، وَمِنْهَا الْحَدِيثُ الْمَتَّفِقُ عَلَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (شَهِدَ عِنْدِي رَجُلٌ مَرَضِيٌّ، وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ).

إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي تَسْتَخِيرُ لَهُ يَفُوتُ، فَيَجُوزُ أَنْ تَصَلِيَ فِي وَقْتِ النَّهْيِ وَتَسْتَخِيرَ.

دُعَاءُ الْاسْتِخَارَةِ:

الدُّعَاءُ الْمُسْتَحَبُّ لِلْاسْتِخَارَةِ وَرَدَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَتَّقِمِ، وَهُوَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَقُدِّرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، قَالَ: وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ» [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٠٩)].

مَوْطِنُ دُعَاءِ الْاسْتِخَارَةِ:

الدُّعَاءُ يَكُونُ عَقِبَ الصَّلَاةِ، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا جَاءَ فِي نَصِّ الْحَدِيثِ السَّابِقِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تكرار الاستخارة:

للمسلم أن يكرر الاستخارة، وذلك عِنْدَ عَدَمِ ظُهُورِ شَيْءٍ لِلْمُسْتَخِيرِ، فإذا ظَهَرَ لَهُ مَا يَنْشُرُحُ بِهِ صَدْرُهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى التَّكَرُّارِ.

الفوائد:

- ١ - على المسلم أن يتوجه إلى الله مستعيناً به في كل أحواله.
- ٢ - استحباب صلاة الاستخارة، وحرص النبي ﷺ على تعليمها.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الأذكار، للإمام النووي.
- ٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ

بعض آداب المسجد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١٨) [التوبة].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ دليل على أن الشهادة لعمَّار المساجد بالإيمان صحيحة؛ لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها، وقد قال بعض السلف: إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن).

وروى الإمام مسلمٌ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد! فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه! مه! قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ». فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعا، فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلحُ لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن».

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ شارحًا الحديث: (فيه صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقدار والقذى والبصاق ورفع الأصوات والخُصومات والبيع والشراء وسائر العُقُود وما في معنى ذلك).

وإن للمسجد آدابًا، نذكر منها ما يلي:

١- ينبغي على المتجه إلى المسجد أن يمشي بسكينة ووقار، ولا يتعجل في السير، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى قال: «ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: «فلا تفعلوا، إذا أتممت الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فاتُّموا».

٢- من السنة لداخل المسجد أن يدخل برجله اليمنى، وإذا أراد الخروج أن يخرج برجله اليسرى؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يقول: «من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى» [رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم].

٣- ويسن للداخل إلى المسجد أن يصلي على رسول الله ﷺ، ويدعو عند دخوله وخروجه بالدعاء الوارد في ذلك، وهو ما رواه مسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك». ورواه أبو داود بزيادة: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي، وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان».

٤- كما يستحبُّ له أن يركع ركعتين قبل أن يجلس، لما رواه البخاري ومسلم: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين».

٥- إذا دخل المسلم المسجد، ثم أُذِّن للصلاة فلا يخرج من المسجد إلا بعد أداء الصلاة مع الجماعة، إلا إن عَرَضَ له عذر يقتضي خروجه، كأن يخرج للوضوء، أو لما تدعو ضرورة إليه، فقد خرج رجل من المسجد بعدما أُذِّن فيه، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: «أما هذا فقد عصى أبا القاسم عليه السلام» [رواه مسلم].

٦- الاعتناء بنظافة الملابس وحسن المظهر، وأن يتطيب إن قَدَرَ على ذلك، وخاصةً في الجُمُع والأعياد، لقوله تعالى: ﴿يَبْتَغِيْ أَدَمَ حُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف].

٧- وينبغي لداخل المسجد أن يتجنَّب الأشياء التي لها روائح كريهة، مثل الثوم والبصل والكُرَّاث، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يعني الثوم - فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا - أو مساجدنا» [متفق عليه]، وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَكَلَ البصل أو الثوم أو الكُرَّاث فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» [متفق عليه].

ومما يدخل في الأذية، وقد انتشر في هذه الأيام، تلك الرنات والنعومات التي تنبعث من الهاتف المحمول - الجوال - فإن فيها أذيةً للمسلمين بالتشويش عليهم في صلواتهم، وسلبِ خشوعهم، وإهانةً لبيوت الله، وعدم المبالاة بتعظيمها وتكريمها وتشريفها، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شَعْبًا لَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٩].

٨- عدم نِشْدَان الضالة، فإن مما عمت به البلوى وانتشر أن الناس إذا ضاع منهم شيء، أول ما يتبادر إلى أذهانهم الإعلان عنه في المساجد، وهذا

مما لا يجوز فعله في المسجد، وقد عَلَّمَنَا النبي ﷺ أَنْ ندعو على مَنْ نَشُدُّ ضَالَّةً في المسجد بَلَّا يردّها الله عليه، ففيما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ رجلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً في المسجد، فليقل: لَا رَدَّهَا الله عليك؛ إِنَّ المساجدَ لم تُبْنَ لهذا».

والمقصود أن المساجد لم تبني للإعلانات وما يتعلق بأمور الدنيا، وإنما بنيت للصلاة، وقراءة القرآن، والذكر والدعاء، وتعلم العلم.

الفوائد:

- ١- يجب على المسلم تعظيم شعائر الله.
- ٢- الحرص على ارتياد المسجد والاهتمام به.

مراجع للاستزادة:

- ١- المساجد في الإسلام، خير الدين وانلي.
- ٢- مساجدنا، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.
- ٣- المساجد، للشيخ سعيد القحطاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ

عقوبة مانع الزكاة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

تعرَّضَ الآيتان بأسلوب مُخيف ومروِّع، في إجمال وتفصيل، مصير الكانزين للذهب والفضة الذين لا ينفقونها في سبيل الله، إنهم قوم جمعوا المال وكنزوه لتحصيل اللذة والسعادة، ولم يؤدوا زكاته، فعذبوا به في الآخرة؛ أُحمِيَ على ذهبهم وفضتهم في نار جهنم، فُكُوِيََتْ بها جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، ثم قيل لهم تبكيًا وتقريعًا وتهكِّمًا: ﴿هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾؛ أي هذا بذاك، فمن أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله، عُدَّ به.

وقد بينت السنة المطهرة بعض ما أجملته هذه الآية الكريمة من صنوف عذاب أولئك في ذلك اليوم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدِّي منها حقَّها، إلا إذا كان يومُ القيامة صُفِّحَتْ له صفائحٌ من نار، فأُحمِيَ عليها في نار جهنم، فيُكْوَى بها جنبه وجبته وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقْضَى بين العباد، فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة، وإمَّا إلى النار» [رواه مسلم].

ويؤكد هذا المعنى كذلك حديث آخر لأبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعَ لَهُ زَبَيَّتَانِ، يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْرَيْمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكُ، أَنَا كَنْزُكَ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران] [متفق عليه].

فالإسلام يُنذر مانعي الزكاة بهذا العذاب الشديد في الآخرة، لينبه القلوب الغافلة، ويحرك النفوس الشحيحة إلى البذل، ويسوقها بعصا الترغيب والترهيب إلى أداء الواجب طوعًا، وإلا سيقَّت إليه بعصا الإمام وسيفه كرهًا. إن الزكاة هي ثالث دعائم الإسلام الخمس التي لا يقوم بناؤه إلا بها، ولا يركز إلا عليها، يكفر مَنْ جَحَدَهَا، وَيَفْسُق مَنْ مَنَعَهَا، وَيُقَاتِل مَنْ تَحَدَى جماعة المسلمين بتركها، وحسبنا أن أبا بكر رضي الله عنه لَمَّا مَنَعَ بَعْضُ قِبَائِلِ الْعَرَبِ أداءَ الزكاة واكتفوا من الإسلام بالصلاة دون الزكاة، قَاتَلَهُمْ، وقال في شجاعة وحزم قولته المشهورة: «وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا [الأنثى من ولد المعز] كَانُوا يُوَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ» [متفق عليه].

وَلِعَظَمَ مَنْزِلَةَ الزَّكَاةِ تَوَلَّى اللَّهُ قِسْمَتَهَا بِنَفْسِهِ عَلَى مَصَارِفِهَا الثَّمَانِيَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

وجدير بنا أن نعلم أن الزكاة في الإسلام ليست تبرعًا يتفضل به غنيٌّ على فقير، أو يُحسن به واجدٌ إلى مُعَدِمٍ؛ إنها أبعدُ من ذلك معنًى وأجملُ صورةً،

فهي نقل الأمة بعض مالها من إحدى يديها، وهي اليد الغنية التي استُخِلت على حفظه وتنميته والتصرف فيه، إلى اليد الفقيرة العاملة التي لا يفي عملها بحاجتها أو التي عَجَزَت عن العمل.

وعلى ذلك تدل وصية رسول الله ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ لَهُ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» [متفق عليه].

إن الزكاة حقاً هي سياجٌ على المجتمع كله - أغنيائه وفقرائه - من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن، وطهارةٌ له وتزكية، ولعل هذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) [التوبة].

الفوائد:

- ١ - جاحد الزكاة كافر، ومانعها فاسق.
- ٢ - مانع الزكاة يستحق في الآخرة شتى أصناف العذاب.
- ٣ - الزكاة حق للفقراء على الأغنياء، وليست تفضلاً منهم عليهم.

مراجع للاستزادة:

- ١ - تفسير ابن كثير.
- ٢ - فقه الزكاة، للقرضاوي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْس الثَّامِن والعشرون

فضل نوافل الصيام

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ» [رواه البخاري (٦١٣٦)].

هذا الحديث القدسي يبين أن من سعى في نوافل العبادات تقرباً إلى الله تعالى أحبه الله، ووفقه لما يحبه ويرضاه، وكان الله معه، يجيب دعاءه، ويُعِيذُهُ مما يخاف ويَحْذَرُ، والصيام من أحب الأعمال إلى الله؛ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُو شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي» [رواه مسلم (١١٥١)].

وصيام التطوع على أنواع:

١ - صيام يوم وإفطار يوم:

وهو أفضل صيام التطوع، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا» [رواه البخاري (١٠٧٩) ومسلم (١١٥٩)].

٢- صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل أن تكون الأيام البيض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقُد» [رواه البخاري (١٨٨٠) ومسلم (٧٢١)].

وعن ملحان القيسي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نصوم البيض: ثلاثَ عشرة، وأربعَ عشرة، وخمسَ عشرة، وقال: هنّ كهيئة الدهر» [رواه أبو داود (٢٤٥١)، وصححه الألباني].

٣- صيام الأيام التسعة الأولى من ذي الحجة، وآخرها يوم عرفة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام» - يعني أيامَ العشر - قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيل الله، إلا رجلُ خرَجَ بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» [رواه البخاري وأبو داود (٤٢٠٤) واللفظ له].

٤- صيام يوم عرفة:

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ» [رواه مسلم (١١٦٢)].

٥- صيام يوم عاشوراء، وهو العاشر من المحرم:

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» [رواه مسلم (١١٦٢)]. ويستحب صيام تاسوعاء معه.

٦- صيام الاثنين والخميس:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ
الاثنين والخميس، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» [رواه الترمذي (٧٤٧)]
وقال: حديث حسن.

٧- صيام ستّ من شوال:

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ،
ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» [رواه مسلم (١١٦٤)].
من هذه الأحاديث يتبين لنا منزلة نوافل الصيام في ديننا، وأنه ينبغي
الحرص على أدائها.

الفوائد:

- ١- نوافل الصيام من أعظم الطاعات.
- ٢- صيام النوافل مغفرة للسيئات.
- ٣- حرص النبي ﷺ على صيام النوافل.

مراجع للاستزادة:

- ١- رياض الصالحين، للإمام النووي.
- ٢- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالْعَشْرُونَ

فَضْلُ الْحَجِّ

فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَجَّ عَلَى عِبَادِهِ، فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَجَعَلَهُ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ؛ قَالَ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ...» وَذَكَرَ مِنْهَا: «وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» [متفق عليه].

وَقَدْ فَرَضَ الْحَجَّ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، وَحَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ؛ فَلَمَّا حَجَّ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فَلَا يَتِمُّ دِينُ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ؛ إِنْ كَانَ مُسْتَطِيعًا.

وَمِنْ أَعْظَمِ حِكَمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِجْبَابِ الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنْ يَحَقِّقُوا الْعِبُودِيَّةَ لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيَعْلَنُوا التَّوْحِيدَ بِالتَّلْبِيَةِ الْخَالِدَةِ بِقَوْلِهِمْ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ».

وَالْحَجُّ مَدْرَسَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ مُتَكَامِلَةٌ، يَتَلَقَّى فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ دُرُوسًا عَظِيمَةً، تُعِيدُ لِلنَّفْسِ طَهَارَتَهَا، وَلِلْقَلْبِ إِخْلَاصَهُ وَتَوْحِيدَهُ.

يَجْتَمِعُ النَّاسُ لَهُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ؛ وَيَرْتَدُّونَ زِيًّا وَاحِدًا، لَا فَرْقَ بَيْنَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ، وَرَأْسِهِمْ وَمَرْؤُسِهِمْ، وَغَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، وَأَبْيَضِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ؛ لِيَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.

ومن تمام رحمةِ أرَحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْ جَعَلَ لِلْحَجِّ مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ كَمَا جَعَلَ لَهُ مَنَافِعَ دِينِيَّةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، فَمِنْ هَذِهِ الْمَنَافِعِ:

١- التَّجَارَاتُ بَيْنَ الْحَاجِّجِ، وَتَبَادُلُ السَّلْعِ وَنَحْوَهَا، وَالِاتِّفَاعُ مِنَ الذَّبَائِحِ وَاللُّحُومِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْحَاجُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ يَأْكُلُونَ مِنْهَا، وَيَطْعَمُونَ الْفَقِيرَ وَالْمَسْكِينَ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَكِيسَ الْفَقِيرَ﴾ (٢٨) [الحج]. وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ الْمَنَافِعِ الْمَنَافِعُ الدِّينِيَّةُ؛ وَهِيَ الْقَصْدُ الْأَعْلَى لِلْمُسْلِمِ.

٢- أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَجَّ سَبِيلًا عَظِيمًا لِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرُفْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» [متفق عليه]. وَقَالَ ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» [متفق عليه].

فَالْحَجُّ - وَغَيْرُهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ - مِنْ أَسْبَابِ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، إِذَا أَدَّاهَا الْعَبْدُ عَلَى وَجْهِهَا الشَّرْعِي إِخْلَاصًا وَصَوَابًا. وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ يَكْفِّرُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا؛ لظَاهِرِ الْحَدِيثَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحِجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» [رواه النسائي والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب].

٣- لَمَّا أَسْلَمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ نَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ؟» [رواه مسلم].

٤- وهو من أفضل الأعمال، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ سئل: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمانٌ بالله ورسوله»، قال: ثم أيُّ؟ قال: «الجهادُ في سبيل الله»، قال: ثم أيُّ؟ قال: «حجٌّ مَبْرُورٌ» [متفق عليه].

ولا يزال الناس يحجُّون منذ عَرَفَ النَّاسُ الْبَيْتَ وَإِلَى أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، قال النبي ﷺ: «لِيَحْجَّ النَّاسُ الْبَيْتَ، وَلِيَعْتَمِرْنَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» [رواه البخاري].

فإذا قَبَضَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا شَرَارُ الْخَلْقِ، تَوَقَّفَ الْحَجُّ، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحْجَّ الْبَيْتُ» [رواه ابن حبان].

الفوائد:

- ١- في كل شيء من أفعال الحجِّ تذكرةٌ للمتذكر، وعبرةٌ للمعتبر.
- ٢- الحجُّ سببٌ لغفران الذنوب.
- ٣- الحجُّ المبرورُ جزاؤه الجنة.

مراجع للاستزادة:

- ١- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي.
- ٢- رياض الصالحين، للنووي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّلَاثُونَ

أَحْكَامُ الْيَمِينِ

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ، إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرْتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]

تعريف اليمين:

اليمين لغةً: تطلق على معانٍ، منها القوة، واليد اليمنى، والقسم والحلف.

وفي الاصطلاح: توكيد الشيء بذكرٍ معظم بصيغة مخصوصة.

وقد بين الله جلَّ في علاه أقسامَ اليمين وحكمها، ورحم عباده فعفا عن اللغو، وجعل مخرجاً لليمين المنعقدة، فأوجب فيها الكفارة، مِنَّةً منه وفضلاً، ثم أرشدهم إلى حفظ أيمانهم، فلا يتركونها بغير تكفيرٍ إن حنثوا بها، ويُقِلُّونَ منها؛ لأن من حلف في كلِّ قليل وكثير بالله تعالى انطلق لسانه بذلك، ولا يبقى لليمين في قلبه وقعٌ، فلا يُؤْمَنُ إقدامه على اليمين الكاذبة، فيختل الغرض الأصلي لليمين، وكلما كان الإنسان أكثرَ تعظيماً لله تعالى كان أكملَ في العبودية، فيكون ذكرُ الله تعالى عنده أجلاً وأعظمَ من أن يستشهد به في غرض دنيوي.

أقسام اليمين ثلاثة:

١ - اليمين الغموس: وهي اليمين المحلوقة مع كذب صاحبها عمداً وعلمه بالحال، وسميت غموساً؛ لأنها تغمسُ صاحبها في الإثم.

واليمين الغموس جاء فيها الوعيد الشديد، والتخويف الأكيد، فنطقت آيات كثيرة بزمها وذم أصحابها، وصارت دليلاً على نفاقهم؛ لأن الكذاب يدرك أن الناس لا يثقون به ولا يصدقونه؛ فيكثر من الحلف ليدأوي كذبه ويستجلب ثقة الناس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوْلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٥ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝١٦﴾ [المجادلة].

ووردت أحاديث صحيحة في بيان أنها من الكبائر الموبقات؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» [متفق عليه]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيمينه، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، فقال رجل: «وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن قُضِيًّا مِنْ أَرَاكِ» [أخرجه مسلم].

لكن يستثنى من ذلك ما إذا كان هناك مقصود واجب شرعاً، فإن حلف كاذباً فلا شيء عليه؛ كأن يحلف لينجي إنساناً معصوماً من هلكة؛ كما روي عن سويد بن حنظلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا نريد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعنا وائل بن حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخذه عدو له، فتحرج القوم أن يحلفوا، فحلفت أنا أنه أخي، فذكرت ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقْتَ! الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ» [أخرجه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

٢- اليمين المنعقدة: وهي اليمين على أمر في المستقبل غير مستحيل عقلاً، سواء أكان نفيًا أم إثباتاً. وهذه فيها الكفارة المذكورة في آية المائدة المتقدمة إن حنث فيها.

والأصل فيها الكراهة إلا في طاعة، أو حاجة دينية، أو دعوى عند حاكم. والبر بها أفضل من الحنث فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. إلا إذا رأى غيرها أحقَّ منها، فحينئذٍ يحنث ويأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه؛ كما قال النبي ﷺ: «إني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني» [متفق عليه].

وكفارة اليمين: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. وليس له أن ينتقل إلى الصيام مع قدرته على واحد من الثلاثة المذكورة قبله.

٣- يمين اللغو: وهي اليمين التي يسبق اللسان إلى لفظها بلا قصد لمعناها؛ كقول الرجل: لا والله، وبلى والله، وما شابه ذلك، ولا كفارة فيها؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ما يجوز الحلف به:

إن الله تبارك وتعالى يُقسم بما شاء من مخلوقاته؛ أقسم سبحانه في كتابه بالشمس والقمر والضحى والعصر وعمر النبي ﷺ وغير ذلك مما هو مشهور. أما نحن - عباد الله - فلا يجوز لنا الحلف إلا بالله تعالى، أو اسم من أسمائه الحسنى، أو صفة من صفاته العليا.

فلا يجوز للإنسان أن يحلف بأبيه أو ابنه، أو بالملائكة أو الأنبياء ﷺ، أو غير ذلك من المخلوقات، سواء أتى الحالف بهذه الألفاظ عقب حرف القسم، أم أضاف إليها كلمة: «حق» أو «حياة» أو نحو ذلك،

فَالْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ مِنَ الشَّرْكِ الْأَصْغَرِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ» [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ].

وَلَا تَعَدُّ هَذِهِ الصِّيغَةُ يَمِينًا شَرْعِيَّةً، وَلَا يَجِبُ فِيهَا كَفَّارَةٌ؛ لَوُرُودِ النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]. وَقَالَ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

وَأَدْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَأُمِّي وَأَبِي، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ». قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا. [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

الفوائد:

- ١ - تعظيم اليمين وحفظها والتقليل منها أمر مندوب إليه شرعاً.
- ٢ - الإكثار من الحلف ليس من صفات أهل الإيمان.
- ٣ - لا يجوز الحلف إلا بالله تعالى، أو اسمٍ من أسمائه، أو صفةٍ من صفاته.

مراجع للاستزادة:

- ١ - المغني، لابن قدامة المقدسي
- ٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية.
- ٣ - أحكام اليمين بالله، لخالد المشيقح.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ

الوصية

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة].

اشتملت هذه الآية على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين، وهذا كان قبل نزول آية الموارث، فلما نزلت آية الفرائض التي في سورة النساء نُسخَتْ هذه في حَقِّ الورثة، وبقيت في غيرهم؛ وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ» [أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». قال عبدُ الله ابن عمر رضي الله عنهما: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي. [متفق عليه].

فحثَّ النبي ﷺ على الوصية، وأن تكون مَكْتُوبَةً عِنْدَهُ، فيستحبُّ تعجيلُها، وأن يكتبَ فيها ما له وما عليه، مِنْ حَقُوقِ النَّاسِ؛ لِئَلَّا تُضَيَّعَ عَلَيْهِمْ، أَوْ حَقُوقِ لَهُ عَلَى النَّاسِ، لِئَلَّا تُضَيَّعَ عَلَى الْوَرِثَةِ مِنْ بَعْدِهِ.

ما مقدار الوصية؟

أجاز الشرع الوصية بثُلث التركة فما دون، واستحب العلماء أن تُقَصَّ الوصية عن الثلث، لأن النبي ﷺ حَكَمَ بِأَنْ الثُلُثُ كَثِيرٌ.

وتكره الوصية بأكثر من الثلث، كما تكره الوصية لوارث، فإن أوصى بأكثر من الثلث، فتنفيذ الثلث واجب على الورثة، وأما ما زاد على الثلث فيتوقف على إجازتهم ورضاهم، فإن أجازوا ما زاد على الثلث، صحت الوصية به ونفذت، وإن ردّوا ولم يقبلوا فتبطل فيما زاد على الثلث. وإن رضي بعضهم وردّ بعضهم، فينفذ في نصيب من أجاز بنسبة حصته.

وكذلك إن أوصى لوارث، يتوقّف فيها، فإن أجاز بقية الورثة صحت الوصية ونفذت، وإن لم يُجيزوا، فتبطل الوصية للوارث.

هل تُقدّم الوصية على الدين في الأداء؟

قال تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، قدّم الله تعالى ذكر الوصية في الآية، وآخر الدين، فيدلّ الظاهر على تقديمها في الأداء كذلك، لكنّ الأمر على خلاف هذا الظاهر، فالدين مُقدّم عليها بالإجماع، وإنما قدّم ذكر الوصية في الآية؛ لأنّ الوصية أقلّ لزومًا من الدين، وأقلّ اهتمامًا بها، ولكثرة وجودها، فصارت كاللزام لكلّ ميت.

وأخر الدين لشذوذه، فقد يكون وقد لا يكون، فبدأ بذكر ما لا بُدّ منه، ثمّ عطف الذي قد يقع أحيانًا، ولأنّها حظّ المساكين والضعفاء، وصاحب الدين يطلبه بقوة وسلطان.

وأمر الله تعالى بعدم كتمان الوصية، وحثّ على إظهارها، وعدم التلاعب بمضمونها، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِي يَبْدُلُوهُ﴾ [البقرة: ١٨١]، أما إذا أوصى بخمر أو شيء من المعاصي، فهذا يجب تبديله ولا يجوز إمضائه.

الفوائد:

- ١- في الوصية ندبٌ إلى التأهب للموت، والاحترازِ قبلَ الفَوتِ؛ لأنَّ الإنسانَ لا يدري متى يَفْجُوهُ الموتُ.
- ٢- حاجةُ الناسِ إلى الوصية للازدياد في القُرْبَاتِ والحسنات، ونوالِ الثواب والدرجات، ولتَدَارُكِ ما فرط به الإنسانُ في حياته مِن أعمال الخير.
- ٣- ندب الشرع إلى صلة الرَّحِمِ والأقاربِ غيرِ الوارثين.
- ٤- سَدُّ خَلَّةِ المحتاجين، وتخفيفُ الكرب عن الضَّعفاءِ والمَساكينِ.

مراجع للاستزادة:

- ١- المغني، لابن قدامة المقدسي.
- ٢- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.
- ٣- الموسوعة الفقهية الكويتية.

والحمدُ لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ

أَحْكَامُ الْحِدَادِ

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

قال ابن كثير والقرطبي رحمهما الله، في معنى ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: هو التَّانِي والتَّصَبُّرُ والانتظار عن النكاح ودواعيه، وأمرٌ من الله للمسلمات أن يَعْتَدِدْنَ أربعة أشهرٍ وعَشْرًا. اهـ ملخصًا.

وعن زينب بنت جحشٍ وأم حبيبة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» [رواه البخاري ومسلم].

تعريف الحِداد:

هو اجتناب المرأة ما يدعو إلى زواجها أو يرغب في النظر إليها من الزينة والطيب ونحوهما في عدة وفاة زوجها.

حُكْمُ الْحِدَادِ عَلَى الزَّوْجِ الْمَيِّتِ:

هو واجب على كل مسلمة تُوفِّي عنها زوجها، سواء دخل بها أم لا، وذلك بإجماع العلماء؛ فلو تركت الإحْدَادَ متعمِّدَةً، أَثِمَّتْ ووجب عليها التوبة والاستغفار، أما إن كانت جاهلةً كحال النساء في البوادي البعيدة فلا إثم عليها، ولا يُعاد الحِداد، لأنه مُؤَقَّتٌ بوقتٍ إن مضى فات ولا يُعاد.

الحكمة من الحداد:

للحداد حِكْمٌ كثيرةٌ، منها:

- ١ - التأكد من براءة الرحم؛ حفظاً للأنساب.
- ٢ - بيانُ عظمةِ عقد الزواج، وأنه ميثاقٌ غليظٌ كما وصفه القرآن بذلك.
- ٣ - مراعاةُ لحال الزوجة وأهل الزوج فيما ينتابهم من حزنٍ لفقد فقيدهم، فشرع الله لها قدرًا يمكن فيه تنفيسُ هذه المشاعر مع المحافظة على حكم الله.

الحداد المشروع نوعان:

- النوع الأول: حداد المرأة على زوجها المتوفى عنها، وهو أربعة أشهرٍ وعشرة أيام؛ وهو واجب كما سبق، وهو المراد عند الإطلاق.
- النوع الثاني: حداد المرأة على غير زوجها، فهو جائز بشرط ألا يزيد على ثلاثة أيام، قال ابن القيم رحمته الله: (فإنَّ الإحداد على الزوج واجبٌ، وعلى غيره جائزٌ).

ومن الصور الخاطئة والمنتشرة في بعض البلدان: أن تُحدَّ المرأة على أبيها أو أخيها أو ابنها شهرًا أو نحو ذلك، مما يُدخل الهمَّ والضيقَ على البيت، ويُخلُّ بحقِّ الأزواج، فإن هذا كله مما لا يجوز، وقد نصَّ العلماءُ أنَّ الزوج لو طالب زوجته بحقه في الفراش في الأيام الثلاثة التي أبيح لها فيها الحداد؛ فإنه يجب عليها إجابته، وهذا في أيام الحداد المشروعة، فما بالك فيما زاد على ذلك!

مدة الإحداد على الزوج:

الزوجة غير الحامل: تعتدُّ على زوجها أربعة أشهرٍ وعشرًا، أما الحامل فإن عدتها تنتهي بوضع الحمل، لقوله تعالى: ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

متى يبدأ حساب عدة الحداد؟

تبدأ المعتدة حساب العدة من يوم وفاة زوجها، فلو جاء خبر الوفاة متأخرًا فحساب العدة من يوم الوفاة وتكمل ما بقي؛ وإن تأخر الخبر إلى بعد مضي مدة العدة فليس عليها عدة.

ما يحرم على المعتدة؟

يحرم عليها خمسة أمور: الزينة، والطيب، سواءً في البدن أو الثياب، والتحلي بالذهب والفضة والماس وغيرها من أنواع الحلي، والكحل في العينين إلا لمرض في العين، والخروج من البيت الذي كانت تسكنه مع زوجها إلا لضرورة؛ لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١].

عادات لا أصل لها في الحداد:

انتشر بين الناس - ولا سيما النساء - عادات يُظنُّ أنها من واجبات الحداد، وهي لا أصل لها! مثل التزام المرأة لباسًا معينًا للإحداد أو لونًا معينًا؛ وامتناعها عن تمشيط رأسها، وامتناعها عن الاغتسال إلا يوم الجمعة، وامتناعها عن

البروز للقمر، وعن الصعود إلى سطح البيت، ونحو ذلك من الأمور التي لا أصل لها في الشرع، والله تعالى أعلم.

الفوائد:

- ١ - الحداد على الزوج واجب، وعلى غيره جائز.
- ٢ - الحداد له حكمٌ كثيرة، منها: أنه صيانةٌ للميثاق الغليظ بين الزوج والزوجة، وأنه استبراءٌ للرحم.
- ٣ - تشريع الحداد موافق لما جبل عليه البشر من الحزن والألم عند المصائب.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الإمداد بأحكام الحداد، د. فيحان المطيري.
- ٢ - الجائز والممنوع في الحداد المشروع، شبيب الزعبي.
- ٣ - الموسوعة الفقهية الكويتية ٢ / ١٠٥.

والحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث الأخلاق

- الدرس الثالث والثلاثون: الصدق.
- الدرس الرابع والثلاثون: الأمانة.
- الدرس الخامس والثلاثون: الكرم.
- الدرس السادس والثلاثون: الحلم.
- الدرس السابع والثلاثون: التواضع.
- الدرس الثامن والثلاثون: لين الجانب.
- الدرس التاسع والثلاثون: العدل.
- الدرس الأربعون: المواساة.
- الدرس الحادي والأربعون: المروءة.
- الدرس الثاني والأربعون: سلامة الصدر.
- الدرس الثالث والأربعون: بر الوالدين.
- الدرس الرابع والأربعون: حسن الجوار.
- الدرس الخامس والأربعون: حقوق الأخوة.
- الدرس السادس والأربعون: أدب الحديث.
- الدرس السابع والأربعون: من آداب المجالس.
- الدرس الثامن والأربعون: «إمليك عليك لسانك».
- الدرس التاسع والأربعون: كف الأذى.
- الدرس الخمسون: الغضب.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ

الصَّدَق

قال الله تعالى: ﴿وَلِإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ۖ﴾ ﴿٧﴾ لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب].

الصدق فرع عن الإخلاص الذي هو أساسُ العبادة لله، وهو من أخلاق الإسلام العالية وآدابه السامية، يتحلى به الأفاضل من الناس، ولا يتجمل به إلا الذين صفت أرواحهم من الكدر، وطهرت قلوبهم وسَلِمَت صدورهم من الغش، وعَلَت نفوسهم عن كل حقير ودنيء، فوثقوا بما عند الله من جزاء للصادقين، فقدّموا رضا الله على رضا الناس، فما أكَمَلَ يَقِينَهُم بالله! وما أَكثَرَ خوفَهُم من عذاب الله! ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، لقد عرفوا الدنيا حق معرفتها، وعلموا أن الكذب يُهينُ كرامة الإنسان، وَيُسِيءُ سُمْعَتَهُ، وَيُضِيعُ الْحَقُوقَ، وَيُورِثُ صَاحِبَهُ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ الْمُهِينَ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الزمر].

فالصدق من أَجَلِّ الوسائل التي تحبب الإنسان للناس وتجعله محلَّ ثقتهم. والصدق في الحديث من أعظم الأمور، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَضْمَنُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اَصْدُقُوا

إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمْتُمْ، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم» [رواه أحمد (٥٢٣) وابن حبان (٢٧١)].

في هذا الحديث يضع الرسول ﷺ ستَّ دعاماتٍ لبناء المجتمع المسلم، ويضمن الجنة لمن تخلَّق بتلك الأخلاق وحرَّص عليها، وأهمها وأولها صدق الحديث، ثم الوفاء بالوعد، وأداء الأمانة، وحفظ الفرج، وغض البصر، وكف الأذى.

والدَّعامة الأولى الصدق: «اصدِّقوا إِذَا حَدَّثْتُمْ»، كما أن الرسول ﷺ قد بيَّن أن الصدق منبع الخير كله، حين قال في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدِّق ويتحرى الصدق حتى يُكتبَ عند الله صديقًا، وإياكم والكذب! فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كذابًا»! [متفق عليه].

ومن هنا كان التمسك بالصدق في كل شأن، والمصيرُ إليه في كل حكم، دِعامَةً في خُلق المسلم، فقد أقام الإسلام مجتمعه على محاربة الكذب، فالصدق طمأنينة، والكذب رِيبة، وهو من أبغض الأخلاق إلى الله ورسوله والمؤمنين الصادقين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان خُلُقُ أبغضَ إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب عند رسول الله ﷺ الكذبة، فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة» [رواه أحمد (٢٥١٨٣) وابن حبان (٥٧٣٦)].

ذلك أن الكذب هو نقل الأخبار على غير حقيقتها، وهو رذيلة تدل على تغلغل الفساد في نفس صاحبها والعياذ بالله! والرجل الذي أصبح الكذب له عادة إنسان تنعدم ثقة الناس به، كما أن الكذب أمانة من أمارات النفاق، فعن

عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوْثَمَنَ خان، وإذا حدَّثَ كَذَب، وإذا عاهدَ غَدَرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ» [رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨)].

لذلك كان الكذاب حريًّا باحتقار الناس له وعدم الثقة به، والصَّحفي والإعلامي الذي ينشر على ألوف القراء خبرًا كاذبًا، فيزيّف الحقائق، ويُلصق التهم بالأبرياء، لا شك أن أمثال هؤلاء جرمهم أفضع وأشنع. فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه من الكذب، وأن يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا.

الفوائد:

- ١ - مكانة الصدق وأهميته في دين الإسلام.
- ٢ - خطورة الكذب على الفرد والمجتمع.
- ٣ - الطريق إلى محبة الله والناس بالحرص على الصدق وتحريره.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي.
- ٢ - أدب الدنيا والدين، للماوردي.
- ٣ - موسوعة نضرة النعيم.
- ٤ - منهاج المسلم، لأبي بكر الجزائري.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

الأمانة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الأمانة كلمة واسعة الدلالة في الشريعة، وهي إدراك قوي من الإنسان لمسؤوليته الكاملة أمام الله في كل أمر يوكل إليه، وتكون بأداء حقوق الله وحقوق المخلوقين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، الرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيتها، وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته» [أخرجه البخاري (٥٢٠٠) ومسلم (١٩٢٩)].

وكثير من الناس يفهم الأمانة بمعناها الضيق في حفظ وديعة لديهم، سواءً أكانت أموالاً أم غيرها، ولكن الأمانة في مدلولها الشرعي أوسع من ذلك وأعمق، وهي فريضة على المسلمين يتواصون بها، ويستعينون بالله على حفظها. والرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة يوصي المسلم بالأمانة، وهو القدوة لنا في أمورنا كلها، فعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا نبي الله ﷺ إلا قال: «لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له» [رواه أحمد (١٢٣٨٣)، وحسنه الألباني].

وإن شقاء العيش إنما يكون من عدم التمسك بالأمانة، والخيانة عكسها فيها ضياع الدنيا والدين، فهذا نبي الله موسى عليه السلام حينما قام بالسقاية لابنتي الشيخ الكبير في مدين، كان معهما أميناً متمسكاً بعفة المسلم، وترفق بهما وسقى لهما، ثم استراح إلى الظل.

ولما للأمانة من معنى كبير في شريعتنا كان اختيار الله لرسله الكرام ممن يتصفون بالأمانة والقوة والشرف وعزة النفس، وكذلك من الأمانة أن نصطفي خير الناس للقيام بالأعمال، وخصوصاً التي يكون فيها مسؤولية على الناس، دون ميل لهوى النفس أو وساطة أو قرابة.

والأمة التي تضع الأمانة يعم فيها الفساد، وهذا من علامات قيام الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ضُيِّتِ الْأَمَانَةُ فانتظر الساعة!» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانتظر الساعة» [رواه البخاري (٦٠١٥)].

ومن الأمانة: الحرص على أداء العمل والإحسان فيه، ولا خيانة أكبر، ولا عاقبة أسوأ من المرء الذي يتولى أمور العامة فيهملها ويضيعها.

ومن الأمانة: ألا يستغل المرء مركزه لمنفعة شخصية له؛ فعن بُريدة بن الحُصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَهُ غُلُولًا» [رواه أبو داود (٢٩٤٣)، وصححه الألباني]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَنِ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وأكرم مثال على الأمانة سيدنا يوسف عليه السلام حين رشح نفسه لإدارة شؤون المال؛ قال الله عز وجل: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وهناك مدلول للأمانة في الجوارح التي أنعم الله بها علينا، فجميع حواسنا يجب أن نسخرها بأمانة في طاعة الله، ولا نستعملها في معصيته، وأموالنا أمانة

لدينا يجب أن نفقهها في مرضاة الله، ولا نُفْتَنَ بها عن طاعة الله، ولا نَسْتَقْوِيَ بها في ظلم خلق الله أو المعاصي، وأولادنا أمانة وهم وديعة عندنا يجب أن نصونها ونسخرها لله؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) [الأنفال].

ونأتي أخيراً إلى مفهوم الأمانة عند عامة الناس، وهي أمانة الودائع، فيجب الحفاظ عليها وردّها إلى أصحابها عند طلبها، مُقْتَدِينَ برسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام حينما هاجر وترك ودائع المشركين عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ليسلمها لهم نيابة عنه، وهم الذين اضطرّوه إلى ترك مكة وطنه.

الفوائد:

- ١ - الأمانة مفهوم عام يشمل جميع نواحي الحياة.
- ٢ - القيام بالأمانة سرُّ قوة المجتمع المسلم.
- ٣ - ضياع الأمانة هلاك للبلاد والعباد.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الأخلاق الإسلامية، د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
- ٢ - أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي.
- ٣ - موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ

الكَرَمُ

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١

[الحشر].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ووقاية شح النفس يشمل وقايتها منه في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقِيَ العبد شح نفسه، سَمَحَتْ نفسه بامثال أوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشراحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس تدعو إليه وتتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يُوقِ شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته).

والكَرَمُ من صفات الرب تبارك وتعالى، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كريم يحبُّ الكرم، ويحبُّ معالي الأخلاق، ويكرهُ سفاسفها» [رواه الحاكم، وصححه الألباني في السلسلة ٣/ ٣٣٦].

ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالكرم في قوله: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُغَتْ» [متفق عليه].

وكان الرسول ﷺ أكرم الناس وأجودهم؛ فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امرأةً جاءت للنبي ﷺ بِرُدَّةٍ منسوجة، فقالت: يا رسول الله، أَكْسُوكَ هذه، فَأَخَذَهَا النبي ﷺ محتاجاً إليها فَلَبِسَهَا، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أَحْسَنَ هذه! فَاكْسُنِيهَا، فقال: «نعم»، فلما قام النبي ﷺ لَأَمِّهِ أَصْحَابُهُ، فقالوا: ما أَحْسَنْتَ حين رأيت النبي ﷺ أَخَذَهَا محتاجاً إليها، ثم سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وقد عرفتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً فَيَمْنَعُهُ! فقال: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حين لبسها النبي ﷺ لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا. قال سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فكانت كَفَنَهُ. [رواه البخاري (٦٠٣٦)].

وكان حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من مشاهير الكرماء، يقول: (ما أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ فرأيتُ بِفَنَائِي [أي ببيتي] طالبَ حاجةٍ قد ضاق بها ذرعًا فقَضَيْتُهَا، إِلَّا كانت من النعم التي أَحْمَدُ الله عليها، ولا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا لم أَرِ بِفَنَائِي طالبَ حاجةٍ، إِلَّا كانت من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأَجَرَ عليها) [مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٠٧)].

وَلْيُعْلَمْ أَنَّ أعْظَمَ البذل والعطاء ما كان مع الحاجة وقلة ذات اليد، وقد جِيءَ إِلَى رسول الله ﷺ بِلَحْمٍ، قال: «ما هذا؟» قالوا: شَيْءٌ تُصَدَّقُ بِهِ عَلَى بَرِيرَةَ مَوْلَاةٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: «هولها صدقةٌ، ولنا هديةٌ» [متفق عليه].

قال الماوردي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اعلم أَنَّ الكريم يُجْتَدَى بالكرامة واللفظ، واللئيم يُجْتَدَى بالمهانة والعنف، فلا وجود إِلَّا خوفًا، ولا يجيب إِلَّا عنفًا، كما قال الشاعر:

رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْجَوْزِ يَمْنَعُ لُبَّهُ صَحِيحًا، وَيُعْطِي خَيْرَهُ حِينَ يُكْسَرُ

فاحذر أن تكون المهانة طريقاً إلى اجتدائك، والخوف سبيلاً إلى إعطائك،
فيَجري عليك سَفَه الطَّغَام [الأرذال] وامتهان اللثام، وليكن جُودُكَ كَرَمًا
ورغبة، لا لَوْماً ورهبة) [أدب الدين والدنيا ص ٢٤٣].

الفوائد:

- ١- الكرم عبادة تجلب محبة الرب ومحبة العباد.
- ٢- الكرم من صفات أهل المروءات والمعروف.

مراجع للاستزادة:

- ١- موسوعة نضرة النعيم.
- ٢- هذه أخلاقنا، لمحمود الخزندار.
- ٣- موسوعة الأخلاق، للشيخ خالد الخراز.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

الْحِلْمُ

يقول الحق جلّ جلاله: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (يقول تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ادفع يا محمد بحلمك جهْلَ مَنْ جهَلَ عليك، وبِعَفْوِكَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ إِسَاءَةَ الْمَسِيءِ، وَبِضَبْرِكَ عَلَيْهِمْ مَكْرُوهَ مَا تَجِدُ مِنْهُمْ وَيَلْقَاكَ مِنْ قِبَلِهِمْ) [تفسير ابن جرير الطبري: ٢١ / ٤٧١].

والحلم: هو كظم الغيظ، وكنم الغضب، والتحلّي بكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ. ويكفي الْحِلْمَ رِفْعَةً وَعِلْوًا أَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

ولقد وصف الله تعالى خليله إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحِلْمِ؛ فَقَالَ فِي حَقِّهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

كما أَنَّهُ صِفَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غِلْظُ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولمّا وصل وفدُ عبد القيسِ المدينةَ، ورأوا النبيَّ ﷺ، رمَوْا بأنفسهم عن الركائبِ ببابِ المسجدِ، وتبادروا إليه يسلمون عليه، وكان فيهم أشجُّ عبد القيسِ؛ وكان سيدهم، فتخلّف عند الركائبِ حتى أناخها، وجمع المتاع، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما، ثم جاء هونًا حتى سلّم على رسول الله ﷺ؛ فقال له رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» [رواه مسلم وأحمد واللفظ له].

وكان النبي ﷺ قد قال في وفد عبد القيس: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ إِذْ أَسْلَمُوا طَائِعِينَ غَيْرَ كَارِهِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَوْتُورِينَ، إِذْ بَعْضُ قَوْمِنَا لَا يُسَلِّمُونَ حَتَّى يُخْزَوْا وَيُوتَرُوا» قال: وابتَهَل وجهه ههنا من القبلة حتى استقبل القبلة، وقال: «إِنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ عَبْدُ الْقَيْسِ» [رواه أحمد (١٧٨٢٩)].

ويقول الشاعر أبو العتاهية:

فيا ربَّ هَبْ لي منك حِلْمًا فَإِنِّي أرى الحِلْمَ لم يندَمْ عليه حليمٌ
ويا ربَّ هَبْ لي منك عَزْمًا عَلَى التَّقَى أَقِيمُ بِهِ مَا عِشْتُ حَيْثُ أَقِيمُ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ نِسْبَةٍ تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمُ

وقد كان الأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حليماً موصوفاً بذلك، حكيماً معترفاً له؛ وكان يقول: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِنَصِيبي مِنَ الذَّلِّ حُمْرَ النَّعَمِ؛ فَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ أَعَزُّ الْعَرَبِ؛ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَرَوْنَ الْحِلْمَ ذُلًّا. وكان يقول: رَبِّ عَيْظٍ قَدْ تَجَرَّعْتُهُ مَخَافَةً مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ. [مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني: ٢١٩/١].

وقال الأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إني امرؤ لا يعتري خلقي
من منقر من بيت مكرمة
خطباء حين يقوم قائلهم
لا يفتنون لعيب جارهم
دَسُّ يَفْنَدُهُ ولا أَفْنُ
والغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الغُصْنُ
بيضُ الوجوه مَصَاقِعُ لُسْنُ
وَهُمُ لِحُسْنِ جِوَارِهِ فُطُنُ

الفوائد:

١- الحِلْمُ من أجل الأخلاق وأَحْسَنُهَا، فهو صفةٌ لله تعالى، وهو صفةٌ للكَمَلِ من الخلق.

٢- لا يأتي الحِلْمُ إِلَّا بخير، والسَّفه غالبًا ما يقود إلى الشرِّ.

مراجع للاستزادة:

- ١- الحِلْمُ، لابن أبي الدنيا.
- ٢- العقل وفضله، لابن أبي الدنيا.
- ٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

التَّوَاضُّعُ

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي مدارج السالكين عند منزلة التواضع: ﴿هَوْنًا﴾ أي سَكِينَةً وَوَقَارًا، متواضعين، غَيْرِ أَشْرِينَ، وَلَا مَرَحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» [رواه مسلم (٢٥٨٨)].

لَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْزِلَةَ التَّوَاضُّعِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَرْفَعُ الْعَبْدَ بِتَوَاضُّعِهِ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَيُثَبِّتُ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً، كَمَا أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُثَبِّتُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَرْفَعُهُ فِيهَا دَرَجَاتٍ بِتَوَاضُّعِهِ فِي الدُّنْيَا.

إِنَّ التَّوَاضُّعَ خُلُقٌ عَظِيمٌ، يُعْطِيهِ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مَنْ يُحِبُّهُ وَيَكْرُمُهُ وَيَقْرُبُهُ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ انْكِسَارِ الْقَلْبِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَخَفْضِ جَنَاحِ الذَّلِّ وَالرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ، فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضْلًا، وَلَا يَرَى لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًّا، بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ، وَالْحَقُّوقَ لَهُمْ قَبْلَهُ.

وَفِي التَّوَاضُّعِ مَصْلَحَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ تَخَلَّقُوا بِهِ لَزَالَتْ بَيْنَهُمُ الشُّحْنَاءُ، وَلَا سْتَرَا حُوا مِنْ تَعَبِ الْمَبَاهَاةِ وَالْمَفَاخِرَةِ؛ فَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشَعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٦٥) وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٩٥)].

وكان سيدُ الخلقِ نبينا محمدٌ ﷺ قد ضرب المثلَ الأعلى في التواضع طولَ حياته ﷺ؛ فقد رعى الغنمَ لأهل مكة، وكان يَمُرُّ على الصبيانِ فيُسَلِّمُ عليهم، وكانت الأمةُ تأخذ بيده فتنتقل به حيث شاءت، وكان إذا أكل لَعَقَ أصابعه الثلاث، وكان يكونُ في البيت في مَهْنَةِ أهله [أي خدمة أهله]، فكان يَخْصِفُ نَعْلَه، وَيَرَقَعُ ثوبَه، وَيَحْلُبُ الشاةَ لأهله، ويعلفُ البعيرَ، ويأكلُ مع الخادم، ويجالسُ المساكينَ، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ مَنْ لِقِيَهُ بالسلام، ويعود المريضَ، ويشهدُ الجنازةَ، وَيَرْكَبُ الحمارَ، وَيُجِيبُ دعوةَ مَنْ دعاهُ ولو إلى أيسرِ شيءٍ، ولم يكنْ ينتقمُ لنفسه قطُّ، وكل هذا ثابت عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة.

والتواضعُ المحمودُ على نوعين:

النوع الأول: تواضعُ العبدِ عندَ أمرِ الله امتثالاً، وعندَ نهيه اجتناباً؛ فإنَّ النفسَ لطلبِ الراحةِ تتأقّلُ في أمره، فيبدو منها نوعُ إباءٍ وِشْرادٍ، هرباً من العبودية، وتثبتُ عندَ نهيه طلباً للظفر بما مُنعت منه، فإذا وُضع العبدُ نفسه لأمرِ الله ونهيه فقد تواضعَ للعبودية.

النوع الثاني: تواضعُه لعظمةِ الربِّ وجلاله، وخُضوعُه لعِزِّته وكبريائه، فكُلَّمَا شَمَخَتْ نفسه ذَكَرَ عَظَمَةَ الربِّ تعالى وتَفَرَّدَه بذلك، وَغَضَبَه الشديدَ على مَنْ نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه، وانكسرَ لعظمةِ الله قلبُه، واطمأنَّ لجلالِ الله، وَأَخْبَتَ لسلطانِه، فهذا غايةُ التواضع، وهو يستلزمُ الأولَ من غيرِ عكسٍ، والمتواضعُ حقيقةً مَنْ رُزِقَ الأمرين معاً.

قصة في التواضع:

رُوي أن عمرَ بنَ عبدِ العزيز رَحِمَهُ اللهُ أَتاه ليلةً ضيفٌ، وكان يكتبُ، فكاد

السراجُ يطفأ، فقال الضيفُ: أقومُ إلى المصباح فأصلحُ؟ فقال عمر: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبئُ الغلامَ؟ فقال عمر: هي أولُ نومةٍ نامها، فقام عمر وملاً المصباحَ زيتاً، فقال الضيفُ: قمتَ أنتَ بنفسك يا أميرَ المؤمنين! فقال: ذهبْتُ وأنا عُمَرُ، ورجعتُ وأنا عُمَرُ، وما نَقَصَ مِنِّي شيءٌ، وخيرُ الناسِ مَنْ كان عند الله متواضعاً. [سير أعلام النبلاء للذهبي].

وقد أجاد من قال:

ولا تَمْشِ فوقَ الأرضِ إلَّا تواضعاً فكمَ تحتهَا قومٌ هُم مِنك أرفعُ
وإن كنتَ في عزٍّ وحِرزٍ ومنعةٍ فكمَ ماتَ مِن قومٍ هُم مِنك أَمنعُ

الفوائد:

- ١- التواضع خُلُقٌ كريم من أخلاق المؤمنين، ودليلٌ على محبة ربِّ العالمين.
- ٢- التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين.
- ٣- التواضع طريقٌ مُوصِلٌ إلى مرضاة الله وإلى جنته، كما أنه طريقٌ إلى الرفعة والعزة في الدنيا.

مراجع للاستزادة:

- ١- مدارج السالكين، لابن القيم.
- ٢- موسوعة نضرة النعيم.
- ٣- الترغيب والترهيب، للمنذري.
- ٤- رياض الصالحين، للإمام النووي.

والحمدُ لله ربِّ العالمين.

الدَّرْس الثَّامِن والثلاثون

لَيْنُ الْجَانِبِ

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(تضمنت هذه الآية حقائق كثيرة أصيلةً مشدودةً إلى محورها - الحقيقة النبوية - حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة اللينة، المودة لأن تجتمع عليها القلوب، وتتألف حولها النفوس، وهذه الحقيقة هي رحمة الله تعالى التي نالته ونالتهم؛ فجعلته رحيمًا بهم، لينًا معهم، ولو كان غليظَ الكلام قاسيَ القلب عليهم لتركوه، وما تألفت عليه القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر؛ فالناس في حاجة إلى كنفٍ رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سَمحة، وإلى وُدٍّ يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم، وإلى قلب كبير يحمل همهم) [في ظلال القرآن ١/ ٥٠٠].

قال النبي ﷺ: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْنٍ لِّينٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ» [أخرجه ابن حبان وأحمد والترمذي وقال: حديث حسن غريب].

فبين النبي ﷺ فضلَ لَيْنِ الجانب، وأنه سبب لتحریم المؤمن على النار؛ لسهولة انقياد صاحبه للحق، والتلطف في معاملة الخلق، مما يوجب المحبة، ويستدعي الألفة.

وينقسم اللين بحسب ما يضاف إليه، إلى نوعين:

النوع الأول: لَيْنُ القول، وهو التلطف في الحديث مع الناس، وهو في

مجال الدعوة إلى الله تعالى، أكثر رغبة وأكْد؛ لأنه أدعى إلى الإجابة والقبول؛
كما قال تعالى مخاطباً موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ
﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه].

وجعل النبي ﷺ الكلمة الطيبة صدقة؛ فقال: «والكلمة الطيبة صدقة، وكل
خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة» [متفق عليه].
ولینُ الكلام سببٌ لدخول الجنان، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَّةً يُرَى ظَاهَرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ
ظَاهَرِهَا». فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لمن هي يا رسول الله؟ قال:
«لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِماً وَالنَّاسُ نِيَامَ» [أخرجه أحمد وابن
حبان، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ؛ وَجَهٌ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَّيِّنٌ» [أخرجه
البيهقي في شعب الإيمان، وجوّد إسناده الحافظ العراقي].

وقال بعض الحكماء: (الكلام اللين يغسل الضغائن المُستَكِنَةَ في
الجوارح).

النوع الثاني: لين القلب؛ بمعنى رِقَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ من الله عز وجل، وأكثر ما
يكون ذلك عند قراءة القرآن الكريم وسماعه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: (لينُ الجلود والقلوب صفة الأبرار، عند سماع

كلام الجبار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم؛ من خوفه وخشيته فتنقبض، ثم تلين لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه). [تفسير ابن كثير: ٥٦/٤].

فَلْيَن الْقَلْبَ عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الرَّحْمَنِ دَلِيلَ عَلَى قُوَّةِ الْإِسْلَامِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ، وَمَدَحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهُمْ تَخَلَّقُوا بِهَذَا الْخُلُقِ، فَقَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمُ الَّذِينَ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفْئِدَةً...» [أخرجه البخاري].

وَإِذَا اسْتَقَرَّ اللَّيْنُ فِي الْقُلُوبِ أَوْرَثَ الْمَحَبَّةَ وَالتَّعَاطُفَ بَيْنَ النَّاسِ، وَجَعَلَهُمْ صَفًّا وَاحِدًا، وَجَلَبَ لَهُمُ السَّمَاحَةَ وَالْمُودَّةَ، وَبَاعَدَهُمْ عَنِ الشَّرِّ وَالْعَدَاوَاتِ وَالْأَحْقَادِ.

الفوائد:

١ - اللَّيْنُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَرَّةِ، وَأَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢ - اللَّيْنُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

مراجع للاستزادة:

- ١ - نَضْرَةُ النِّعَمِ، إِعْدَادُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ.
- ٢ - مَوْسُوعَةُ الْأَخْلَاقِ، لِلشَّيْخِ خَالِدِ جَمْعَةِ الْخِرَازِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ

العدل

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: (فالعدل الذي أمر به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفورة، بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كلِّ والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة ونواب القاضي).

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقاً، ولا تغشهم ولا تخذعهم وتظلمهم، فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب...).

ومما جاء في سنة المصطفى صلی الله علیه وسلم في أمر العدل: قوله صلی الله علیه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنْابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عِزٌّ وَجَلٌّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا» [رواه مسلم (١٨٢٧)].

فقد بين الرسول الكريم صلی الله علیه وسلم في هذا الحديث الشريف العاقبة الحميدة والجزاء المبارك لمن تحلى بالعدل في أحواله كلها، ف«الذين يعدلون في

حكمهم» يشمل القضاء والفتوى والمَشُورَة، و«الذين يعدلون مع أهلهم» يشمل ألا يفصل زوجة على أخرى، ولا يفرق بين أبنائه، و«الذين يعدلون إذا وُلُوا» يشمل الذين إذا تقلدوا أي منصب أو مسؤولية، أو تولوا أمر غيرهم من الزوجات والأبناء والخدم والعمال والموظفين وغيرهم، عدلوا في ذلك كله ولم يَجُوروا.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: (أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبّه، وعلى الحق وإيثاره) [مداواة النفوس ص ٩٠].

ومن أعلى مراتب العدل: العدل في الغضب والرضا، قال النبي ﷺ: «ثلاث مُنَحِيَّات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضا» [رواه البزار والطبراني، وهو حديث حسن لغيره]. فالمرء قد يعدل في حال الرضا، ولكن يندر أن يعدل وهو غضبان أو ساخط أو كاره.

الفوائد:

- ١- حسن عاقبة العدل، وسوء عاقبة الظلم في الدنيا والآخرة.
- ٢- من تمام العدل وكماله أن يكون مع الصديق والعدو، وفي حال الرضا والغضب، ويتأكد كذلك مع الضعفة والمساكين الذين لا يستطيعون أخذ حقهم.
- ٣- الحق ضالة المؤمن حيثما وجده أخذه.

مراجع للاستزادة:

- ١ - موسوعة نضرة النعيم، لمجموعة من العلماء.
- ٢ - أدب الدنيا والدين، للماوردي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْأَرْبَعُونَ

المواساة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ، إذ جاء رجلٌ على راحلة، فجعل يصرفُ بصره يمينًا وشمالًا، فقال النبي ﷺ: «مَنْ كان معه فَضْلٌ ظَهَرَ، فليُعِدْ به على مَنْ لا ظَهَرَ له، وَمَنْ كان معه فَضْلٌ زَادَ فليُعِدْ به على مَنْ لا زَادَ له»، قال: فذكرَ من أصنافِ المالِ ما ذكرَ؛ حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منّا في فَضْلٍ. [رواه مسلم (١٧٢٨)].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «طعامُ الواحدِ يكفي الاثنين، وطعامُ الاثنينِ يكفي الأربعة، وطعامُ الأربعةِ يكفي الثمانية» [رواه مسلم (٢٠٥٩)].

قال الإمام النووي رحمته الله: (في الحديثِ الحثُّ على المواساة في الطعام، وأنه وإن كان قليلًا حصلتْ منه الكفايةُ المقصودة، ووقعت فيه بركةٌ تعمُّ الحاضرينَ عليه) [شرح صحيح مسلم].

ومدح النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إذ اتصف بهذا الخلق فقال: «يا أيها الناس، إن الله بعثني إليكم فقلْتُ: كَذَبْتَ! وقال أبو بكرٍ: صَدَقْتَ! ووَاساني بنفسيهِ ومالِهِ، فهل أنتم تارِكُو لي صاحبي؟» [رواه البخاري (٤٦٤٠)]، فهذه المواساة وإن كانت من الأدنى للأعلى، ومن المفضل للفاضل؛ إلا أنَّها ممدوحةٌ على كلِّ حال.

ومدَحَ النبي ﷺ الأشعريين قبيلةَ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقال: «إنَّ الأشعريين إذا أرمَلوا في الغزوِ أو قَلَّ طعامُ عيالِهِم بالمدينة، جَمَعُوا ما كان

عندهم في ثوبٍ واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحدٍ بالسوية، فهم مني وأنا منهم» [رواه البخاري (٦٨٤٢) ومسلم (٤٦٥٦)].

ولما تَرَكَ المهاجرون بلادهم وأموالهم ودُورهم، وقدموا المدينة هجرةً لله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ، وصاروا فقراءً بعد غنى، ومحتاجين بعد منعةٍ وعزة، واساهم الأنصار، وفتحوا لهم قلوبهم قبل بيوتهم، فأثنى الله عليهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٩] [الحشر].

وأخى النبي ﷺ بين الأنصار والمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع الأنصاري لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: يا عبد الرحمن! قد علّمت الأنصارُ أنني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فأطلقها، حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلوني على السوق... [رواه البخاري (٢٠٤٨)].

وقد ورد في فضل المواساة أحاديث كثيرة، والمواقف في هذا المعنى من سير السلف الصالح مشهورة جداً.

والمأمل لكثير من الأحكام الشرعية التي دعا إليها الإسلام يرى أنها تمهّد طريقاً رحباً لهذا المعنى الإنساني؛ فما شُرِعت الزكاة إلا للمواساة، وما حثّ الإسلام على القرض الحسن، ونهى عن الربا إلا للمواساة، ومن أعظم معاني شهر رمضان ما يكون بين الناس من المواساة، وهكذا كثير من العبادات إنما وُضعت لهذا المعنى النبيل.

أما مجالاتها، فقد قال ابن القيم رحمته الله: (المواساة للمؤمن أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاء، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، على قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضَعُفَ الإيمانُ ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمَ الناس مواساةً لأصحابه بذلك كله؛ ولأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له).

والأصل في المواساة أن تُردَّ إلى العُرف كما ذكر العلماء؛ فمن زاد عليه كان متطوعاً، ولذا كان الواجب مطلق المواساة؛ لا المواساة من كل جهة، ومن أخذَ بالأكمل فعلَ الأفضل.

قال بعض الحكماء: (ما استنبط الصوابُ بمثل المشاورة، ولا حُصِنَتِ النعمُ بمثل المُواساة، ولا اكتسبت البغضاءُ بمثل الكِبَر) [زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٨/١].

الفوائد:

١ - المواساة تورث محبة الله عز وجل، ومحبة الخلق، وتُشيعُ روحَ الأخوة بين المؤمنين، وتقوي أواصر المحبة بين المسلمين.

٢ - المواساة سبب قوي لتحسين النعم من الزوال.

مراجع للاستزادة:

١ - الفوائد، لابن القيم.

٢ - الآداب الشرعية، لابن مفلح.

٣ - موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ

المروءة

قال الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
قال ابن قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ: (تدبر هذه الآية كيف جمع الله لنبيه بهذا الكلام كُلَّ
خُلُقٍ عَظِيمٍ، لَأَن فِي أَخِذِ الْعَفْوِ: صِلَةَ الْقَاطِعِينَ، وَالصَّفْحَ عَنِ الظَّالِمِينَ،
وإِعْطَاءَ الْمَانِعِينَ. وفي الأَمْرِ بِالْعُرْفِ: تَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ، وَصَوْنَ
اللِّسَانِ عَنِ الْكُذْبِ، وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْحُرْمَاتِ، وَإِنَّمَا سَمَّى هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ
عُرْفًا وَمَعْرُوفًا، لَأَن كُلَّ نَفْسٍ تَعْرِفُهُ، وَكُلَّ قَلْبٍ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ. وفي الإِعْرَاضِ عَنِ
الْجَاهِلِينَ: الصَّبْرَ، وَالْحِلْمَ، وَتَنْزِيهِ النَّفْسِ عَنِ مِمَارَاةِ السَّفِيهِ وَمِنَازَعَةِ اللَّجُوجِ)
[تأويل مشكل القرآن].

وقيل لأحد العلماء: أين نجد المروءة في القرآن؟ فقال: (في قوله تعالى:
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾، ففيه المروءة، وحُسن الأدب،
ومكارم الأخلاق، فجمع في قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ، وَالْعَفْوَ عَنِ
الْمَذْنِبِينَ، وَالرَّفْقَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُطِيعِينَ، وَدَخَلَ فِي
قَوْلِهِ: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾: صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَغَضَّ
الْأَبْصَارِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾:
الْحُضَّ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ، وَالِإِعْرَاضَ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّنَزُّهَ عَنِ مَنَازَعَةِ
السُّفَهَاءِ، وَمَسَاوَاةِ الْجَهْلَةِ وَالْأَغْيَاءِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ،
وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ).

إن المروءة هي: مُراعاة النفس الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجهَ إليها ذمٌ باستحقاق. [أدب الدنيا والدين ص ٤٠١].
أو هي: استعمال ما يُجَمِّل العبد ويَزيِّنُه، وترك ما يُدَنِّسُه وَيَشِيئُه، سواءً تعلق ذلك به وحده، أو تعدّاه إلى غيره.

قال بعض السلف: (خلق الله للملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق للبهائم شهوةً بلا عقول، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة؛ فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم).
وصاحبُ المروءة حقاً هو الذي يُكرم نفسه ولا يُهينها، ويرفع شأنها ولا يُزري بها، قال الشاعر:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهواناً
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكنُ عليك لها فاطلب لنفسك مسكناً
وإياك والسكنى بمنزل ذلةٍ يُعدُّ مسيئاً فيه من كان مُحسِناً

وقد سئل أبو حازم سلمة بن دينار رحمته الله: أيُّ عباد الله أكرم؟ قال: (أولو المروءة والنهي). [تفسير القرطبي: ١/ ٣٣٨].

وإذا علمنا أن المروءة هي استعمال كل خلقٍ حسنٍ، واجتناب كل خلقٍ قبيح؛ فإن لكل عضوٍ من الأعضاء مروءةً تليق به:

فمروءة اللسان: حلاوته وطيبه ولينه، ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحيب والبغيض، ومروءة المال: بذله في المواقع المحموده شرعاً وعقلاً وعرفاً، ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه، ومروءة الإحسان: تعجيله وتيسيره، وعدم رؤيته، وترك المنّة به، وهذه هي مروءة البذل والعطاء.

أما مروءة الترك فتعني ترك الخصام والمعاتبة، والبعد عن المماراة، والتغافل عن عثرات الناس.

وقد سئل سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المروءة: ما هي؟ فقال: (الإنصاف من نفسك، والتفضل لله تعالى، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وهو الإنصاف، ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ وهو التفضل، ولا يتم الأمر إلا بهما؛ ألا تراه لو أعطى جميع ما يملك ولم يُنصف من نفسه، لم تكن له مروءة؟ لأنه لا يريد أن يُعطي شيئاً إلا أن يأخذ من صاحبه مثله، وليس مع هذا مروءة).

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة؛ فقال: (العقل يأمرُك بالأنفع، والمروءة تأمرُك بالأجمل).

ومن لم يحمل نفسه على المروءة صغيراً، أَعَيْتَهُ أن يحملها عليها كبيراً؛ كما قال الشاعر:

إذا المرءُ أَعَيْتُهُ المروءةُ ناشئاً فمَطْلَبُهَا كَهْلًا عليه شديدٌ

الفوائد:

- ١ - جمال المروءة لا ينكره عاقلٌ، وأعقل الناس ذوو المروءات.
- ٢ - المروءة من أحسن الأسباب التي تعصم من الوقوع في المعاصي.

مراجع للاستزادة:

- ١ - أدب الدنيا والدين، للماوردي.
- ٢ - موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

سلامة الصدر

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۚ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۚ ﴿٨٩﴾ [الشعراء].

يتوجه إبراهيمُ الأواه المنيبُ ﷺ في هذه الآيات إلى ربه في إيمان وخشوع بدعاءٍ مديد يقول فيه: ﴿وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ...﴾، أي ولا تُذِلَّنِي بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة؛ يوم لا ينفع من كفر بالله وعصاه في الدنيا مالٌ كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها؛ فليس يدفع عنه عقابَ الله إذا عاقبه ولا ينجيه منه إلا أن يأتيه بقلبٍ سليم. [جامع البيان في تأويل آي القرآن، بتصرف].

ونستشفُّ من قولة هذا النبي الكريم ﷺ مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم، ومدى إدراكه لحقيقة القيم الثابتة الحقّة كذلك؛ فليس هنالك من قيمة في يوم الحساب إلا قيمةُ الإخلاص، إخلاص القلب كله لله، وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض، وصفائه من الشهوات والانحرافات، وخلوّه من التعلق بغير الله، فهذه سلامته التي تجعل له قيمة ووزناً ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾. سئل ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ: ما القلبُ السليم؟ قال: (الناصح لله عزّ وجل في خلقه) [تفسير القرطبي].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (والقلب السليم هو الذي سلّم من الشرك والغِلِّ والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة؛ فسلّم من كل آفة تُبعده من الله، وسلّم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره،

وسلم من كل إرادة تراحم مُرادَه، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله؛ فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي جنة يوم المعاد) [الجواب الكافي].

وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيّب من بر القلب وسلامة الصدر من الآفات التي تعتري القلوب المريضة؟ وقد أثنى الله تعالى على خليله ﷺ بسلامة القلب فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۚ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات]. ومدح الله أصحاب رسول الله ﷺ بذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُودْرِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وإن من أجَل نعم الله عز وجل على العبد أن يجعل صدره سليماً من الشحناء والبغضاء، نقيّاً من الغل والحسد، صافياً من الغدر والخيانة؛ لا يحمل في قلبه حقداً على مسلم، وإنما يصبر على أذاه، ويتجاوز عن زلته، ويحب له من الخير ما يحبه لنفسه، يخرج إلى الناس ولسان حاله يقول لهم: إذا أدمت قوارصكم فؤادي صبرت على أذاكم وانطويت وجئت إليكم طلق المحيا كآني ما سمعت ولا رأيت

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يَطْلُعُ عليكم الآنَ رجلٌ من أهل الجنة»، فطلع رجلٌ من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه، قد علّق نعليه في يده الشمال؛ فلما كان الغدُ قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجلُ مثل المرة الأولى؛ فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى؛ فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: إني لا حيّ [أي خاصمتُ] أبي، فأقسمتُ ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تُؤويني إليك حتى تمضيَ فعلتُ، قال: نعم.

قال أنس رضي الله عنه: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقومُ من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارَّ وتقلّب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيرًا؛ فلما مضت الثلاث ليالٍ، وكدتُ أحترقُ عمله، قلت: يا عبد الله! إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرارٍ: «يَطْلُعُ عليكم الآنَ رجلٌ من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرارٍ، فأردتُ أن آويَ إليك لأنظرَ ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثيرَ عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت؛ قال: فلما وليتُ دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجدُ في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسدُ أحدًا على خير أعطاه الله إياه؛ فقال عبد الله: هذه التي بلغتُ بك، وهي التي لا نطق. [رواه أحمد

١٢٤/٢٠، ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٨/ ١٥٠).]

وربما يغلط بعض الناس في فهم معنى سلامة الصدر، فيظن بأن سليم

الصدر هو من تنطلي عليه الأشياء، ويسهل غشُّه وخداعُه، وهذا فهمٌ لا تساعده لغة ولا عقل، إذ إن سلامة الصدر إذ ذاك تستحيل ذمًّا لا مدحًا.

قال ابن القيم رحمته الله: (والفرق بين سلامة القلب والبله والغفل، أن سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته، فيسلم قلبه من إرادته وقصده، وهذا بخلاف البله والغفلة فإنها جهل وقلة معرفة، وهذا لا يُحمد إذ هو نقص، والكمال أن يكون القلب عارفًا بتفاصيل الشر سليمًا من إرادته، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لست بخب ولا يخدعني الخب، وكان عمر رضي الله عنه أعقل وأورع من أن يخدع).

الفوائد:

- ١ - سلامة الصدر من صفات الأنبياء والصالحين.
- ٢ - سلامة الصدر سبب في تحصيل رضا الله تعالى والفوز بدخول الجنة.
- ٣ - سلامة الصدر تعني الكف عن الشر عن قصد ومعرفة به، لا عن تغفل وجهل.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الزهد، لابن المبارك.
- ٢ - مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي.
- ٣ - الجواب الكافي، لابن القيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا مَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: (ذكر الله بعد القيام بحقه: القيام بحق الوالدين، والإحسان إليهما بجميع وجوه الإحسان، لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه ما يقتضي تأكيد الحق ووجوب البر، وإذا كبرا في السن فإنهما يحتاجان إلى مزيد من اللطف، وعليه ألا يؤذيها بأدنى أذية، وعليه أن يتواضع لهما، وأن يدعو لهما، أحياء كانوا أو أمواتاً).

وختم الشيخ السعدي بخاتمة جميلة فقال: (وفهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين، فإن له على من رباه حق التربية).

وقد تواترت الأحاديث النبوية في وجوب بر الوالدين، ومنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» [متفق عليه].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة، وإن أُمِّي تأمرني بطلاقها، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة». فإن شئت فأضِعْ ذلك الباب أو احفظه. [رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح]. قال

الملا عليّ القاريّ رَحِمَهُ اللهُ: (فالمراد بالوالد الجنس، أي يشمل الأب والأم، أو إذا كان حكم الوالد هذا فحكمُ الوالدة أقوى، وبالأعتبار أولى). [مرقاة المفاتيح].

ويقول العلماء: بر الوالدين له صور عديدة، منها التأدب معهما في الخطاب، وطاعتهما في كل أمر ما لم يكن معصية، ومدارأتها فيما لا تستطيع تحقيقه، وإدخال السرور عليهما، وتعاهدُهما بالكلمة الطيبة والنصح اللطيف، وإظهارُ الود لهما والفخر بهما، وتجنبُ إزعاجهما، وتحملُ ما قد يصدر منهما من شدة بصدر رحب، والدعاءُ لهما في حياتهما وبعد مماتهما، وغيرها من أشكال البر والإحسان.

ومن جميل الإحسان إليهما: الحرص على سلامة عرضهما وسمعتهما، ومما يشهد لهذا ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فليُصَلِّ بالناس». فقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إنه رجلٌ رقيقٌ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فليُصَلِّ بالناس». فعادت، فقال: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ فليُصَلِّ بالناس، فإنكَنَّ صَوَاحِبُ يَوْسَفَ».

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (لقد راجعتُ رسولَ الله ﷺ في ذلك، وما حَمَلَنِي على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يُحِبَّ الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً! ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناسُ به، فأردتُ أن يعدلَ ذلك رسولُ الله ﷺ عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

ومن أعظم صور البر بالوالدين، وهي علامة على الوفاء: صلةُ أهلٍ ودِّ الأبوين بعد وفاتهما، روى مسلم أن رجلاً من الأعراب لقي عبدَ الله بنَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما بطريق مكة، فسَلَّمَ عليه عبدُ الله، وحَمَلَهُ على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عِمَامَةً كانت على رأسه، فقليل له: أصلحك الله! إنهم الأعرابُ، وإنهم يَرْضَوْنَ باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وُدًّا [أي صديقاً] لعمر بن الخطاب، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَبْرَ الْبِرِّ صَلََةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ».

ومن أعظم بركات بر الوالدين الجزاء المبارك في الجنة، أخرج أحمد بسند صحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بَنُ النُّعْمَانِ»، فقال رسول الله ﷺ: «كَذَلِكَ الْبِرُّ، كَذَلِكَ الْبِرُّ». وكان أْبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ. وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه شهد ابنَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ورجلٌ يَمَانٍ يطوف بالبيت، وقد حمل أمّه على ظهره، وهو يقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَلَّلُ
إِنْ أُذْعِرْتُ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرْ
أَحْمِلُهَا، مَا حَمَلْتَنِي أَكْثَرَ

ثم التفتَ إلى ابن عمر، وقال: أُنْثَرَانِي يَا ابْنَ عَمْرِ جَزَيْتُهَا؟ فقال ابن عمر: لا، ولا بَزْفَرَةٍ وَاحِدَةٍ! [رواه البخاري في الأدب المفرد، والفاكهي في أخبار مكة]. والزَّفَرَةُ: ترددُ النَّفْسِ فِي الْجَوْفِ، والمراد بها أوجاعُ المرأة عند الولادة.

الفوائد:

- ١- وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما.
- ٢- الإحسان إلى الوالدين يكون في حياتهما وبعد مماتهما.
- ٣- العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لمن برّ والديه.

مراجع للاستزادة:

- ١- الأدب المفرد، للإمام البخاري.
- ٢- منهاج المسلم، للشيخ أبي بكر الجزائري.
- ٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

حَسَنُ الْجَوَارِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (أما الجار فقد أمر الله بحفظ حقه، والوصاة برعي ذمته، في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين... وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمورٌ بها، مندوبٌ إليها، مسلمًا كان أو كافرًا، وهو الصحيح) [الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٨٣].

ومما جاء في سنة المصطفى في الحث على حسن الجوار، قوله ﷺ: «ما زال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثه»! [متفق عليه].

وهذه كلمة جامعة بالغة منه ﷺ، يؤكد فيها على وجوب رعاية حق الجار والوصاية به، وهذه الوصاية تشمل كفَّ الشرِّ عنه وإسداء الخير إليه، وقد بين رسول الله ﷺ ما لحسن الجيرة عند الله تعالى، فقال ﷺ: «خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرُهم لجاره» [رواه الإمام أحمد].

وقال رسول الله ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» [متفق عليه].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: (ليس حُسْنُ الجوار كفَّ الأذى، حسنُ

الجوار الصبرُ على الأذى) [الآداب الشرعية ٢/ ٩٩].

وذكر ابن خلكان في وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٢ / ٥٣٥: أن أبا الجهم العَدَوِيَّ باع دارَه بمِئَةِ أَلْفِ درهم، ثم قال: فَبِكَمْ تَشْتَرُونَ جَوَارَ سَعِيدِ بنِ العاصِ؟ قالوا: وهل يُشْتَرَى جَوَارٌ قَطٌّ؟ قال: رُدُّوا عَلَيَّ داري، ثم قال: لا أَدْعُ جَوَارَ رجلٍ إنْ غَبْتُ سَأَلَ عني، وإنْ سَأَلْتُ قَضَى حاجتي، وإنْ لَمْ أَسْأَلْهُ بَدَأَنِي، وإنْ نَابَتْنِي جَائِحَةٌ فَرَجَ عني. فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِئَةِ أَلْفِ درهم.

والإحسان إلى الجار لا يَقْتَصِرُ في شريعتنا المباركة على المسلمين فقط، فالكفارُ شركاء في هذا الإحسان، فهذا عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذُبِحَتْ لَهُ شاةٌ، فجعلَ يقول: هل أَهْدَيْتُمْ لَجَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ هل أَهْدَيْتُمْ لَجَارِنَا الْيَهُودِيَّ؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما زال جبريلُ يُوصيني بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ».

ومن جميل ما قاله الشعراء في أثر الجار في رُخص الدار وغلائها، قول الشاعر:

يلومُونَنِي أَنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي وَلَمْ يَعْرِفُوا جَارًا هُنَاكَ يُنْغِصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّهَا بِجِيرَانِهَا تَغْلُو الدِّيارُ وَتَرْخُصُ

صور معاصرة من إيذاء الجار، يجب اجتنابها:

- ١- إزعاج الجيران بأصوات منبه السيارات.
- ٢- إلقاء الأوساخ والمهملات أمام بيوت الجيران، ومثلها هدر المياه.
- ٣- إيقاف السيارات أمام بيوت الجيران.

٤- كثرة التجمعات أمام أبواب الجيران مما يعرض النساء للحرَج الشديد في الدخول والخروج.

الفوائد:

- ١- من لوازم الإيمان بالله واليوم الآخر إكرام الجار.
- ٢- حسن الجيرة من الطاعات التي يتقرب بها إلى الله.
- ٣- حسن الجيرة يشمل إسداء الخير، وكفَّ الشر، وتحمل الأذى.

مراجع للاستزادة:

- ١- الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي.
- ٢- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

حقوق الأُخُوَّةِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ، في تفسير هذه الآية: (هذا عقدُ عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وُجِدَ من أيِّ شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإنه أخٌ للمؤمنين أُخُوَّةٌ توجب له أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم...) [تيسير الكريم الرحمن].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَبَاغَضُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكونوا - عبادَ الله - إخواناً، ولا يَحِلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوقَ ثلاثةِ أيامٍ» [رواه البخاري ومسلم].

فقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى اجتناب كل ما يعكر صفو الأُخُوَّةِ الإيمانية، وأمرَ عبادَ الله المؤمنين أن يكونوا إخواناً متحابين في الله سبحانه وتعالى. وإن من أعظم النعم التي امتنَّ الله بها علينا: رابطةُ الأُخُوَّةِ الإسلامية؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وجعل الإسلام التَّأخِيَّ في الله مسؤوليَّةً يتقلدها كلُّ مسلم، ويحافظُ عليها بأمر الله تعالى، وبقدَرِ المحافظة على هذه الأُخُوَّةِ تكون قوة الإيمان، قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه].

والذي يريد أن يُؤاخي إنسانًا ويتخذَه صاحبًا له، عليه أن يتعرفَ على أحواله، ويتحرى فيه صفاتٍ معينة، لأنه سيقْتيدي به، كما قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وأبصرَ قرينَه
فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يَقتدي

ومن أهم تلك الصفات:

- ١- أن يكون مُتمسِّكًا بتعاليم الدين الحنيف؛ لأن تارك الدين عدوٌ نفسه، فلا ترجى منه منفعةٌ غيره، أو مودَّته أو مواصلته.
- ٢- أن يكون تقيًّا؛ لأن الفاسق الخارج عن طاعة ربِّه لا يُؤمِّنُ جانبَه.
- ٣- أن يكون ذا رأي حكيم يُهْتَدَى به إلى مرشد الأمور.
- ٤- أن يكون محمودَ الأخلاق مرضيَّ الفعال، مؤثرًا للخير أمرًا به، كارهاً للشر ناهيًا عنه.

حقوق الأخوة:

إذا تمت المؤاخاة ترتبَت على ذلك حقوق وواجبات تجاه الإخوان، وكلما كان العبد أكثرَ مراعاةً لهذه الحقوق كان تحقيقُه للأخوة أشدَّ وأعظمَ من غيره، وكان حظه من التوفيق والأجر أكبرَ، ومن أهم تلك الحقوق والواجبات:

- ١- القيام بأداء الحقوق الشرعية التي أوجبها الله عليك تجاه أخيك المسلم، وهي المذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ» قيل: وما هنَّ يا رسولَ الله؟ قال: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدُّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» [رواه مسلم].

- ٢- البعد عن أسباب التنازع والفرقة بين الإخوان؛ كالسخرية، والهمز واللمز،

- والتنازع بالألقاب السيئة، وكل ما يؤذي كالتجسس، والغيبة والنميمة.
- ٣- القيام بالزيارة، وبذل النصح، والتواصي بالخير.
- ٤- التعاون على البر والتقوى، فالمسلم قليل بنفسه كثير بإخوانه.
- ٥- الصبر على الإخوان، واحتمال الأذى منهم.
- ٦- القيام بالشفاعة الحسنة للإخوة في قضاء حوائجهم الشرعية، وهذا مما يثبت الود والمحبة في القلوب.
- ٧- الدعاء للإخوة بظهر الغيب، وهذا غاية في الحب والمؤاخاة.
- ٨- ستر العيوب وعدم إفشائها.
- ٩- المواساة بالمال والجاه، وغيرهما مما يحتاج إليه.

الفوائد:

- ١- من عظيم أمر الأخوة أن الله تعالى عقد بنفسه التآخي بين المؤمنين.
- ٢- لا يتم إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
- ٣- أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.
- ٤- ستر عيوب الإخوان والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين.

مراجع للاستزادة:

- ١- موسوعة نضرة النعيم.
- ٢- منهاج المسلم، للشيخ أبي بكر الجزائري.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

أَدَبُ الْحَدِيثِ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

إِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ يَجِدُهَا مِنْ أَجْمَعَ الْآيَاتِ لِأَدَابِ الْحَدِيثِ الْمَوْجِبَةِ لِلْسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْقَاطِعَةِ لِلنِّزَاعِ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (يَأْمُرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا فِي مَخَاطِبَتِهِمْ وَمَحَاوَرَتِهِمْ الْكَلَامَ الْأَحْسَنَ، وَالْكَلِمَةَ الطَّيْبَةَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْفَعَالِ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْمَخَاصِمَةُ وَالْمَقَاتِلَةُ...).

لَقَدْ عُنِيَ الْإِسْلَامُ عَنَاءً كَبِيرَةً بِمَوْضُوعِ آدَابِ الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ، وَأَسْلُوبِ أَدَائِهِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الصَّادِرَ عَنْ إِنْسَانٍ مَّا يَشِيرُ إِلَى حَقِيقَةِ عَقْلِهِ وَتَفْكِيرِهِ، وَطَبِيعَةِ أَخْلَاقِهِ وَسِرِّيرَتِهِ، وَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ: (اللسان عنوان الإنسان).

لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُسَائِلَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَى الْآخَرِينَ: هَلْ هُنَاكَ مَا يَسْتَدْعِي الْكَلَامَ؟ فَإِنْ وَجَدَ دَاعِيًا إِلَيْهِ تَكَلَّمَ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَإِلَّا فَالْصَّمْتُ أَوْلَى بِهِ، وَإِعْرَاضُهُ عَنِ الْكَلَامِ حَيْثُ لَا ضَرُورَةَ أَسْلَمَ لَهُ وَأَنْفَعُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»

[متفق عليه].

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو يشير إلى لسانه - : «هذا الذي أوردني

الموارد»!

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي لا إله غيره! ما على ظهر الأرض

شيءٌ أَحْوَجُ إِلَى طَوْلِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ»!

ولله دُرُّ الشَّاعِرِ إِذْ يَقُولُ:

الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسَّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِثْلَ مِثَارَا

وَلَنْ نَدِمْتُ عَلَى سَكُوتٍ مَرَّةً فَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا

فالمسلم مأمور بمراعاة أقواله، كما يراعي أعماله، ولهذا قيل: (مَنْ عَدَّ

كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ)، وكيف لا يكون ذلك وهو يَمَثُلُ قول الله تعالى:

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

إن للحديث مع الناس ومحاورتهم آدابًا يُطَلَّبُ مراعاتُها، حتى يكون المسلمُ

واقفًا عند حدود الله تعالى، عاملاً في مرضاته، متجنباً مَسَاحِطَهُ، فما أَكْثَرَ عَثَرَاتِ

اللسان حين يتكلم! وما أَكْثَرَ مَزَالِقَهُ ووقوعه في أخطاءٍ في منتهى الخطورة على

النفس والمجتمع! ويكفي لمعرفة خطورة اللسان وما ينطق به، والآثار المترتبة

على الحديث، قوله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ

الجنة» [رواه البخاري والترمذي]. والمراد بما بين لَحْيَيْهِ: اللسان أو الفم.

وقوله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ

أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»! [متفق عليه].

ومن تلك الآداب التي أرشدنا إلى مراعاتها ديننا الحنيف في ضوء الكتاب والسنة:

١ - اختيار أجمل الكلام، وأحسن الألفاظ، أثناء مخاطبة الناس؛ قال تعالى:

﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج ٢٤].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد في كلمة طيبة» [متفق عليه].

٢ - التمهّل في الكلام وبيانه حتى يفهم المستمع المراد منه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرّد الحديث كسر دكم هذا، يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه» [متفق عليه].

٣ - مخاطبة المستمع على قدر فهمه، وبما يناسب ثقافته ومستواه العلمي، وإلا فقد يظن أن في الكلام استهزاءً به وتنقصاً له.

٤ - لزوم قلة الكلام، إلا إذا كان جواباً، أو نصيحة، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو دعوة إلى الله؛ قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

٥ - تجنّب الشرثرة واللغو والكلام الذي لا طائل منه؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ

أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون].

٦- تعَقَّلُ الكلام قبل النطق به، والتفكرُ في عواقبه، وتجنَّبُ إلقاء الكلام دون رَوِيَّةٍ واستيعاب؛ قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

٧- الإصغاء لمن هو أعلى مقامًا، وأرفعُ قدرًا، وأغزرُ علمًا، وأكبرُ سنًا، وأعظمُ فضلًا، والإقبالُ عليه بالسمع والبصر.

٨- تجنَّبُ الكلام حتى ينتهي المتكلم من كلامه، لأن مجلس العقلاء لا يناسبه كلام الاثنين معًا.

٩- تجنَّبُ مقاطعة أحد، أو تجريجه، أو السخرية من كلامه؛ قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

١٠- خفض الصوت وعدم رفعه دون حاجة، وتجنَّبُ الصَّخَبَ والضجيج، والصراخ والانفعال؛ قال تعالى: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان].

١١- اجتنابُ فضول الكلام وما لا يعنيه، قال التابعي الجليل عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ كَانَ يَكْرَهُ فُضُولَ الْكَلَامِ، مَا عَدَا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَقْرَأَهُ، أَوْ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مَنكَرٍ، وَأَنْ تَنْطِقَ بِحَاجَتِكَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بَدَلَ لَكَ مِنْهَا).

١٢- تجنَّبُ الحَلِفَ والإكثار من القسم أثناء الكلام، وعدمُ الحَلِفِ إلا لحاجة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة ٨٩].

١٣- تجنَّبُ الحَلِفَ بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والآباء والحياة والرأس والشرف، وغير ذلك، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال:

«إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو
لِيَصْمُتْ» [متفق عليه].

- ١٤- أن يتجنب في حديثه جميع المحرمات القولية، مثل الكذب في الجد والهزل، والغيبة والنميمة، والمراء والجدال العقيم، وقيل وقال، وتزكية النفس، واللعن، والسباب والفحش، والشتم والطعن، والولوغ في أعراض الناس وسُمتهم همزاً ولمزاً، واحتقار أي مخلوق، والدعاء على أي أحد، وكثرة المزاح وإضحاك الآخرين، والسخرية من الناس، والاستهزاء بضعفائهم، وتنقص أقدارهم والخط من مكانتهم.
- ١٥- إلزام اللسان كثرة الاستغفار كلما بدرت منه سيئة، أو صدرت عنه خطيئة.

الفوائد:

- ١- خطورة أمر اللسان وما يترتب على الكلام من الآثار؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.
- ٢- وجوب مراقبة اللسان وحفظه عن كل ما يعود عليه بالضرر في الدنيا والآخرة.
- ٣- ضرورة مراعاة آداب الكلام عند الحديث والمحاورة.

مراجع للاستزادة:

- ١- أدب المحادثة، للشيخ محمد الحمد.
- ٢- حصائد الألسن، لحسين العوايشة.
- ٢- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

من آداب المجالس

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: (هذا تأديبٌ من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسيح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له، تحصيلًا لهذا المقصود. وليس ذلك بضارًّا للمجالس شيئًا، فيحصل مقصودُ أخيه من غير ضررٍ يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا﴾ أي: ارتفعوا وتَنَحَّوْا عن مجالسكم لحاجة تعرض، ﴿فَانْشُرُوا﴾ أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان).

وللمجالس آدابٌ عظيمة في ديننا الإسلامي، وهي كثيرة، ومتعددة، منها:

١ - عمارتها بذكر الله عز وجل:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم جلسوا مجلسًا لم يذكروا الله فيه، إلا رأوه حسرةً يوم القيامة» [رواه أحمد (٧٠٥٣)].
ومن الذكر الوارد:

أ- تلاوة كتاب الله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» [رواه مسلم (٢٦٩٩)].

ب- الاستغفار: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان يُعَدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، وفي رواية: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» [رواه أبو داود والترمذي (٣٤٣٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب].

٢ - النهي عن إقامة الرجل من مجلسه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلَسَ فِيهِ آخَرٌ، وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوَسَّعُوا». وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه. [رواه البخاري (٥١٩٥) ومسلم (٢١٧٧)].

٣- إذا رجع الرجل إلى مجلسه فهو أحق به:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» [رواه مسلم (٢١٧٩)].

قال الإمام النووي رحمته الله تعليقا على هذا الحديث: (قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً، ثم فارقه ليعود، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضي شغلاً يسيراً ثم يعود، لم يبطل اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يُقِيمَهُ، وعلى القاعد أن يفارقه، لهذا الحديث، هذا هو الصحيح عند أصحابنا وأنه يجب على من قعد فيه مفارقتُهُ إذا رجع الأول. وقال بعض العلماء: هذا مستحب ولا يجب، وهو مذهب مالك. والصواب الأول.

قال أصحابنا: ولا فرق بين أن يقوم منه ويترك فيه سَجَادَةً ونحوها أم لا، فهذا أحقُّ به في الحالين. قال أصحابنا: وإنما يكون أحقُّ به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها، والله أعلم).

٤ - كف الأذية عن الجلساء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مجلس أو سوق، وبيده نبلٌ، فليأخذ بنصاليها، ثم ليأخذ بنصاليها، ثم ليأخذ بنصاليها» [رواه مسلم (٥١٦٢)].

٥ - السلام في القدوم والذهاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلسٍ فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحقَّ من الآخرة» [رواه أبو داود (٥٢٠٨) والترمذي (٢٧٠٦) وقال: هذا حديث حسن].

الفوائد:

- ١ - للمجالس آدابٌ ينبغي مراعاتها، والالتزام بها.
- ٢ - الشريعة تشمل العلاقة بين العبد وربّه، وبين العباد فيما بينهم.
- ٣ - الغفلة عن الآداب في المجالس ينشأ عنها الكثير من المشكلات الاجتماعية.

مراجع للاستزادة:

- ١ - رياض الصالحين، للنووي.
- ٢ - الآداب الشرعية، لابن مفلح.
- ٣ - موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله ربّ العالمين.

الدَّرْس الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

«إِمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»

قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، في تفسير سورة ق: (وظاهر الآية الكريمة أن القول مهما كان: يُكْتَبُ، سواءً كان خيراً أم شراً أم لغواً، يكتب، لكن يحاسب على ما كان خيراً أو شراً، ولا يلزم من الكتابة أن يحاسب الإنسان عليها... وفيه دليل على أن المَلَكِينَ لا يتركان شيئاً، مما يدل على كمال عنايتهم بما ينطق به الإنسان، وبناءً على ذلك يجب علينا أن نحترز غاية الاحتراز من أقوال اللسان، فكم زلة لسانية أوجبت الهلاك!) اهـ باختصار.

اللسان صغيرٌ حجمه كبيرٌ جرُمُه؛ إذ هو مصدر الآفات والشرور، ومنه تبدأ الحروب والعداوات، لذا كان على العاقل أن يمسك لسانه لئلا ينفلت فيؤدي إلى عَطْبِهِ وهلاكه، وهذه وصية المصطفى ﷺ لأصحابه؛ فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «إِمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعُكَ بَيْتُكَ، وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ» [رواه أحمد والترمذي (٢٤٠٦) وقال: حديث حسن].

وهذه وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً، قال له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» قلتُ: بلى يا نبيَّ الله! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فقلتُ: يا نبيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ! فقال: «تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ!» [رواه أحمد والترمذي (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح].

فَقَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» فِيهِ تَشْبِيهُ كَلِمَاتِ اللِّسَانِ بِالزَّرْعِ الَّذِي يَنْبَتُ، وَلَيْسَ زَرْعًا وَاحِدًا بَلْ زُرُوعًا! فَلْيَتَأَمَّلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا زَرَعَ، لِأَنَّهُ لَا بَدَّ غَدًا سَيَحْصُدُهُ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

فَالْعَاقِلُ لَا بَدَّ أَنْ يَخَافَ بَعْدَ سَمَاعِ حَدِيثِ مَعَاذِ هَذَا، فَهُوَ خَطِيرٌ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَوْجَدُ ذَنْبٌ وَلَا مَعْصِيَةٌ - فِي الْغَالِبِ - إِلَّا وَمَعَهَا اللِّسَانُ يَتَكَلَّمُ، وَمِنْ أَعْظَمِ حَصَائِدِ اللِّسَانِ الْمَحْرَمَةُ الْكَذِبُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْغِيبةُ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ الشُّرْكُ.

لِسَانُ الْفَتَى عَبْدٌ لَهُ فِي سَكْوَتِهِ وَمَوْلَى عَلَيْهِ جَائِزٌ إِنْ تَكَلَّمَ
فَلَا تُطْلِقْنَهُ وَاجْعَلِ الصَّمْتَ قَيْدَهُ وَصَيِّرْ إِذَا قَيْدَتْهُ سِجْنَهُ الْفَمَا

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا صَارَتِ الْمَعَاصِي اللِّسَانِيَّةُ مَعْتَادَةً لِلْعَبْدِ فَإِنَّهُ يَعْزُّ عَلَيْهِ الصَّبْرُ عَنْهَا، وَلِهَذَا تَجِدُ الرَّجُلَ يَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ، وَيَتَوَرَّعُ مِنْ اسْتِنَادِهِ إِلَى وَسَادَةٍ حَرِيرٍ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيُطْلِقُ لِسَانَهُ فِي الْغِيبةِ وَالنَّمِيمَةِ)!
[عدة الصابرين ص ٢١٦].

وَقَالَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» [رواه البخاري (٦١٠٩)].

وَأَهْلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ كَفُّوا أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ، وَأَطْلَقُوهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ نَفْعُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَلَا تَرَى أَحَدَهُمْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ تَذْهَبُ عَلَيْهِ ضَائِعَةً بَلَا مَنْفَعَةٍ فَضْلًا أَنْ تَضُرَّهُ فِي آخِرَتِهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا كُلَّهَا!

الفوائد:

- ١ - كف اللسان إلا عن الخير هو أصل الخير.
- ٢ - من أعظم ما يهلك الإنسان لسانه.
- ٣ - النجاة بالصمت إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر الله، ونحوها.

مراجع للاستزادة:

- ١ - رياض الصالحين، للإمام النووي.
- ٢ - موسوعة نضرة النعيم.
- ٣ - آفات اللسان، لسعيد بن وهف القحطاني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

كَفُّ الْأَذَى

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب].

عَدَّ اللهُ سبحانه وتعالى أذيةَ المؤمنين والمؤمنات من البهتان الكبير - وهو الافتراءُ المُضَرُّ بالغير - والإثمِ العظيمِ المبين، الذي كثيراً ما يقودُ صاحبه إلى النفاقِ والعياذُ بالله تعالى! وهذا يعودُ إلى نوعِ الأذيةِ ومدى خَطَرِها على المؤمنين. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صَعَدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فنادى بصوتٍ رفيعٍ، فقال: «يا معشرَ مَنْ أَسْلَمَ بلسانه ولم يُفَضِّصِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤْذُوا المسلمينَ، ولا تُعَيِّرُوهم، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فإنه مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المسلمِ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ» [أخرجه ابنُ حبانٍ والترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وصححه الزيلعي في نصب الراية ٣/ ٣٤٤].

فالواجبُ على المسلم أن يَكْفُفَ أذاهُ عن غيره، سواءً كان هذا الأذى يتعلقُ بالمال، أو يتعلقُ بالنفسِ، أو يتعلقُ بالعِرْضِ. فقد أعلن رسولُ الله ﷺ في أعظمِ مَجْمَعٍ اجتمع فيه مع أمته حرمةَ ذلك، فقال ﷺ في حِجَةِ الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بِلَدِكُمْ هَذَا» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ، بحسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلمَ،

كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دُمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

فَالْمُسْلِمُ لَا يَرْتَقِي فِي مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَصْعَدُ فِي سُلَّمِ الْوُصُولِ إِلَى الرَّحْمَنِ، إِلَّا بِكَفِّ الْأَذَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَفْضَلُ الْإِسْلَامِ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، كَمَا جَاءَ فِي جَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سَأَلَهُ الصَّحَابَةُ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

هَذَا، وَقَدْ وَجَّهَنَا رَسُولُنَا ﷺ وَأَرْشَدَنَا إِلَى جَمَلَةٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْ شَأْنِهَا دَفْعُ الْأَذَى عَنِ الْآخَرِينَ، وَعَدَمُ التَّعَرُّضِ لَهُمْ بِأَيِّ سَوْءٍ، فَمِنْ ذَلِكَ:

١ - أَلَّا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ، فَإِنْ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ].

٢ - إعطاء الطريق حقه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ!» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: «إِذَا أُبَيِّتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَأَذِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ تَتَفَاوَتْ خَطُورُهَا وَإِثْمُهَا:

فَهُنَاكَ أَذِيَّةٌ تُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، كَمَوَالَاةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّأَمُّرِ مَعَ أَعْدَائِهِمْ ضِدَّهُمْ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَذِيَّةِ لَا يَخْفَى تَحْرِيمُهَا عَلَى أَحَدٍ. وَأَذِيَّةٌ تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ، وَرَبَّمَا هُوَ لَا يَعْلَمُ تَحْرِيمَهَا أَوْ لَا يَنْتَبِهُ

لنفسه عند فعلها، ومن هذه الصور ما جاء التنبيه إليها في السنة الشريفة، فمنها مثلاً:

١ - التشويش على المصلين في المساجد برفع الأصوات:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمِعهم يجهرون بالقراءة، وهو في قبة له، فكشف الستور وقال: «ألا إنَّ كلَّكم مُناجٍ ربِّه، فلا يؤذِنَنَّ بعضُكم بعضاً، ولا يرفعَنَّ بعضُكم على بعضٍ بالقراءة» [أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه النووي في خلاصة الأحكام ١/ ٣٩٣].

٢ - المزاحمة والمدافعة وتخطي الرقاب:

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطبُ الناس يوم الجمعة، فجعل يتخطى رقاب الناس، فقال له النبي ﷺ: «اجلس فقد أذيت وآذيت»! [أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصحاه].

٣ - إيذاء المسلمين بالروائح الكريهة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال في غزوة خيبر: «مَن أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقربنَّ مسجدنا» [أخرجه البخاري ومسلم].

وذكروا غُسل يوم الجمعة عند عائشة رضي الله عنها فقالت: إنما كان الناس يسكنون العالية، فيحضرُونَ الجمعة وبهم وسخٌّ، فإذا أصابهم الرِّوحُ [أي نسيم الريح] سَطَعَتْ أرواحُهُم [أي رائحتُهُم]، فيتأذى بها الناس، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «أَوْلا يَغْتَسِلُونَ»! [أخرجه النسائي، وصححه الألباني].

٤ - التخلي في طريق الناس وأفئدتهم، وقضاء الحاجة في أماكن تنزُّهِهم وجلوِّسهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَّائِنَ» قالوا: وما

اللَّعَّانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»
[أخرجه مسلم].

وعن أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَّمَنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ،
قال: «اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ» [أخرجه مسلم].
وما أَجْمَلَ قولَ الشاعر:

وَإِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى	وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيَّنٌ
فَلَا يَنْطِقُنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوْءَةٍ	فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَعْيُنٌ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايَا	لِقَوْمٍ، فَقُلْ: يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ
وَعَاشِرُكُمْ عَرُوفٌ وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى	وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ

الفوائد:

- ١- أفضل المسلمين مَنْ جَمَعَ إِلَى أداءِ حقوقِ اللَّهِ أداءَ حقوقِ المسلمين،
والكفَّ عَنْ أذَاهُمْ.
- ٢- إِنْ لَمْ تَنْفَعِ أَخَاكَ الْمُؤْمِنَ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرَحْهُ فَلَا تُغِمَّهُ، وَإِنْ لَمْ
تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ.
- ٣- عَلَيْكَ أَنْ تَعُدَّ كَبِيرَ الْمُسْلِمِينَ لَكَ أَبًا، وَأَوْسَطَهُمْ لَكَ أَخًا، وَصَغِيرَهُمْ لَكَ
ابْنًا، فَأَيُّ أَوْلَئِكَ تَحِبُّ أَنْ تُؤْذِيَ؟

مراجع للاستزادة:

- ١- شرح السنة، للبغوي.
- ٢- رياض الصالحين، للإمام النووي.
- ٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَمْسُونَ

الغضب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ: (أَيُّ يَتَجَاوَزُونَ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي أَغْضَبَهُمْ، وَيَكْظِمُونَ الْغَيْظَ، وَيَحْلُمُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، وَخَصَّ الْغَضَبَ بِالْغَفْرَانِ لِأَنَّهُ اسْتِيْلَاءٌ عَلَى طَبْعِ الْإِنْسَانِ وَغَلَبَتْهُ عَلَيْهِ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَغْفِرُ عِنْدَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ إِلَّا مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَخَصَّهُ بِمِزْيَةِ الْحِلْمِ، وَلِهَذَا أَثْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» [متفق عليه].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» [رواه البخاري].

قَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْغَضَبِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ لِمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ اللَّطِيفَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ»، عَرَفَ مَقْدَارَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَاسْتِجْلَابِ الْمَصْلَحَةِ وَدَرَاءِ الْمَفْسَدَةِ مِمَّا يَتَعَذَّرُ إِحْصَاؤُهُ وَالْوُقُوفُ عَلَى نَهَائِهِ.

وَعُظْبُ بَنِي آدَمَ نَوْعَانِ: مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ.

فَالْمَحْمُودُ مَا كَانَ فِي جَانِبِ الدِّينِ وَالْحَقِّ؛ بَأَنَّهُ يَجْعَلُ غَضَبَهُ حِمِيَّةً لِلَّهِ،

ولكتابهِ، ولرسولهِ ﷺ، ومواقفُ النبي ﷺ في الغضب من أجل الله تعالى معروفةٌ معلومةٌ في الصحيحين وغيرهما.

والمذمومُ ما كان في غير الحقِّ لحظوظِ النفس ونحوه، ويترتب عليه أضرارٌ جسيمةٌ، ومفاسدٌ عظيمةٌ في الدين والدنيا، منها:

- ١- أنه يُغضبُ الرحمنَ الرحيمَ، ويُرضي الشيطانَ الرجيمَ.
- ٢- أنه يُفضي إلى التقاطع وإفسادِ ذاتِ البين.
- ٣- أنه يتولدُ منه الحقدُ والحسد، وهذا نقصٌ في العقل والدين.
- ٤- أنه سببٌ لنفرة الخلقِ عنه، وخوفِهم من القرب منه.
- ٥- أنه قد يؤثر على البدن حتى يُعميَ البصرَ، ويُصمَّ الأذانَ، ويُخرِسَ اللسانَ، ويُعجزَ الإنسانَ، بل قد يموتُ الإنسانُ وتزهقَ نفسه بالكلية!

علاج الغضب وتسكينه:

إن النبي ﷺ أرشدَ إلى أمورٍ يمكنُ من خلال القيام بها معالجةُ الغضب قبل وقوعه، وتسكينه بعد هيَجانه، ومن أهمها:

- ١- الابتعادُ عن تعاطي أسباب الغضب، واجتنابُها، ومن أهم أسبابه: العُجب، والمزاحُ، والهزلُ، والهُزءُ، والتعييرُ، والمماراةُ، والغدرُ، وشدةُ الحرصِ على فضول المال والجاه، ومن أشدِّ البواعثِ عليه عند أكثر الجهالِ تسميتُهم الغضبَ شجاعةً ورجولةً وعزَّةَ نفسٍ وكِبَرَ هَمَّةٍ! وتلقيبهم الغضبَ بالألقاب المحمودَة جهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه.

- ٢- أن يستعين بالله من الشيطان الرجيم.

- ٣- أن يتحول عن الحال التي كان عليها، فإن كان قائماً جلسَ، وإن كان جالساً اضطجعَ.

٤- أن يتوضأ بالماء.

٥- أن يذكر الله عزَّ وجلَّ، فيدعوه ذلك إلى الخوف منه، ويبعثه الخوف منه على الطاعة له، فعند ذلك يزول الغضب؛ قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، قال عكرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِذَا غَضِبْتَ).

٦- أن يتذكر عند الغضب ثوابَ العفوِّ وحسنَ جزاءِ الصفح، فيقهر نفسه على ردع الغضب، رغبةً في الثواب، وما وعد الله به العافين عن الناس، قال النبي ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ» [أخرجه أحمد وأبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) وقال: حديث حسن غريب].

٧- أن يتذكر ما يؤدي إليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام.

الفوائد:

١- الغضب إذا كان لله تعالى فهو محمود، وإذا كان للدنيا وحظوظ النفس فهو مذموم.

٢- الغضب المذموم يجمع خصال الشر كلها.

٣- الشديد من يملك نفسه عند الغضب.

مراجع للاستزادة:

١- الترغيب والترهيب، للمنذري.

٢- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع الرقائق

- الدرس الحادي والخمسون: البكاء من خشية الله تعالى.
- الدرس الثاني والخمسون: الجنة ونعيمها.
- الدرس الثالث والخمسون: عذاب القبر ونعيمه.
- الدرس الرابع والخمسون: الافتقار إلى الله تعالى.
- الدرس الخامس والخمسون: مراقبة الله تعالى.
- الدرس السادس والخمسون: تلاوة القرآن الكريم.
- الدرس السابع والخمسون: الذكر.
- الدرس الثامن والخمسون: الدعاء.
- الدرس التاسع والخمسون: الورع.
- الدرس الستون: الشكر.
- الدرس الحادي والستون: السَّتر.
- الدرس الثاني والستون: الصبر عن المعاصي.
- الدرس الثالث والستون: شروط التوبة.
- الدرس الرابع والستون: قبول العمل.
- الدرس الخامس والستون: بين الخوف والرجاء.
- الدرس السادس والستون: حسن الخاتمة.
- الدرس السابع والستون: الحذر من سوء الخاتمة.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ

البكاء من خشية الله تعالى

قال الله عز وجل: ﴿أَمِنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاتَّجِدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ [النجم].

يقول الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (يقول الله تعالى ذكره لمشركي قريش: ﴿أَمِنَ هَذَا الْحَدِيثَ﴾ القرآن أيها الناس ﴿تَعَجُّبُونَ﴾ أن نزل على محمد ﷺ، ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاء به، ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ ممّا فيه من الوعيد لأهل معاصي الله، وأنتم من أهل معاصيه، ﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾ أي: لا هُونَ عَمَّا فيه من العبر) [تفسير الطبري ٥٥٨/٢٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لَا يُلْجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تعالى حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ» [رواه النسائي والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

قال الملا عليّ القاري رَحِمَهُ اللهُ: (أي: لا يدخلها مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْغَالِبَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ امْتِثَالُ الطَّاعَةِ، واجْتِنَابُ الْمَعْصِيَةِ؛ «حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»؛ هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْلِيْقِ بِالْمَحَالِ) [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٤٧٢/١١].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب].

وقال عبد الأعلى التيمي رَحِمَهُ اللهُ - وكان من الأئمة -: (مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ؛ لَخَلِيقُ الْأَلَا يَكُونُ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تعالى نَعَتَ الْعُلَمَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ

سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ [الإسراء]. وكان عبد الأعلى يقول في سجوده: (رَبِّ زِدْنَا لَكَ خُشُوعًا كما زاد أعداؤُكَ لَكَ نُفُورًا، وَلَا تَكُنَّ وَجُوهَنَا فِي النَّارِ مِنْ بَعْدِ السُّجُودِ لَكَ) [حلية الأولياء ٥ / ٨٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ». فقلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم، إني أحب أن أسمعَهُ من غيري»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾، فقال: «حسبك الآن»، فإذا عيناه تذرفان. [رواه البخاري ومسلم].

ولأجل هذا كان رسول الله ﷺ مثلاً يحتذى في البكاء من خشية الله تعالى؛ كما روى عبد الله بن الشَّخِير رضي الله عنه قال: «أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمِرْجَلِ» يعني: يبكي. [رواه النسائي]. والمِرْجَل: القِدْرُ إذا اشتدَّ غَلِيَانًا. وكان الفاروق عمر رضي الله عنه خاشع القلب، رقيقه، سريع الدَّمْع، كثير البكاء من خشية الله؛ قال عبد الله بن شداد بن الهاد رضي الله عنه: سمعتُ نَشِيجَ عمرَ وأنا في آخر الصُّفوف، وهو يقرأ سورة يوسف؛ حين بلغ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ [رواه عبد الرزاق في المصنف ١١١ / ٢، وابن أبي شيبه في المصنف ٣١٢ / ١].

وقحطُ العين من البكاء أَمَارَةٌ على قسوةِ اعْتَرَتِ القلب، أو خِذْلَانٍ مُسَلِّطٍ والعياذ بالله! كما قال أبو سليمان الدَّاراني رحمته الله: (لكلِّ شيءٍ عِلْمٌ، وَعِلْمُ الخِذْلَانِ تركُ البكاء من خشية الله) [البداية والنهاية لابن كثير: ٢٧٩ / ١٠].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: (البكاء عشرةُ أجزاءٍ؛ فواحدٌ منها لله، والتسعة كلها رياءً؛ فإذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السَّنة مرةً واحدة، نجا صاحبه من النار إن شاء الله).

ورحم الله الشاعر الأندلسيَّ أبا إسحاق الإليبريَّ إذ قال:

أَحْمَامَةُ الْبَيْدَا أَطْلَتْ بُكَاءِكَ فَبِحُسْنِ صَوْتِكَ مَا الَّذِي أَبْكَاكِ
إِنْ كَانَ حَقًّا مَا ظَنَنْتُ فَإِنَّ بِي فَوْقَ الَّذِي بِكَ مِنْ شَدِيدِ جَوَاكِ
إِنِّي أَظُنُّكَ قَدْ دَهَيْتَ بَفَرْقَةٍ مِنْ مُؤْنَسٍ لَكَ فَارْتَمَضْتَ لِذَاكِ
لَكِنَّ مَا أَشْكُوهُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى بِخِلَافِ مَا تَجِدِينَ مِنْ شَكْوَاكِ
أَنَا إِنَّمَا أَبْكِي الذُّنُوبَ وَأَسْرَهَا وَمُنَايَ فِي الشَّكْوَى مَنَالُ فِكَاكَ
وَإِذَا بَكَيْتُ سَأَلْتُ رَبِّي رَحْمَةً وَتَجَاوُزًا، فَبُكَايَ غَيْرُ بُكَاكِ

الفوائد:

- ١ - البكاء من خشية الله دليلٌ على سلامة القلب من القسوة.
- ٢ - دموعُ العين من أعظم أسباب استنزال رحمة الله تعالى.
- ٣ - البكاء الذي يثابُّ عليه العبد إنما هو الخالص لله الذي لا رياءَ فيه ولا تسميع.

مراجع للاستزادة:

- ١ - زاد المسير ٨ / ٨٥.
- ٢ - التحرير والتنوير ١٣ / ١٦٠.
- ٣ - في ظلال القرآن ٧ / ٧١.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

الجنة ونعيمها

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [متفق عليه].

إن من عقيدة المؤمنين بالإيمان بالجنة، وأنها مخلوقة، وأنها موجودة الآن، وأن نعيمها دائم لا ينقطع عن أهلها، وأن أكبر نعيم الجنة النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الجنة، وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملاها من رحمته وكرامته ورضوانه، وأودعها صنوفًا من النعيم، وحفظها من كل عيب وآفة ونقص، وأعدَّ فيها لأهلها من النعيم المقيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فضلًا عما وصفه الله لعباده على لسان رسوله ﷺ من النعيم الكفيل بأعلى أنواع اللذة من المطاعم والمشارب والملابس والبهجة والسرور.

ومن ذلك ما ورد أن تربتها المسك، وحصباءها الدرّ، وبناءها لبنُ الذهب

والفضة وقصبُ اللؤلؤ، ﴿فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾، وأنّ شرابها أحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، وأبرد من الكافور، وألذ من الزنجبيل، ونساءها الكواعبُ الأتراب، يرى مخ سَوْقِهِنَّ من وراء اللحم، لو برز وجهُ إحداهن في هذه الدنيا لَغَلَبَ على ضوء الشمس!

ولباسهم الحرير من السندس والإستبرق، وخَدَمُهُمْ ولدانُ كاللؤلؤ المنثور، وفاكهَتُهُمْ دائمة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة، وغذاؤهم لحم طير مما يشتهون، وشرابهم فيها خمر مطهرة لا غولٌ فيها ولا هم عنها ينزفون، ولهم فيها فاكهة مما يتخيرون، وزوجاتهم من الحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون، فهم على الأرائك متكئون، وفي تلك الرياض يُحَبَّرُونَ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون.

ويضاف إلى ذلك نعيم يوم المَزيد، والنظر إلى وجهه الكريم، وسماع كلامه منه بلا واسطة كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

لقد عَرَّفَنَا اللهُ الْجَنَّةَ تَرْغِيًّا فِيهَا، وَبَيَّنَّ لَنَا بَعْضًا مِنْ نَعِيمِهَا وَأَخْفَى عَنَا بَعْضًا، زِيَادَةً فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّشْوِيقِ، لِذَلِكَ فَإِنْ نَعِيمُ الْجَنَّةِ مَهْمَا وُصِفَ لَا تَدْرِكُهُ الْعُقُولُ، لِأَنَّ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ، وَلَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ بِحَالٍ.

هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانِي وَالشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ هُوَ مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهَا وَسُلُوكُهُ، وَهُوَ طَرِيقُ إِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَيْهَا، وَهُوَ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ

(٧٢٨١) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاءت ملائكةُ إلى النبي ﷺ وهو نائمٌ، فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العينَ نائمةٌ، والقلبُ يقظانٌ، فقالوا: إنَّ لصاحبِكُم هذا مثلاً، فاضربُوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبُ يقظانٌ، فقالوا: مثلهُ كمثلِ رجلٍ بنى داراً وجعلَ فيها مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ داعِيًّا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَّ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَّ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، فقالوا: أَوَلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبُ يقظانٌ، فقالوا: فالدارُ الجنةُ، والداعي محمدٌ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومحمدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ».

وروى البخاري في صحيحه أيضاً عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يا رسولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

تدري أخي ما طريقُ الجنةِ طريقُها القرآنُ ثم السنَّةُ ولذلك اقتضتْ حكمةُ الله تعالى البالغةُ أن الجنةَ لا يُوصَلُ إليها إلا من طريقِ المَكَارِهِ والنَّصَبِ، ولا يُعْبَرُ إليها إلا على جسرِ المشقةِ والتعبِ، فَحَجَبَهَا بِالْمَكْرُوهَاتِ؛ صِيَانَةً لَهَا عَنِ الْأَنْفُسِ الدَّنِيَّاتِ، الْمُؤَثَّرَةِ لِلرَّذَائِلِ وَالسُّفْلِيَّاتِ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» [رواه مسلم].

الفوائد:

- ١- وجوب الإيمان بوجود الجنة ونعيمها.
- ٢- إن في الجنة من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.
- ٣- إن الطريق الموصل إلى الجنة هو اتباع الكتاب والسنة.

مراجع للاستزادة:

- ١- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم.
- ٢- النونية، لابن القيم.
- ٣- صفة الجنة والنار، لعمر الأشقر.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

عَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر].
قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور).

دلَّت الآية الكريمة على أن آل فرعون يعرضون على النار صباحًا ومساءً، والعرض على النار هنا نوعٌ من العذاب، وهو حاصلٌ قبل يوم القيامة بلا شك، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾، فدل ذلك على ثبوت عذاب القبر.

وهذا المعنى يؤيده ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والقبر إما أن يكون روضةً من رياض الجنة، أو حفرةً من حفر النار، جعله الله تعالى برزخاً بين حياتين، وفاصلاً بين مرحلتين، فهو بمنزلة محطة للوقوف والانتظار، يقف فيها مَنْ مات - مُعَذَّباً أو مُنْعَماً - ريثما تنقضي أعمارُ الناس في حياتهم الدنيا، لينتقلوا بعدها جميعاً إلى الدار الآخرة، حيث يجازى المحسنُ على إحسانه، والمسيءُ على إساءته.

وما يحصل في القبر من العذاب أو النعيم هو من الأمور الغيبية التي لا تُدرَك بالحس والعقل، وإنما طريقه الخبرُ في كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، والإيمانُ به من الإيمان بالغيب والإيمان باليوم الآخر.

وقد دل على إثبات عذاب القبر ونيعمه أدلةٌ من الكتاب، والسنة، وإجماعُ سلفِ الأمة، مما لا يدع مجالاً لإنكاره أو الشك فيه! أمّا الكتابُ العزيزُ فآيات كثيرة:

منها الآية السابقة، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤٧] [الطور]، روى الطبريُّ رَحِمَهُ اللهُ عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يقول: (عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة).

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِتِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْدِبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّوكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [١٠١] [التوبة]. قال قتادة والربيعُ بنُ أنسٍ، في قوله تعالى: ﴿سَنَعْدِبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾: (إحداهما في الدنيا، والأخرى هي عذاب القبر).

وأما السنة، فأحاديث كثيرة، منها:

١ - عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إن هذه الأمة تُبْتَلَى في قبورها، فلو لا ألا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللهُ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القبر الذي أَسْمَعُ منه» [رواه مسلم].

٢ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ «أنه كان يَتَعَوَّذُ من عَذَابِ القبر، وعَذَابِ جهنم، وفتنة الدجال» [رواه مسلم].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» [متفق عليه].

٤- وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وليُعلم أن هذه الأحاديث بلغت حدَّ التواتر، وأن مُنكَر ما دلت عليه من إثبات عذاب القبر ونعيمه على خطرٍ عظيم.

قال ابن أبي العز رحمته الله: (وقد تَوَاتَرَتِ الأخبارُ عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لِمَنْ كان لذلك أهلاً، وسؤالِ المَلَكَيْنِ، فيجبُ اعتقادُ ثبوتِ ذلك والإيمانُ به، ولا يَتَكَلَّمُ في كَيْفِيَّتِهِ، إذ ليس للعقل وقوفٌ على كَيْفِيَّتِهِ، لِكَوْنِهِ لا عهدَ له به في هذه الدار، والشرعُ لا يأتي بما تُحِيلُهُ العقولُ، ولكنه قد يأتي بما تَحَارُّ فِيهِ العقولُ) [شرح العقيدة الطحاوية].

ثم إن عذابَ القبر ونعيمه له أسبابٌ تستوجب ذلك، وهي أسبابٌ مجتمعة، وأسبابٌ مفصلة.

أما أسباب عذاب القبر المجتمعة: فهي الكفر بالله تعالى والإشراك به، وارتكابُ المعاصي عموماً.

وأما أسباب عذاب القبر المفصلة، وهي التي وردت نصوصٌ من السنة بخصوصها بأنها من أسباب عذاب القبر، فهي: الشرك بالله، وعدمُ التستر

والاستبراء من البول، والمشي بالنميمة بين الناس، والغيبة، والكذب، وهجر القرآن بحيث لا يتلوه ولا يعمل به، والزنى، وأكل الربا، والسرقعة من الغنيمة، وجر الإزار خيلاء (أي إسباله)، وعدم نُصرة المظلوم، والنياحة على الميت، والخطيب الذي يقول ولا يفعل.

وكذلك هناك مُنجات من عذاب القبر، وهي أيضًا مجملّة ومفصلة، أما المجملّة فهي تقوى الله تعالى، والاستقامة والثبات على دينه.

وأما المُنجات من عذاب القبر المفصلة، فهي: تحقيق التوحيد والابتعاد عن الشرك، والرباط في سبيل الله، والقتل في سبيل الله، وقراءة سورة الملك، والموت يوم الجمعة وليلة الجمعة، والموت بداء البطن، والأعمال الصالحة.

الفوائد:

- ١- إثبات عذاب القبر ونعيمه بدلالة الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.
- ٢- إن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحس والعقل.
- ٣- إن اعتقاد عذاب القبر ونعيمه من لوازم الإيمان بالغيب، والإيمان باليوم الآخر.

مراجع للاستزادة:

- ١- الروح، لابن القيم.
- ٢- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي.
- ٣- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

الافتقار إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

﴿١٥﴾ [فاطر].

فللعبد الفقر المطلق: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، كما لله الغنى المطلق: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

فالله قويٌّ، والعبد ضعيف عاجز؛ الله خالق رازق، والعبد فقيرٌ جائعٌ، والعبد عارٍ إلا أن يكسوه ربه. وفي الحديث القدسي، يقول الله تعالى: «يا عبادي! كلُّكم ضالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فاستهدُوني أَهْدِكُمْ، يا عبادي! كلُّكم جائعٌ إلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فاستطعمُوني أَطْعِمْكُمْ، يا عبادي! كلُّكم عارٍ إلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فاستكسُوني أَكْسُكُمْ» [أخرجه مسلم].

وإذ يبين الله هذه الحقيقة في هذه الآية فهو يشير إلى ما تقتضيه من علاقة بين العبد وربّه، فالفقيرٌ يلجأ ضرورةً إلى الغني، والعاجز يلجأ ضرورةً إلى القادر القوي؛ فهذه الآية دعوةٌ إلى الالتجاء إليه سبحانه والافتقار إليه.

والعبد وإن أُوتي قوةً فإنَّ وصف الفقر مُلَازِمُهُ؛ لأنه قد يُسَلَبُها ولا يستطيع شيئاً؛ وإن أُوتي ما لا فهو يخشى الفقر في كل لحظة؛ لذا لما تمثّل موسى عليه السلام

هذه الحقيقة، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ [القصص].

حقيقة الافتقار إلى الله:

الافتقار إلى الله أن يخرج العبد من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، ويخرج من هواه ورغبات نفسه إلى شرع الله وأمره، ويُقْبَل على الله بكنيته، مستسلماً متذللاً له، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام].

الافتقار إلى الله لبُ العبادَة:

لو تأملنا جميع أنواع العبادة لرأينا الافتقار إلى الله تعالى هو الصفة الجامعة لها؛ فبقدر افتقار العبد فيها إلى الله يكون أثرها في قلبه؛ فهذه الصلاة بأذكارها وهيئاتها تُجسّد هذه الحال؛ لذا كان من دعائه ﷺ في ركوعه: «اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خَشَعْتُ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي» [أخرجه مسلم]. يقول الحافظُ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: (كَأَنَّهُ يَقُولُ: الذُّلُّ وَالتَّوَاضُّعُ وَصَفِي، وَالْعُلُوُّ وَالْعِظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ وَصْفُكَ).

طريق تحقيق الافتقار إلى الله:

١ - استشعارُ العبد آثارَ ربوبيّته سبحانه: يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ويوجب له شهودُ صفات الربوبية التوكل عليه، والافتقار إليه، والاستعانة به، والذلُّ والخضوعُ والانكسارُ له).

٢ - معرفة العبد ضعفه وعجزه: فمن عَرَفَ قدرَ نفسه، وأنه لا يملك لنفسه رزقاً ولا حياة ولا ضرّاً ولا نفعاً، تصاغرت نفسه وذهب كبريأؤه، وذَلَّتْ جوارحه، وعَظُمَ افتقاره لربه، وتضرّعه بين يديه، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ بُدِيَ السَّرَائِرُ ⑨ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ ⑩ [الطارق].

وقد جمع العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بين هذين الطريقين الموصِلين إلى عبودية الافتقار إلى الله، فقال: (مَنْ كَمَلَتْ عِظْمَةُ الْحَقِّ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ، عَظُمَتْ عِنْدَهُ مَخَالَفَتُهُ، لِأَنَّ مَخَالَفَةَ الْعَظِيمِ لَيْسَتْ كَمَخَالَفَةِ مَنْ دُونِهِ؛ وَمَنْ عَرَفَ قَدَرَ نَفْسِهِ وَحَقِيقَتَهَا وَفَقَرَهَا الذَّاتِيَّ إِلَى مَوْلَاهَا الْحَقِّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَنَفْسٍ، وَشَدَّةَ حَاجَتِهَا إِلَيْهِ، عَظُمَتْ عِنْدَهُ جَنَائَةُ الْمَخَالَفَةِ لِمَنْ هُوَ شَدِيدُ الضَّرُورَةِ إِلَيْهِ).

الفوائد:

- ١ - الفقر وصفٌ ذاتي للعبد، كما أنَّ الغنى وصفٌ ذاتي لله جل وعلا.
- ٢ - الافتقار إلى الله لبُّ العبادات وروحها، وهو حياة القلوب.
- ٣ - معرفة عظمة الله، ومعرفة قدر النفس: طريق تحقيق العبودية.

مراجع للاستزادة:

- ١ - مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية.
- ٢ - الخشوع في الصلاة، للحافظ ابن رجب الحنبلي.
- ٣ - الافتقار إلى الله لبُّ العبودية، لأحمد بن عبد الرحمن الصويان.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

مراقبة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

يَبْنِي اللهُ عِزَّ وَجَلِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَى عِبَادِهِ، نَاطِرٌ إِلَيْهِمْ، سَامِعٌ لِأَقْوَالِهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ، عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَفْعَالِهِمْ، فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلِحِظَةٍ، وَنَفْسٍ، وَطَرَفَةِ عَيْنٍ، وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ ذَلِكَ مِنْ خَالِقِهِ؛ رَاقِبَهُ فِي حَرَكَاتِهِ، وَسَكَنَاتِهِ، فَلَا يَلْتَفِتُ فِي أَفْعَالِهِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَهْتَمُّ لِمَخْلُوقٍ بَعْدَمَا يَقْنَنَ أَنَّ اللَّهَ عِزَّ وَجَلِّ رَقِيبُهُ وَحَسْبُهُ.

وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ، فَقَالَ لَهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَهَذِهِ هِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ، وَهِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ، وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّكَ وَنَجْوَاكَ.

وَمَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ هِيَ الْعُلْيَا فِي مَرَاتِبِ الدِّينِ؛ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ حَقِيقَةَ الْمُرَاقَبَةِ هِيَ: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ وَتَيَقُّنُهُ، بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَاسْتِحْضَارِ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ.

وَمُرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مُرَاقَبَةُ اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ بِالْعَمَلِ، وَمُرَاقَبَةُ اللَّهِ فِي مَعْصِيَتِهِ بِالْتَرَكِ، وَمُرَاقَبَةُ اللَّهِ فِي الْهَمِّ وَالْخَوَاطِرِ.

فاعلم أخي المسلم أن الله يراك، ولن تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرُك، وليكثر منه وجلُك.

ثمرات المراقبة:

إذا رَسَخَ في قلب العبد الشعورُ بمراقبة الله تعالى، تحقَّق له ثمراتٌ عظيمةٌ عديدةٌ، منها:

- ١ - الخشوعُ في العبادة، فإن المسلم إذا استشعر في أثناء قيامه بالعبادة مراقبةَ الله تعالى، لم يترك شيئاً مما يقدرُ عليه من الخضوع والخشوع، إلا واعتنى بتتميمه على أحسنِ وجوهه، فلا يُقدم على تقصيرٍ في هذا الحال، لا طلاع الله عليه.
- ٢ - من راقبَ الله في سرِّه، حفظه الله في حركاته في سرِّه وعلا نيَّته، وأورثه محبةً في قلوب خلقه، وكتب له القبولُ في أرضه وبين عباده.
- ٣ - المراقبةُ تورثُ العبدَ قوَّةَ الإيمان والتوكل، فمن علم أن الله مطلعٌ عليه، قريبٌ منه، رَسَخَ الإيمانُ في قلبه رسوخَ الجبال الراسيات، ووكل جميع أموره إلى ربه.

عوامل تقوية مراقبة الله تعالى في قلب العبد المؤمن:

لكي تتقوَّى مراقبةَ الله تعالى في قلب العبد، فإنه يحتاج إلى تعلُّم، وتدريب، وهناك وسائل تساعد العبدَ على دوام المراقبة، منها:

- ١ - مجالسةُ الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبُّسه بشيءٍ من النقائص، احتراماً لهم، واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلا نيَّته، فسيعلم عند ذلك أن الله سبحانه أحقُّ من يُستحيا منه.

٢- التفكّر في خلق الله، واستشعارُ عظمته، وأنّه لا يغيب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم ما يُسرُّون وما يعلنون، فإذا علم العبد أنّ الله مطّلعٌ عليه حيثما كان، ويعلم ما يدور ويخالج صدره، حينها يستحي من الله فيخافه ويُجلّه.

٣- قراءة سِيرِ السلف الصالح، أهل العلم والإيمان والصلاح والتقوى، والنظر في أحوالهم وخوفهم ووجلهم من الله، فهم أصحابُ العزائم القويّة، والإرادات الصادقة؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف ١١١].

٤- إدامة النظر والتأمّل في أسماء الله وصفاته، فالوقوف مع اسمين من أسماء الله كفيلاً بتحقيق المراقبة في قلب العبد، وهما السميع والبصير؛ السميع الذي يسمع المناجاة، والبصير الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في السّاجدين، فهو السميع القريب، وهو السميع العليم، لا يفوته ولا يخفى عليه شيءٌ من أفعال العباد، فهو المطلع على السرائر، العليم بما في الصدور، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة].

فالمراقبة هي التعبّد باسمائه: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبّد بمقتضاها؛ حصلت له المراقبة.

وما أجملَ قولَ الشاعر:

إذا ما خَلَوْتُ الدهرَ يوماً فلا تقلُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً
لَهَوْنَا عن الأيامِ حتى تتابعَتْ
فياليتَ أنَّ اللهَ يَغْفِرُ ما مضى
خَلَوْتُ، ولكنْ قلْ عليَّ رقيبُ
ولا أنَّ ما يخْفَى عليه يغيبُ
ذُنُوبٌ على آثارهنَّ ذُنُوبٌ
ويأذنُ في توباتِنَا فتوبُ

الفوائد:

- ١- على كل عبد أن يستشعرَ مراقبةَ خالقِهِ عندَ همِّهِ بالفعلِ وسعيهِ بالجراحة، فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى يعلمَ حقَّ العلم أن فعله موافقٌ لأمرِ الله تعالى وأمرِ رسوله ﷺ.
- ٢- مراقبة الله تعالى توجب صيانة الباطن؛ بالإخلاص وتصحيح النية، وتوجب صيانة الظاهر؛ بتقويم عمل الجوارح على شرع الله تعالى.
- ٣- تُعلِّمُنا المراقبةُ ألا نجعل اللهَ أهونَ الناظرينَ إلينا.

مراجع للاستزادة:

- ١- رياض الصالحين؛ للإمام النووي.
- ٢- مدارج السالكين، لابن القيم.
- ٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ

تلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكْبُورَ﴾ [فاطر].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، تُحاجَّانِ عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» أي السحرة. [رواه مسلم].

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، المنزل على رسوله محمد ﷺ، المُتَعَبَّدُ بتلاوته، المُتَحَدَّى بأقصر سورةٍ منه، المنقولُ إلينا متواتراً، يبدأ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة الناس.

وهو كتاب الله العظيم، فيه نبأ الماضين، وخبرُ اللاحقين، وحَكَمُ ما بين العالمين، لا يُتَغَى الهدى إلا منه، ولا يُعْتَصَمُ إلا بحبله، فإنه حبلُ الله المتين، وخيرُ ما ذُكر به الرحمن، فهو الذكر الحكيم، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبسُ به الألسنة، ولا يشبعُ منه العلماء، ولا يَخْلُقُ [أي لا يبلى] على كثرة الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به أُجِرَ، ومَنْ حَكَمَ به عدلٌ، ومَنْ دعا إليه هُديٌ إلى صراطٍ مستقيم.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ، وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ: تِلَاوَةُ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، وَقِرَاءَتُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِقَارِئِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فَأَجْرُهُ لَا يَكَادُ يُحْصَرُ، لِأَنَّ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَدَهُ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ يَقْرُوهُ حَسَنَةً، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الْمَ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

وَبَيَّنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَنَّ مَنْ جَوَّدَ الْقُرْآنَ حِفْظًا وَأَحْسَنَ تِلَاوَتَهُ، وَصَارَ مُتَقِنًا لَهُ، مَاهِرًا بِهِ، عَامِلًا بِأَحْكَامِهِ، فَإِنَّهُ فِي مَرْتَبَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، سَالِكًا مَسْلَكَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ فِيمَا رَوَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ، الْكَرَامِ الْبَرَّةِ» [رواه مسلم].

ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الَّذِي يَجْتَهِدُ لِاتِّقَانِ تِلَاوَتِهِ، وَيَشْقُقُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: «وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَتَتَعَتَّعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ» [رواه مسلم].

هَذَا، وَقَدْ دَلَّتْ نصوصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَرْتَقِي فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ، بِقَدْرِ مَا يَقْرَأُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسُورِهِ.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِمُصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا» [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

وقراءةُ القرآن الكريم بإخلاص، يَطِيبُ بها المَخْبِرُ والمَظْهَرُ، فالمؤمن القارئ للقرآن الكريم طيبُ الباطن والظاهر، إن خَبَرَت باطنه وجدته صافياً نقيّاً، وإن شاهدتَ سلوكه، وجدته حسناً طيباً.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلُوٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ» [رواه البخاري ومسلم].

وينبغي لقارئ القرآن أن يتأدب بأداب كثيرة، منها:

- ١- أن يكون طاهراً من الحَدَثَيْنِ، نظيفَ الثوب والبدن.
قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأُمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) [الواقعة]، قال الإمام جلال الدين المَحَلِّي: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾: خبرٌ بمعنى النهي، ﴿إِلَّا الْأُمُطَهَّرُونَ﴾ الذين طهَّروا أنفسهم من الأحداث [تفسير الجلالين].
- ٢- أن يقرأ القرآن في خشوع وتدبر وتفكير، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) [سورة ص].
- ٣- أن يتغنّى بالقرآن، أي يُزَيِّنَ قراءته ويحسن صوته بها.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن» [رواه البخاري].
- ٤- أن يتأدب عند تلاوة القرآن الكريم، فلا يضحك، ولا يعبث، ولا ينظرُ إلى ما يُلْهِي، وإذا استمع إلى تلاوة آياته فعليه أن يُقبل عليه بقلبٍ خاشع،

وَيَتَعَزَّ بِمَا فِيهِ مِنْ حِكْمٍ وَمَوَاعِظَ، وَأَنْ يُحَسِّنَ الْإِسْتِمَاعَ وَالْإِنْصَاتَ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٤)
[الأعراف].

وينبغي للمسلم أن يحافظ على تلاوة القرآن الكريم، فبعض السلف كانوا
يختمون في كل شهر ختمة، ومنهم من يختم في كل سبع ليال ختمة، وهذا
ما روي عن رسول الله ﷺ، فقد كان يحزب القرآن ثلاثاً، وخمساً، وسبعاً،
وتسعاً، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل. [رواه ابن أبي شيبة والطبراني
في الكبير].

الفوائد:

- ١ - على المسلم أن يحِرِّصَ على تلاوة القرآن في الليل، وأوقات السحر.
- ٢ - البكاء في أثناء قراءة القرآن الكريم، صفة عباد الله الصالحين.

مراجع للاستزادة:

- ١ - فضائل القرآن الكريم، للنسائي.
- ٢ - التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

الذِّكْرُ

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: (يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بكثرة ذكْرِهِم لربهم تعالى، الْمُنْعِمِ عَلَيْهِم بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ، وَأَصْنَافِ الْمُنَنِ، لِمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ، وَجَمِيلِ الْمَأْبِ).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَفْرَضْ عَلَى عِبَادِهِ فَرِيضَةً إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ عَذَرَ أَهْلِهَا فِي حَالِ الْعَذْرِ، غَيْرَ الذِّكْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يُتَنَهَى إِلَيْهِ، وَلَمْ يَعْذِرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ، إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى تَرْكِهِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

[أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفَاسِيرِهِمْ].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ» [أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَمَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ].

بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الذِّكْرَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَأَنْمَاهَا وَأَنْقَاهَا، وَأَنَّهُ رَافِعٌ لِلدَّرَجَاتِ، مَكْثَرٌ لِلْحَسَنَاتِ؛ لِأَنَّهُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِجَمِيلِ الصِّفَاتِ، وَبِمَا مَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَزِيلِ الْمَكْرَمَاتِ، وَعَظِيمِ الْأَعْطِيَّاتِ، وَصَلَةُ مِنْ أَعْظَمِ الصَّلَاتِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

أنواع الذكر وآدابه:

الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل أن يكون بالقلب واللسان جميعاً؛ فإن من واطأ قلبه لسانه في ذكره: نَسِيَ في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء.

وينقسم كذلك إلى ذكر ثناء، وذكر دعاء:

فأما ذكر الثناء فنحو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وذكر الدعاء، نحو: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وينبغي للذاكر أن يكون على أكمل الصفات، وأحسن الهيئات، متطهراً منتظفاً، متخشعاً متذلاً، بسكينة ووقار، مخلصاً نيته لله تعالى، مستحضراً عظمة ربه، متعلقاً معنى ذكره.

فضائل الذكر:

الذكر يطهر القلوب من الأمراض الخطيرة، التي متى استحكمت واستولت على القلوب صار الإنسان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، كالحقد والحسد وغيرها.

وهو قُوْتُ القلوب الذي إذا خَلَتْ منه الروح صار الجسد لها قبراً، فلا يتنفع بالحق ولا يترك الباطل.

وفضائله كثيرة يَعجزُ القلم عن حصرها، والعقل عن عدها، منها:

١ - أن الله جعل الذكر أكبر الطاعات والعبادات، فقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢- أن الله تعالى جعل ذكره للذاكرين جزاءً لذكرهم له، قال الله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٣- اختصاصُ الذاكرين بأنهم هم أهل الانتفاع بآيات الله، وأنهم هم أولو

الألباب دون غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٤- الشناء على أهله وحسن جزائهم؛ كما جاء عنه ﷺ أنه كان يسير في طريق

مكة، فمر على جبل يقال له جُمْدَانُ، فقال: «سِيروا، هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ

الْمُفَرِّدُونَ» قالوا: وما المُفَرِّدُونَ؟ قال ﷺ: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكراتُ»

[صحيح مسلم].

٥- تعليق الفلاح على الإكثار منه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة ١٠].

٦- أن بيتَ الذاكر جُعِلَ بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت

وهو القبر، قال ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكَّرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ

اللَّهُ فِيهِ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» [أخرجه مسلم (٧٧٩)].

وما أحسن ما قيل:

فَنَسِيَانُ ذِكْرِ اللَّهِ مَوْتُ قُلُوبِهِمْ وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ

وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النَّشُورِ نُشُورُ

الفوائد:

- ١ - ذكرُ الله تعالى من أفضل الأعمال.
- ٢ - ذكرُ الله تعالى صلة بين العبد وربه.
- ٣ - فوائد الذكر تعود على الذاكر بالخير والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الأذكار، للإمام النووي.
- ٢ - الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية.
- ٣ - موسوعة نضرة النعيم.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدَّرس الثامن والخمسون

الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: (هذا من لطفه بعباده ونعمته العظيمة حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها، فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أي ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاءً على استكبارهم).

فالدعاء له شأن عظيم، ومنزلة رفيعة عند الله تعالى، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال، فهو سلاح المؤمن، وسبب لتفريج الهموم، وزوال الغموم، وانسراح الصدور، وتيسير الأمور. وهو طريق النجاة، به تُستجلب النعم، وبمثله تُستدفع النقم، وفيه ينجي العبدُ ربّه، ويعترف بعجزه وضعفه، وحاجته إلى خالقه ومولاه. وهو عدوُّ البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه، وأمرٌ هذا شأنه حَرِيٌّ بالمسلم الاعتناء به، والوقوفُ على فضائله، وآدابه:

فمن فضائل الدعاء العظيمة التي دلّ عليها الكتاب والسنة:

١ - أنه طاعةٌ لله عز وجل، واستجابةٌ لأمره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

٢- أنه من أفضل العبادات، بل هو العبادة كلها، كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «الدعاء هو العبادة» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

٣- أنه أكرم شيء على الله تعالى؛ لقول النبي ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء» [أخرجه أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة، وحسنه الألباني].

٤- أن الدعاء سبب للنجاة من النار؛ فإن أهل الجنة عللوا نجاتهم من عذاب النار به فقالوا: ﴿فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) [الطور].

٥- أن الدعاء كله خير، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» [أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني].

قال الحافظ ابن حجر: (كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة؛ فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه) [فتح الباري].

٦- أنه يرد القضاء؛ فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء» [أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب].

٧- أنه مفتاح أبواب الرحمة، وسبب لدفع البلاء قبل نزوله، ورفع بعد نزوله؛ قال ﷺ: «مَنْ فُتِحَ له مِنْكُمْ بَابُ الدَّعَاءِ، فَتَحَتْ له أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا يُعْطَى أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ، إِنْ الدَّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمَا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بالدَّعَاءِ» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٨- أنه سلاحٌ استخدمه الأنبياء والمرسلون في أصعب المواقف، كدعاء النبي ﷺ في بدر، ودعاء أيوب عليه السلام عند مرضه، وبه أثنى الله عليهم؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [الأنبياء].

٩- الدعاء سبب لدفع غضب الله تعالى؛ قال النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» [رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني].

وما أحسن قول الشاعر:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبَوَاهُ لَا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤْلَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

١٠- الدعاء سهم من سهام الليل، وهو سلاح المظلومين، ومفزع الضعفاء المكسورين، إذا انقطعت بهم الأسباب، وأغلقت في وجوههم الأبواب، وما أجمل قول الشاعر:

أَتَهْزَأُ بِالْدَعَاءِ وَتَزْدِيرِيهِ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سهامُ الليل لا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهُ أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ

آداب الدعاء:

للدعاء آدابٌ كثيرة يحسن توافرها لتكون عونًا على إجابة الداعي، ومن هذه الآداب:

١- الإخلاص لله تعالى في الدعاء:

فلا يدعو غير الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ [غافر].

٢- افتتاح الدعاء بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ:

لحديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل رجلٌ فصلى، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني! فقال رسول الله ﷺ: «عَجَلْتَ أَيُّهَا المصلي! إذا صليتَ فقعدتَ فاحمدِ اللهَ بما هو أهله، وصلِّ عليَّ، ثم ادعُ». ثم صلّى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله، وصلى على النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «أَيُّهَا المصلي! ادعُ تُجَبَّ» [رواه النسائي والترمذي وحسنه، وصححه الألباني].

٣- الاعتراف بالذنوب والإقرار به:

وفي هذا كمالُ العبودية لله تعالى، مثلما دعا يونس عليه السلام: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٤- الإلحاح في الدعاء والعزم في المسألة:

لقول النبي ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يَقُولَنَّ: اللهم إن شئتَ فأعطني، فإنه لا مُسْتَكْرَهَ لَهُ» [متفق عليه].

٥- الوضوء واستقبال القبلة ورفع الأيدي حال الدعاء:

فهذا أدعى إلى خشوعه وصدق توجهه، ولورود السنة باستحباب ذلك.

٦- خفض الصوت والإسرار بالدعاء:

لقول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

٧- تحري الأوقات المستحبة واغتنام الأحوال الشريفة:

كأدبار الصلوات الخمس، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، والثلاث

الأخير من الليل، وساعة الإجابة يوم الجمعة، ويوم عرفة، وحال نزول المطر، وحال السجود، وحال زحف الجيوش في سبيل الله، وغير ذلك.

٨- تجنب الدعاء على النفس والأهل والمال:

لقول النبي ﷺ: « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ » [رواه مسلم].

الفوائد:

- ١- فضل الدعاء وعظم منزلته عند الله تعالى.
- ٢- إن الدعاء عبادة عظيمة يلجأ فيها المخلوق الضعيف إلى الخالق العظيم.
- ٣- للدعاء آداب وأوقات ينبغي للمؤمن مراعاتها.

مراجع للاستزادة:

- ١- سلاح المؤمن في الدعاء والذكر، لمحمد بن محمد بن علي بن همام.
- ٢- أهمية الدعاء وكيفية في السنة النبوية، لمحمد إبراهيم الحمد.
- ٣- فقه الأدعية والأذكار، للدكتور عبد الرزاق البدر.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

الْوَرَعُ

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مِلْكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» [رواه البخاري مسلم].

يشير النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف إلى منزلة عظيمة من منازل الإيمان، ألا وهي منزلة الورع التي بها يجتنب المؤمن الشبهات خشية أن يقع في المحرمات.

وللورع عند العلماء تعريفات عدة، تدل في مجملها على أن الورع هو:

- ترك بعض المباحات خوف الوقوع في المحرمات والشبهات.
- ترك ما يريب المكلف إلى ما لا يريبه.
- ترك ما لا بأس به حذرًا مما به البأس.
- ويدخل في الورع أيضًا ترك المحرمات خوفًا من الله تعالى وتعظيمًا له.
- والورع أمر ندب إليه الإسلام زيادة في الاحتياط وبعداً عن كل ما من شأنه أن يوقع العبد في مهاوي الذنوب والآثام.

فضل الورع:

الورع صفة جامعة لكل خصال الكمال، وكما قيل: ليس يدل على فهم العبد كثرة علمه، ولا مداومته على ورده، وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه والتجاؤه إليه بقلبه، والتحرر من رق الطمع، والتحلي بحلية الورع.

وليس أدلّ على منزلة الورع، وأنه أرقى أنواع العبادة، من وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إذ قال له: «يا أبا هريرة، كن ورعاً تكن أعبد الناس» [رواه أحمد، وإسناده حسن].

وقال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع) [رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ].

متى يكون الورع؟

يكون الورع عند الاشتباه في حكم الشيء من حلّ أو حرمة، إما لخفاء الدليل الشرعي، أو لتعارض الأدلة وتكافئها.

ويكون كذلك للخروج من خلاف العلماء بحسب الإمكان، فإن اختلف العلماء في فعل، هل هو مباح أو حرام، فالورع تركه، أو هو مباح أو واجب، فالورع فعله.

مداخل الغلط في الورع:

الورع مسلك دقيق قد تزلّ فيه الأقدام، ويكون مدخلاً للشيطان، يُفسد على العابد أعماله، ومما عدّه العلماء من مداخل الغلط فيه:

١ - اعتقاد كثير من الناس أن الورع لا يكون إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، فترى أحدهم يتورّع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة، ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه؛ من صلاة الرحم، وحق جارٍ ومسكينٍ وابن سبيل، وأمرٍ بمعروف، ونهي عن منكر، وهذا الورع قد يوقع صاحبه في المخالفات الكبار. والتدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرمات

الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشُّبّه، فمثله يُنبّه إلى أن الأولي والأحرى به أن يشتغل بالابتعاد عن المحرمات، ليحسن منه الورع. قال ابن عمر رضي الله عنهما لرجل من أهل العراق سأله عن دم البعوض: يسألوني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي ﷺ! وقد سمعتُ النبي ﷺ يقول: «هما - أي الحسن والحسين - ريحانَتاي من الدنيا» [أخرجه البخاري].

٢- كثيرٌ من الناس تنفّر نفسه عن أشياء، لعادةٍ ونحوها، فيكون ذلك مما يقوي تحريمها في نظره واشتباهاها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنونٍ كاذبة، مبناها على الورع الفاسد، كحال أهل الوسوسة في النجاسات، وورع قوم يعدّون غالب أموال الناس أو كلّها محرمةً أو مُشْتَبِهَةً! ولهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين، وإلا فقد يُفسد تورّعه الفاسد أكثر مما يُصلحه. [فتاوى ابن تيمية ٢٠/١٣٩].

الفوائد:

- ١- الورع له أول وغاية، وكلما كان الإنسان أشد ورعاً كان أقوى إيماناً.
- ٢- الورع مسلك دقيق تزل فيه الأقدام، فينبغي معرفة مداخل الغلط فيه حتى لا يُحرّم العبد على نفسه ما أحله الله تعالى له.
- ٣- ترك المرء ما لا يعنيه، باب كبير من أبواب الورع، ينبغي الحرص عليه.

مراجع للاستزادة:

- ١- الزهد والورع والعبادة، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢- جامع العلوم والحكم، للحافظ ابن رجب الحنبلي.
- ٣- الموسوعة الفقهية الكويتية.
- ٤- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ السُّتُون

الشُّكْرُ

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (عَمَّكُمْ وَغَمَرَكُمْ بِوَافِرِ نِعْمِهِ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، الَّتِي نَعْلَمُ بِهَا، وَالَّتِي تَخْفَى عَلَيْنَا؛ فَوُضِعَتْكُمْ أَنْ تَقُومُوا بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ، بِمُحِبَّةِ الْمُنْعَمِ وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَصَرَفَهَا فِي الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَلَّا يُسْتَعَانَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ).

وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].

قال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللهُ: (كُنْ عَدَادًا لِنِعْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِنْ أَحْصَيْتَهَا كُنْتَ قَمِينًا أَنْ تَشْكُرَهَا، وَإِذَا نَسِيتَهَا كُنْتَ قَمِينًا أَنْ تَكْفُرَهَا).

والتقوى عَتَبَةُ الشُّكْرِ، فَمَقَامُ الشُّكْرِ أَرْقَى وَأَعْظَمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، لِأَنَّ الشُّكْرَ اسْتِنْفَادُ لِلطَّاقَاتِ فِي الْأَحَبِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَالشُّكْرُ قَيْدٌ لِلنِّعَمِ الْحَاضِرَةِ، وَمَجْلِبَةٌ لِلنِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ، وَهُوَ وَالْإِيمَانُ صِنَوَانِ. كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ وَعَدَمَ الشُّكْرِ صِنَوَانِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ إِشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِيَمَةِ الشُّكْرِ أَنَّ إِبْلِيسَ جَعَلَ غَايَتَهُ أَنْ يَسْعَى فِي قِطْعِ النَّاسِ عَنِ الشُّكْرِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ إِبْلِيسَ: ﴿ثُمَّ لَا تَبْقَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

والشكرُ دليلٌ على ثبوت عبودية العبد لربه، وقيامه بها على الوجه المطلوب؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. فمن شكر الله تعالى بقلبه ولسانه وجوارحه، وأتى بما يكمل ذلك، فقد عبد ربه وأتى بما أمر به؛ ومن أخلّ بوظيفة الشكر، فقد فاته من تحقيق العبودية لرب العالمين بقدر ما فاته من الشكر، لأن الشكر هو مظهرُ العبادة الحقة.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فدلّ آخر الآية على تقصير بني آدم في شكر النعم، لأن من لا يستطيع إحصاء النعم كيف يقوم بشكرها؟! بل وأيُّ نعمة يعرفها ربما لا يدرك حقيقتها، فكيف يقوم بشكرها التام، ولكن حسب الإنسان أن يسدّد ويقارب.

قال بعض العلماء: (أصبح بنا من نعم الله عز وجل ما لا نحصى، مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيهما نشكر؟ أجميل ما ظهر، أم قبيح ما ستر)؟

كيف تكون من الشاكرين؟

الشكر يكون بالقلب، واللسان، والجوارح:

أما شكر القلب: فهو إقرار القلب بأن ما بالعبد من نعمة فهو من الله تعالى، وأن وصولها إليه بغير استحقاق منه ولا بذلِ ثمن، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل ٥٣].

وإذا حصلت للعبد نعمة فينبغي له أن يستحضر أن الله اختاره فأنعم عليه، فيكون فرحُه بالمنعم أكثر من النعمة والإنعام؛ فهذا يدوم قلبه متعلقاً بالمنعم الباقي، لا بالنعمة الفانية.

وأما شكر اللسان: فهو الثناء على الله تعالى بنعمه، وحمده عليها مع محبته،

والتحدث بها على سبيل الاعتراف بفضله، وإظهار الفاقة إليه؛ ليكون الذكر داعياً إلى شكر القلب والجوارح، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وأما شكر الجوارح: فملازمة الطاعات، ومجانبة الزلات، وقد كان النبي ﷺ يصلي من الليل حتى تتورم قدماه! فقل: يا رسول الله، لِمَ تفعل هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»؟ [رواه البخاري (١١٣٠) ومسلم (٢٨١٩)].

قال القرطبي رحمه الله: (ظَنَّ مَنْ سَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَحْمِيلِ الْمَشَقَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ خَوْفاً مِنَ الذُّنُوبِ، وَطَلَباً لِلْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَمَنْ تَحَقَّقَ أَنَّهُ غُفِرَ لَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ، فَأَفَادَهُمْ أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقاً آخَرَ لِلْعِبَادَةِ، وَهُوَ الشُّكْرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، وَإِيصَالِ النِّعْمَةِ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً، فَيَتَعَيَّنُ كَثْرَةُ الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ) [الجامع لأحكام القرآن].

الفوائد:

- ١- من حق الله تعالى على عباده أن يشكروه على إنعامه.
- ٢- الشكر قيدٌ للنعم الحاضرة، ومَجْلَبَةٌ للنعم المفقودة.
- ٣- الشكر يكون بالقلب، واللسان، والجوارح.

مراجع للاستزادة:

- ١- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي.
- ٢- كيف نكون من الشاكرين؟ للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان.
- ٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالسُّتُون

السَّتْر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

من أدب هذه الآية أن من خصال المؤمن الثابتة ألا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه، فكما أنه لا يحب أن يشيع عنه خبر سوء، كذلك يجب عليه ألا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين.

ولشيوخ أخبار الفواحش بين المؤمنين - بالصدق أو بالكذب - مفسدة أخلاقية عظيمة، فإن مما يزع الناس عن المفاصد تهيئهم وقوعها، وصون كرامتهم عن سوء سمعتها.

وأعقب الله تعالى هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي يعلم ما في ذلك من المفاصد فيعظكم لتجنبوا، وأنتم لا تعلمون فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضرر، وهذا كقوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] [التحرير والتنوير: ٩ / ١٨٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة» [أخرجه البخاري ومسلم]، أي أن من اطلع من أخيه المسلم على ما لا ينبغي إظهاره من الزلات والسيئات، وستره، أثابه الله بما ذكر من ستره في الدنيا والآخرة: فيستره في الدنيا بالآتي زلة يكره اطلاع غيره عليها، وإن أتاها لم يطلع الله عليها أحداً؛ ويستره في الآخرة بالآي فضحه على رؤوس الخلائق بإظهار

عيوبه وذنوبه، بل يُسهِّل حسابَه، ويترك عقابَه؛ لأن الله حَيٌّ كَرِيمٌ سَتِيرٌ، وستُرُ العورة من الحياء والكرم، ففيه تخلُّقُ بخلقِ الله، والله يحبُّ التخلُّقَ بأخلاقه.

فحريٌّ بمنِ اطلَّع على عورة أخيه من غير تبُّعٍ لها فرأى عيبًا، أن يُغمِضَ جَفَنَه عن قِذاه، ويُلبِسَه من السَّتر لباسًا ضافيًا، وينصحه أن يتوب ويكتم خطيئته ويستترَ بستر الله؛ فقد ورد في الحديث: «إن الله تعالى حَيٌّ سَتِيرٌ، يحب الحياء والسَّتر» [أخرجه أبو داود (٤٠١٤)]. وقد قال النبي ﷺ لهزَّالٍ لِمَا أَمَرَ مَاعِزًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا هزَّالُ! لو سترته بردائك لكان خيرًا لك» [أخرجه مالك في الموطأ (١٤٩٩)].

ثم إن كشفَ عوراتِ المسلمين والتحدَّثَ بما وقعَ منهم، لا يَسْلَمُ من غيبةٍ محرمةٍ وإشاعةٍ للفاحشة.

وكان السلفُ رضوانُ الله عليهم يجتهدون في ستر عيوب المسلمين، ويَحْضُون على ذلك؛ لأن ظهورَ عيوبهم عيبٌ في أهل الإسلام. قال الفضيلُ ابن عياضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (المؤمنُ يَسْتُرُ وينصَحُ، والفاجرُ يَهْتِكُ ويُعَيِّرُ).

ودُعي عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قوم على ربيعة، فانطلق ليأخذهم، ففرقوا فلم يدركهم، فأعتق رقبةً شكرًا لله ألا يكونَ جرى على يديه خزيٌ مسلم. [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر].

ومن تأمَّل في ستر الله إياه مع ما يقترفه من الزللِ والخطايا، لم يَهْتِكْ سِتْرًا لمسلم البتَّة؛ وإنما يرجعُ إلى نفسه ويشغلُ بإصلاح عيوبها، ويُشفق على حاله من أن يَهْتِكَ سِتْرَه؛ فإنَّ من سمَّعَ بعيوب الناس وأذاعها، أظهر الله عيوبه وسمَّع به.

ورحم الله القائل:

لسانك لا تذكُرْ به عورةَ امرئٍ فكلُّك عوراتٌ وللناس ألسُنُ
وعينُك إن أبدتْ إليك مَساوئًا لقوم، فقل: يا عينُ للناس أعينُ
وعاشِرْ بمعروفٍ وسامحْ مَنْ اعتَدَى ودافعْ ولكنْ بالتي هي أحسنُ

وهذا السّتر المذكور مطلوبٌ في حقّ من لم يشتَهَر بالأذى والفساد والمجاهرة بالفسق، وعدم الاكتراث بما يقال عنه؛ وأما مَنْ هذه صفته فيُندَبُ كشفُ حاله للناس حتى يَتوقَّوه ويَحذَرُوا شرّه.

الفوائد:

- ١ - الله سبحانه وتعالى يقابل السّتر بالسّتر.
- ٢ - المؤمن يستر وينصح ويتجاوز عن الزلة.
- ٣ - السّتر يُثمر انتشار الألفة والمحبة بين الناس.
- ٤ - السّتر مطلوب في حق غير المجاهر بالمعاصي وانتهاك الحرمات.

مراجع للاستزادة:

- ١ - التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور.
- ٢ - السّتر على أهل المعاصي، لخالد الشايع.
- ٣ - أحكام المجاهرين، لذياب الغامدي.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدّرس الثاني والستون

الصبر عن المعاصي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (وهذا عام في جميع أنواع الصبر: الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعَدَ الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حَدٍّ ولا عَدٍّ ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومَحَلِّهِ عند الله تعالى، وأنه مُعِينٌ على كل الأمور) [تيسير الكريم الرحمن].

ومن أنواع الصبر الذي أَمَرَنَا اللهُ بِهِ: الصبر عن المعاصي والذنوب، فإن لها شهوةً تدعو إليها، ومن علامة الإيمان الصبر والكفُّ عنها، ويتطلبُ ذلك التَّصَبُّرَ ومجاهدة النفس، ومن يَتَصَبَّرَ ويجاهدُ نفسه على الصبر فإن الله يُعِينُهُ وَيُصَبِّرُهُ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» [متفق عليه].

ثم إن للمعاصي والذنوب من الآثار السيئة والأضرار الجسيمة على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكل واحد من هذه الآثار القبيحة المترتبة على المعاصي كافٍ للعاقل في تركها والإعراض عنها، فضلًا عن جميعها! ومن هذه الآثار:

١ - حرمان العلم؛ فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

قال بعضهم:

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءَ حَفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

٢- حرمان الرزق، فكما أن تقوى الله مَجْلَبَةٌ للرزق، فترك التقوى مَجْلَبَةٌ للفقْر.

٣- حرمان الطاعة، إذ ينقطع عنه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها.

٤- أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا حتى يَعِزَّ عَلَى الْعَبْدِ مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: (إِنَّ مِنْ عَقُوبَةِ السَّيِّئَةِ: السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا، وَإِنْ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ: الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا).

٥- أن المعصية سبب لِهَوَانِ الْعَبْدِ عَلَى رَبِّهِ؛ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ). وَإِذَا هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ لَمْ يُكْرَمْهُ أَحَدٌ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

٦- أن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فَإِنَّ الذَّنْبَ كُلَّمَا صَغُرَ فِي عَيْنِ الْعَبْدِ عَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ؛ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذَنْبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا» [أُخْرِجَهُ الْبَخَارِيُّ].

٧- أن شَوْمَ ذَنْبِهِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَيْهِ هُوَ، بَلْ يَعُودُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ، فَيُصَابُ هُوَ وَغَيْرُهُ بِشَوْمِ الذَّنُوبِ وَالظُّلْمِ؛ قَالَ مُجَاهِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ الْبِهَائِمَ

تلعنُ عصاةَ بني آدم إذا اشتدتَّ السَّنةُ، وأمسكَ المطرُ، تقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم! فلا يكفيه عقاب ذنبه حتَّى يَبوءَ بلعنة من لا ذنب له!
٨- أن المعصية تورث الذلَّ ولا بدَّ، فإن العزَّ كل العزِّ في طاعة الله تعالى.

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ:

رَأَيْتُ الذَّنْبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يورثُ الذَّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذَّنْبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا

٩- أن المعاصي تُحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه، والهواء، والزروع والثمار، والمساكن؛ قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

الفوائد:

- ١- الذنوب إذا تكاثرت طُبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين.
- ٢- من أعظم أسباب ترك المعاصي: الحياء من الله تعالى.
- ٣- الذنوب لها شؤم في الدنيا والآخرة، فهي تمحق البركة، وتمنع الرزق، وتذهب الأمن.

مراجع للاستزادة:

- ١- الجواب الكافي، لابن القيم.
- ٢- مدارج السالكين، لابن القيم أيضًا.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونُ

شروط التوبة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم].

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة بالتوبة النصوح، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضياءه، ويتمتعون برؤحه وراحته، ويُشفقون إذا طُفئت الأنوار عند المنافقين، ويسألون الله أن يتم لهم نورهم، فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم بما معهم من النور واليقين إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكلُّ هذا من آثار التوبة النصوح، والمراد بها التوبة العامة الشاملة لجميع الذنوب التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجه الله، والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله. [تفسير السعدي].

وحتى تكون التوبة من الذنوب نصوحًا لا بد من أن تتوافر في صاحبها شروطٌ، فالذنوب نوعان:

نوعٌ له تعلقٌ بحق الله تعالى، ولا تعلق له بحق آدمي، ونوعٌ ثانٍ له تعلقٌ بحق آدمي بالإضافة إلى حق الله تعالى.

ويشترطُ للتوبة من النوع الأول من الذنوب:

١ - الإخلاص لله تعالى: بأن يكون أول ما يدعو الإنسان إلى التوبة حبُّ الله، وتعظيمه، ورجاؤه، والطمعُ في ثوابه، والخوفُ من عقابه، لا قصدًا في عَرَضٍ من أعراض الدنيا الزائلة.

٢- الإقلاع عن المعصية: فلا تصحَّ التوبةُ من العبد مع الإصرار على المعاصي، فيجب على شارب الخمر أن يترك شربَ الخمر لتقبل توبته، والزاني يجب عليه أن يترك الزنى، أما مجرد الاستغفار وهو لا يزال قائماً على شرب الخمر فليست بتوبة. وأما إن عاود الذنب بعد التوبة الصحيحة، فلا تبطل توبته المتقدمة، ولكنه يحتاج إلى توبة جديدة.

٣- الندم على ارتكابه الذنب: فالتائبُ الصادقُ نادم حزين، آسفٌ على ما بدر منه من المعاصي، قال النبي ﷺ: «الندم توبة» [رواه أحمد (٣٦٥٨) وابن ماجه (٤٢٥٢)، وصححه الألباني]، ولا يعد نادماً من يتحدث بمعاصيه السابقة ويفتخر بها!

٤- العزم على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى: فلا بد من العزم الصادق في قلب التائب على عدم العودة إلى مقارفة ما هو تائبٌ منه من الذنوب.

٥- أن تصدر في زمن قبولها: وهو ما قبلَ حضور الأجل، وقبل طلوع الشمس من مغربها، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقوله ﷺ: «إن الله يقبلُ توبةَ العبد ما لم يُغرغرْ» [رواه أحمد (٦١٦٠) والترمذي (٣٥٣٧) وقال: حديث حسن غريب. وصححه النووي].

وقوله ﷺ: «إن الله ييسطُ يدهُ بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، وَييسطُ يدهُ بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه البخاري (١٧٥٧) ومسلم (٢٧٥٩)].

وأما التوبةُ من النوع الثاني من الذنوب، وهو ما له تعلُّقٌ بحق آدمي، فيشترط فيها بالإضافة إلى الشروط السابقة:

- رد المظالم إلى أهلها: فإن كانت المعصية بالضرب بغير حق، أو أكل مال الغير ظلماً، فلا بد من الخروج من هذه المَظْلَمَة إما بردّ المال أو استرضاء المظلوم؛ أو بتغيير شهادة الزور، فيجب عليه أن يرّد الحقوق إلى أصحابها إذا أراد أن تكون توبته نصوحاً؛ لقول الرسول ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» [رواه البخاري (٢٣١٧)].

الفوائد:

- ١ - المؤمن مهما بلغ إيمانه فإنه يقع في الذنب أحياناً.
- ٢ - حتى تكون التوبة نصوحاً لا بد لها من شروط يجب على المسلم أن يتعلمها ليعمل بها.
- ٣ - التوبة وظيفة العمر.

مراجع للاستزادة:

- ١ - رياض الصالحين، للإمام النووي.
- ٢ - مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالسُّتُون

قَبُولُ الْعَمَلِ

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: ما كان موافقًا لشرع الله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يُراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العملِ المتقبَّل؛ لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ.

إن العمل جزء من الإيمان، وقد قرَنَ الله سبحانه العملَ بالإيمان في آيات كثيرة في القرآن الكريم، لكن لا تُقبل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله إلا بشرطين:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٥) [البينة].

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» [رواه البخاري ومسلم].

فهذا الحديث أصل عظيم في الدلالة على أنه لا بد في قبول العمل وصحته من الإخلاص لله، وإذا خلا العمل من الإخلاص فهو شرك، ومن صورته: إرادة الرياء أو السمعة والشهرة.

والإخلاص شيء زائد عن النية، فالنية شرط لصحة العمل، والإخلاص شرط لقبوله عند الله تعالى.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ، لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلُكُمْ إِلَّا فِي مَعْرِفَةٍ وَأَكْبَرُ إِلَهُكُمْ﴾ [الحشر].

ولقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [رواه البخاري ومسلم].

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، فكل عمل ليس على طريقة الرسول ﷺ فهو مردودٌ غير مقبول.

وتتمثل صور الموافقة والمخالفة للسنة في أمور ستة: زمان العبادة، ومكانها، وهيئتها، وعددها، وجنسها، وسببها.

فمن لم يأت بالعبادة في زمنها الشرعي دون إذن من الشرع فعبادته مردودة، وكذا من غير مكان العبادة أو هيئتها أو عددها أو جنسها أو سببها.

فحديث عمر رضى الله عنه: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...» ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضى الله عنها: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا...» ميزان للأعمال الظاهرة، فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كله؛ أصوله وفروعه، ظاهره وباطنه، أقواله وأفعاله.

وقد أحسن من قال:

وخيرُ الأمورِ السالفاتُ على الهدى وشرُّ الأمورِ المُحدثاتُ البدائعُ

وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه، في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْمَلُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك]، (أَي أَخْلَصَهُ وَأَصَوَّبَهُ، وَقَالَ: إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَصَوَابًا. قَالَ: وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ).

وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الَّذِي قَالَهُ الْفَضِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ عِزٌّ وَجَلٌّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف] [جامع العلوم والحكم].

الفوائد:

- ١ - التحذير من الشرك بجميع أشكاله، وأنه مانع من قبول العمل.
- ٢ - العبادة البدعية مردودة وإن قصد بها وجه الله تعالى.
- ٣ - لا يكفي في العمل حسن النية، بل لا بد من توفر شرطين لقبوله، وهما: الإخلاص، والمتابعة.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع، للشيخ محمد بن عثيمين.
- ٢ - كمال الدين، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- ٣ - بدع وأخطاء في مجتمعاتنا، فرحان عبيد الشمري.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالسُّتُونُ

بين الخوف والرجاء

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَبِ ﴿١﴾﴾ [الزمر].

يَصِفُ اللهُ سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة حال عباده الذين يَصُفُّون أقدامهم في الليل قائمين لله تعالى، فهم أصحاب قلوبٍ تمكَّن منها الخوف والرجاء، فقلوبهم وَجِلَةٌ من عذاب الله تعالى، راجيةٌ رحمته.

والخوف والرجاء من عبادات القلب التي تَبْعَثُ على الأعمال الصالحة، وتُرَغِّبُ في الدار الآخرة، وتزجر عن الأعمال السيئة، وتزهد في الدنيا، وتكبح جماح النفس العاتية؛ فهما يقودان المرء إلى فعل كل خير، ويحجزانه عن فعل أي شر، كما أنهما يقودانه إلى مرضاة الله تعالى وثوابه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

هذا هو حال المؤمن في الحياة الدنيا؛ بين خوفٍ من الله تعالى، ورجاءٍ لفضله وكرمه، بين خوفٍ من عقوبة الله، وشدة بأسه وانتقامه ممن خالف أمره، وقوة رجاءٍ وأملٍ وطمعٍ في سعة رحمته وفضله، وتجاوزه وإحسانه، فمتى قام بقلب المؤمن هذان الأمران: الخوف والرجاء، فإنه يُرْجَى أن تستقيم أموره وتصلح أحواله.

أما الخوف: فيراد به انزعاج القلب، واضطرابه، وتوقعه عقوبة الله تعالى على فعلٍ محرّم، أو تركٍ واجب.

وهو مانعٌ للنفس عن شهواتها، وزاجرٌ لها عن غيّها، ودافعٌ لها إلى ما فيه صلاحها وفلاحها.

والخوفُ شعبةٌ من شُعب التوحيد، وأصلٌ من أصوله، فيجب أن يكونَ لربِّ العالمين، ولا يصرفُ لغير الله تعالى، فقد أمر الله عز وجل بالخوف منه، ونهى عن الخوف من غيره، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً! فغطى أصحابُ رسول الله ﷺ وجوههم ولهم حنينٌ [أي ارتفع بكاؤهم بصوتٍ يخرج من الأنف]. [رواه البخاري ومسلم].

والخوفُ المحمودُ هو الذي يحثُّ على العمل الصالح، ويمنع من المحرّمات، فإذا زاد الخوفُ عن القدر المحمود صار يأساً وقنوطاً من رحمة الله، وذلك من الكبائر العظيمة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (فالقدر الواجب من الخوف: ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسُّط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورت مرضاً، أو موتاً، أو همّاً لازماً، بحيث يقطع عن السعي، لم يكن محموداً) [التخويف من النار ص ١٩].

وأما الرجاء: فهو الطَّمَعُ في ثواب الله تعالى على العمل الصالح، فشرطُ الرجاء تقديمُ العمل الحسن، والكفُّ عن المحرّمات، أو التوبةُ منها، وقد بيّن الله تعالى أنّ الرجاء لا يكون إلّا بعد تقديم العمل الصالح، ولا يكون من دونه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) [فاطر].

والرجاء - كالخوف - عبادةٌ لا تُصَرَفُ إلّا لله تعالى، فمن علّق رجاءه بغير الله فقد أشركَ بربه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

والواجبُ على العبد الجمعُ بين الخوفِ والرجاء، وهذه حال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والمؤمنين الذين هم على طريقتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠). وقال تعالى: ﴿نُتَجَفَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) [السجدة].

فإذا علِمَ المسلمُ شمولَ رحمة الله وعظيمِ كرمه، وتجاوزَه عن الذنوب العظام، وسعةِ جنته، وجزيلِ ثوابه، انبسطت نفسه، واسترسلت في الرجاء والطمع فيما عند الله من الخير العظيم. وإذا علِمَ عظيمَ عقاب الله وشدة بطشه وأخذَه، وعسيرَ حسابِه، وأهوالِ القيامة وفضاعة النار، وأنواعِ العذاب في النار؛ كَفَّتْ نفسه، وانقمعت، وحذرت، وخافت.

وقد جمع الله بين المغفرة والعذاب كثيراً، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٤٩ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ٥٠ [الحجر].

وفي مدارج السالكين للإمام ابن القيم رحمته الله: (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرصة لكل صائد كاسر).

وكان السلف الصالح يغلب عليهم الخوف من الله، ويحسنون العمل، ويرجون رحمة الله عز وجل، ولذلك صلحت حالهم، وطاب مآلهم، وزكت أعمالهم، فقد كان عمر رضي الله عنه يعس ليلاً، فسمع رجلاً يقرأ سورة الطور، حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فُعٌ﴾ ٧ ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ ٨ قال: قسم ورب الكعبة حق! فنزل عن حماره واستند إلى حائط، فمكث ملياً ثم رجع إلى منزله، ومريض شهراً يعود الناس ولا يدرون ما مرضه. [رواه ابن أبي الدنيا، كما في تفسير ابن كثير].

الفوائد:

١- الخوف والرجاء يسوقان القلب إلى فعل كل خير، ويحجزانه عن كل شر، ويقودانه إلى مرضاة الله وثوابه.

٢- العبادة بالمحبة لله تعالى مع اعتدال الخوف والرجاء، هي أكمل أحوال العبد.

٣- كان السلف يغلبون جانب الخوف من الله تعالى، ويحسنون العمل، ويرجون رحمة الله.

مراجع للاستزادة:

- ١- مدارج السالكين، لابن القيم.
- ٢- التخويف من النار، لابن رجب.
- ٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالسُّتُونُ

حَسَنُ الْخَاتَمَةِ

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم].

دلت الآية على أن الله يُثَبِّتُ عباده في الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عُروض الشهوات بالصبر عنها، وذلك بتقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين. [انظر: تفسير السعدي رَحِمَهُ اللهُ].

ومما جاء في سنة المصطفى ﷺ في حسن الخاتمة: قوله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله»، قالوا: وكيف يستعمله؟ قال: «يُوفِّقُهُ لَعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ» [رواه أحمد والترمذي وصححه].

وهذا الحديث يدل على أهمية الخواتيم، وأن من رحمة الله الواسعة بعباده المؤمنين أن يوفق مَنْ يشاء منهم لعمل صالح قبل موته حتى يلقي ربه بخاتمة حسنة.

علامات حسن الخاتمة:

واعلم أن لحسن الخاتمة علاماتٍ، منها ما يعرفه العبد المحتضر عند احتضاره، ومنها ما يظهر للناس.

أما العلامة التي يعرفها العبد، فهي ما يُبَشِّرُ به عند موته من رضا الله تعالى عنه، ويدل عليه قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». فقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا نبي الله، أكرهية الموت؟ فكلُّنا

نكره الموت! فقال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب لقاء الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره لقاءه» [متفق عليه].

وأما علامات حسن الخاتمة التي تظهر للناس فكثيرة، نذكر بعضاً منها:

١ - النطق بالشهادة عند الموت، لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

٢ - أَنْ يَعْرِقَ جَبِينَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ لقوله ﷺ: «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ» [رواه الترمذي وحسنه].

٣ - الموت شهيداً في سبيل الله، أو الموت بأحد الأسباب المذكورة في قوله ﷺ: «الشَّهْدَاءُ سَبْعَةٌ سَوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمُطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِيقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَذْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ شَهِيدَةٌ» [رواه الإمام مالك وأبو داود، وصححه الحاكم والذهبي].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى «تَمُوتُ بِجُمُعٍ»: (مَعْنَاهُ: أَنْ تَمُوتَ وَفِي بَطْنِهَا وَلَدٌ).

ويدخل في المبطون مَنْ يَمُوتُ بِسَبَبِ الْأَدْوَاءِ الْمُؤَلِّمَةِ الْمُسْتَعْصِيَةِ، كَالسَّرَطَانِ، وَأَمْرَاضِ الْكَبِدِ وَالرَّئَةِ وَالْكُلَى وَغَيْرِهَا.

٤ - الموت بسبب الدفاع عن الدين أو المال أو العرض أو النفس؛ لقوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» [رواه الترمذي وصححه].

٥- الموت على عمل صالح؛ لقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ» [رواه أحمد، وصححه الألباني]. ومثله مَنْ مَاتَ وَهُوَ فِي عِبَادَةِ كَصَلَاةٍ أَوْ حَجٍّ، أَوْ سَفَرٍ طَاعَةً، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ.

ومن أعظم أسباب حسن الخاتمة:

١- الإيمان بالله، والاستقامة بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٢٠) [فصلت].

٢- الإكثار من سؤال الله الخاتمة الحسنة، وهذا يوسف (عليه السلام) يقول فيما حكى الله عنه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١١) [يوسف].

وقال ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» [رواه مسلم].

٣- الخوف من سوء الخاتمة، وهو يدفع الإنسان لفعل الطاعات وترك المعاصي، لأن الخوف باعث على العمل، وقد قال الرسول ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ» [رواه الترمذي وحسنه].

قال محمد بن مسلم بن واره الرازي: حضرت مع أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي عند أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي، وهو في النَّزْعِ، فقلت لأبي حاتم: تعال حتى نلقنه الشهادة، فقال أبو حاتم: إني لأستحيي من

أبي زرعة أن ألقنه الشهادة، ولكن تعال حتى نتذكر الحديث، فلعله إذا سمعه يقول.

قال محمد بن مسلم: فبدأتُ فقلتُ: حدثنا أبو عاصم النبيل قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، فأرتج عليّ الحديث حتى كأني ما سمعته ولا قرأته! فبدأ أبو حاتم وقال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم النبيل، عن عبد الحميد بن جعفر، فأرتج عليه حتى كأنه ما قرأه ولا سمعه!

فبدأ أبو زرعة وقال: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم النبيل قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عَرِيبٍ، عن كثير بن مُرَّة، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» وخرجتُ رُوْحُهُ مع الهاء من قبل أن يقول: «دخل الجنة». رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفوائد:

- ١ - من رحمة الله بالعبد أن يُحسِّنَ خاتمته.
- ٢ - العبرة بالخواتيم والنهايات.
- ٣ - الاستقامة من أهم أسباب حسن الخاتمة.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الثبات عند الممات، لابن الجوزي
- ٢ - أحكام الجنائز، للألباني.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالسُّتُونَ

الحذر من سوء الخاتمة

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [إبراهيم].

في هذه الآية تحذيرٌ لكلٍّ من أعرَضَ عن ربه عز وجل، وأقام على معاصيه، وتهاون بأوامره وشرعه، بإعراض الله عنه، وتخليه عنه، جزاءً وفاقاً، حتى يختم له بسوء والعياذ بالله!

ومما جاء في الخوف من سوء الخاتمة، قوله ﷺ: «... فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» [رواه البخاري ومسلم].

قال ابن القيم رحمه الله: (لَمَّا كَانَ الْعَمَلُ بَآخِرِهِ وَخَاتِمَتُهُ، لَمْ يَصْبِرْ هَذَا الْعَامِلُ عَلَى عَمَلِهِ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ، بَلْ كَانَ فِيهِ آفَةٌ كَامِنَةٌ وَنَكْتَةٌ خُذِلَ بِهَا فِي آخِرِ عَمَرِهِ، فَخَانَتْهُ تِلْكَ الْآفَةُ وَالِدَاهِيَةُ الْبَاطِنَةُ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ، فَرَجَعَ إِلَى مُوَجِّبِهَا، وَعَمِلَتْ عَمَلُهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَشٌّ وَآفَةٌ لَمْ يَقْلِبِ اللَّهُ إِيْمَانَهُ كُفْرًا وَرِدَّةً مَعَ صَدَقِهِ فِيهِ وَإِخْلَاصِهِ بَغَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُ يَقْتَضِي إِفْسَادَهُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْ سِرَائِرِ الْعِبَادِ مَا لَا يَعْلَمُهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) [الفوائد].

وقال رحمه الله أيضاً: (وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالِ حُضُورِ ذَهْنِهِ وَقُوَّتِهِ وَكَمَالِ إدْرَاكِهِ،

قد تمكن منه الشيطان، واستعمله فيما يريد من معاصي الله، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشتغال قلبه ونفسه بما فيه من ألم النزع، وجمع الشيطان له كل قوته وهِمَّته، وحشده عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته! فإن ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال، فمن ترى يسلم على ذلك؟ فهناك ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم]. [كتاب الداء والدواء].

صور من سوء الخاتمة:

١ - نقل الحافظ ابن رجب رحمته الله عن أحد العلماء أنه قال: حضرت رجلاً عند الموت يُلقنُ لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بذلك، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مُدْمِنٌ خمر! فكان يقول: اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته. [جامع العلوم والحكم].

٢ - ذكر الحافظ الذهبي رحمته الله أن رجلاً كان يُجالِسُ شراب الخمر، فلما حضرته الوفاة، جاءه إنسان يُلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقني، ثم مات!

من أسباب سوء الخاتمة:

١ - الإصرار على المعاصي وإفهاها، قال ابن كثير رحمته الله: (إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت، ومع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلانان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة).

٢- الانكبابُ على الدنيا، والغفلةُ عن الآخرة، وتناسي الموت.

٣- مصاحبة أهل الفساد والمعاصي.

الفوائد:

١- العبرة بالخواتيم، والحذر من أسباب سوء الخاتمة.

٢- الحذر من الأمن من مكر الله.

مراجع للاستزادة:

١- الثبات عند الممات، لابن الجوزي.

٢- الفوائد، لابن قيم الجوزية.

٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي.

والحمد لله رب العالمين.

الباب الخامس الفكر

- الدرس الثامن والستون: مبدأ الشورى.
- الدرس التاسع والستون: أسرتك والفضائيات.
- الدرس السبعون: المواطنة في شريعتنا.
- الدرس الحادي والسبعون: أدب الخلاف.
- الدرس الثاني والسبعون: مخالفات اجتماعية.
- الدرس الثالث والسبعون: خطورة التكفير.
- الدرس الرابع والسبعون: خطورة التبديع.
- الدرس الخامس والسبعون: الاستهزاء بالدين.
- الدرس السادس والسبعون: الحرية وضوابطها.
- الدرس السابع والسبعون: الترفيه المباح.
- الدرس الثامن والسبعون: التلازم بين العمل والعلم.
- الدرس التاسع والسبعون: خصائص الدين الإسلامي.

الدَّرْس الثَّامِنُ وَالسُّتُون

مبدأ الشورى

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

نزلت هذه الآية بعد غزوة أحد وبمناسبتها، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قد استشار أصحابه رضي الله عنهم فيما يفعل قبل الغزوة، فأشار الشباب ومن لم يحضر بدرًا بالخروج لملاقاة جيش الأعداء، وأشار بعض الصحابة بأن يتحصن المسلمون بالمدينة.

وكان الرسول ﷺ يميل إلى البقاء بها، ولكن الاتجاه الأول حظي بتأييد أغلبية المسلمين، وخاصة من لم يحضر بدرًا؛ رجاء أن ينالوا ما ناله البديرون من شرف، وخرج الرسول ﷺ بالمسلمين، وكان ما كان بعد مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ، ومع ذلك نزلت الآية الكريمة: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، فلا يحملنك ما كان من نتائج المشاورة على أن تتركها، بل شاوِرهم في الأمر.

وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد أن تكون سياسة المسلمين قائمة على مبدأ الشورى؛ ولا يجوز لأحد أن يستبد بالرأي دون غيره.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (واعلم أنه إنما أمر النبي ﷺ بمشاورة

أصحابه فيما لم يأت فيه وحي، وعمَّهم بالذكر، والمقصودُ أربابُ الفضل والتجاربِ منهم [زاد المسير ١/ ٤٤٢].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على مشروعية الشورى والاهتمام بها. ومن الأحاديث التي يُستدلُّ بها للشورى: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي الهيثم بن التَّيَّهَانِ رضي الله عنه: «هل لك خادم؟» قال: لا. قال: «فإذا أنا سبي، فأتنا». فأتى النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم؛ قال النبي ﷺ: «اخترْ منهما» قال: يا رسول الله! اخترْ لي. فقال النبي ﷺ: «إن المستشارَ مُؤْتَمَنٌ، خذْ هذا؛ فإنِّي رأيته يصلي، واستوص به خيراً». فقالت امرأته: ما أنت ببالح ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تُعتقه. قال: فهو عتيق.

فقال النبي ﷺ: «إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة، إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، ومن يوقِ بطانةَ السوءِ فقد وُقِّيَ» [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب]. والأحاديث كثيرةٌ معلومة.

والشورى واجبة في المجتمع الإسلامي تحقيقاً للمصالح العامة والخاصة؛ قال الإمام ابن خُوَيْرِزْمَنَدَادَ رحمته الله: (واجبٌ على الولاة مشاورَةُ العلماء فيما لا يعلمون، وما أشكلَ عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها) [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يُشاورَ فيه أصحابه، فقالت طائفة: ذلك في مكاييد الحروب، وعند لقاء العدو، وتطبيبا لنفوسهم، ورفعاً لأقدارهم، وتألّفاً على دينهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه).

ولذا وجب أن يكون في الأمة رجالٌ أهلٌ بصيرة ورأيٍ في سياستها ومصالحها الاجتماعية، وقدرة الاستنباط، يُردُّ إليهم أمرُ الأمن والخوف وسائر الأمور الاجتماعية والسياسية.

وحينما قرّر الإسلام مبدأ الشورى قضى بذلك على الاستبداد بالحكم والرأي، واحتكار التشريع، والتصريف، والإدارة، وحقّق للفرد كرامته الفكرية، وللجماعة حقّها الشرعيّ في تدبير شؤونها.

وقد ذكر العلماء للشورى خصائص عدة، منها:

١ - أنها استجابة لله تعالى: فقد رفع الإسلامُ الشورى إلى الحدّ الذي جعلها فيه من دعائم الإيمان، وصفةً من الصفات المميزة للمسلمين، فسوّى الله بينها وبين الصلاة والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى].

٢ - أنها هداية ربانية، وفضيلة إنسانية: فعلى الحاكم أن يستشير أهل الحلّ والعقد في أمور الحكم والسياسة وكلّ ما يتعلق بمصلحة المسلمين؛ وعلى المحكومين أن يُشيروا على الحاكم بما يرونه في هذه المسائل كلها، سواء استشارهم الحاكم أم لم يستشرهم.

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (لا غنى لولي الأمر عن المشاورة؛ فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ) [مجموع الفتاوى ٢٨ / ٣٨٦].

الفوائد:

- ١ - الشورى مبدأ إسلامي، أمر به القرآن الكريم، وأخذ به النبي ﷺ، وخلفاؤه الراشدون من بعده.
- ٢ - الشورى أُلْفَةٌ للجماعة؛ ومنازٌ للعقول؛ وسببٌ إلى الصواب، وما تشاورَ قومٌ إلا هُدُوا.

مراجع للاستزادة:

- ١ - السياسة الشرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢ - نظام الشورى في الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة، د. زكريا عبد المنعم إبراهيم الخطيب.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالسُّتُونُ

أَسْرَتُكَ وَالْفَضَائِلُ

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم ٦].

في هذه الآية الكريمة بيانٌ لمسؤولية المسلم تجاه أسرته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أوجب عليه حفظ ما استرعاه، فهو مسؤول عنهم، راعٍ لهم، ويؤكد هذا ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كَلِّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْءُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيٌّ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [رواه البخاري (٨٥٣)].

والراعي هو الحافظ الْمُؤْتَمَنُ الْمُلتَزِمُ صلاح ما أوْتُمِنَ على حفظه، والرعية كل من شَمِلَهُ حفظُ الراعي ونظرُهُ، ورعاية الرجل أهله؛ سياسته لأمرهم، والحدُّ من فتنتهم في دينهم، ومما يجلب لهم أسباب الضلال والانحراف فيما يقرؤون ويسمعون ويُبصرون.

ولكل راعٍ داخل أسرته ولايةٌ تجعله مسؤولاً فيها عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوماً، ومسؤولاً عن إنكار المنكر الذي يفعله أحد الداخلين في رعيته، ومسؤولاً عن تغيير المنكر ولو بيده، إذا لم يترتب على تغييره منكرٌ أشدُّ وأعظم.

هذا، وقد انتشرت في عصرنا القنوات الفضائية، التي أصبحت تتيح لأي شخص استقبال عددٍ كبيرٍ منها، والخطر على من يتابعون هذه القنوات بما فيها

من برامج تشكل تهديداً للهوية الإسلامية والحضارية، عن طريق ما تلحقه من تأثير في الثوابت الإسلامية والأخلاق والعادات والتقاليد، إذ تعتمد على الخلاعة والمجون وإثارة الغرائز، وعلى مشاهد الإجرام والعنف والسرقة، وتناول الخمر والمخدرات والقمار، التي تؤثر في سلوك أولادنا وبناتنا.

ففي إحدى الدراسات العلمية الحديثة تبين أن نسبة ٦٩٪ من الجمهور العربي يشاهدون الفضائيات لمدة أربع ساعات يومياً! وأن ٣١٪ منهم يشاهدونها لمدة ثلاث ساعات يومياً، و ٣٤,٥٪ لمدة ساعتين، و ١٥٪ لمدة ساعة واحدة يومياً.

وكل ذلك وغيره له تأثيره السلبي على الأبناء الذين يقضون وقتاً طويلاً في متابعة هذه القنوات التي ربما تدفع الناشئة دفعا الى تقليدها، ومن ثم الوقوع في الانحراف والإجرام واستمراء الفواحش.

ولا يخفى على أحد أن متابعة مثل هذه الأمور مما نهى الله سبحانه وتعالى عباده عنه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان].

ومن هنا تتأكد مسؤولية ولي الأمر ورعايته فيما يتعلق بهذه القنوات، فمن الواجب عليك - أخي المسلم - أن تلاحظ أبناءك وأسرتك في متابعتها لما يبث من برامج ومسلسلات وغيرها، وأن تختار لهم من هذه القنوات ما ينفعهم، وتدفع عنهم منها ما يضرهم، ومن الواجب أيضاً أن تختار لهم من البرامج ما يفيدهم ويقوي إيمانهم.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه].

ولا بد من العلم أيضًا أن القنوات الفضائية وإن كانت تحمل كثيرًا من الرسائل التي تحطّم كيان الأمة، وتكون سببًا في شقائها، إلا أنه من الممكن أن تحمل هذه القنوات رسائل خير وتربية وهداية، وهنا يبرز دور ولي الأمر وراعي الأسرة.

فتعاونوا - معاشر أولياء الأمور - على القيام بهذه المسؤولية داخل بيوتكم وخارجها، وتابعوا أولادكم أينما كانوا، مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، علموهم أمور دينهم، وطهروا بيوتكم من كل القنوات الفاسدة، وعلموا أولادكم كيف يمكن أن ينتفعوا من هذه القنوات، وكيف يمكن أن ينفعوا غيرهم بها، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يستره الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة» [أخرجه البخاري].

الفوائد:

- ١ - إن كانت القنوات تحمل رسائل تحطّم كيان الأمة، إلا أنه من الممكن أن تحمل رسائل خير وتربية وهداية.
- ٢ - علينا - نحن أولياء الأمور - تعليم أولادنا، وتوجيه أسرنا إلى كيفية التعامل مع هذه الفضائيات.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٩٦.
- ٢ - المدخل لابن الحاج ١ / ٢٠٩.
- ٣ - مجلة الأسرة العدد ١١٣.

والحمد لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ السَّبْعُونَ

المواطنة في شريعتنا

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفس والخروج من الديار، لم يفعله إلا القليل النادر، فجعل الله في هذه الآية الخروجَ من الديار والأوطان قرينَ قتل النفس في المشقة والعنت، لأن حب الوطن والحنينَ إليه والدفاعَ عنه أمرٌ فطر الله عليه بني آدم).

وجاء في صحيح البخاري (١٨٠٢): «أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر، فأبصر درجاتَ المدينة أَوْضَعَ نَاقَتَهُ» [أي أسرع بها]. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (في الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه).

وجاء في الصحيحين في قصة بداية نزول الوحي على رسول الله ﷺ ذهابه إلى ورقة بن نوفل، وقول ورقة له: ليتني أكون معك إذ يُخرجك قومك! فقال ﷺ: «أَوْمُخِرَجِيَّ هُمْ»!

قال السهيلي رَحِمَهُ اللهُ: (يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس، فإنه سمع قول ورقة أنهم يؤذونه ويكذبونه، فلم يُظهر انزعاجاً لذلك، فلما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لذلك، لحب الوطن وإلفه).

وقال بعضهم: (لولا حبُّ الوطن لَخَرِبَ بلدُ السوء).

وقد ذكر ياقوتُ الحَمَوِي رَحِمَهُ اللهُ فِي معجم البلدان كلامًا عن حب الناس لأوطانهم، وإن كانت قد جمعت المساوئ والمضارَّ، فقال عن بلدة تَبَسَّة في إفريقية: (وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن أكثرُها، ولم يبق بها إلا مواضع يسكنها الصعاليك، لحبهم لأوطانهم، لأن خيرها قليل).

وذكرُ رُصَافَةَ الشام، وأنها ليس عندها نهر ولا عين جارية، إنما شربُ أهلها من صهاريجَ عندهم، وربَّما فرغت في أثناء الصيف، فلأهل الثروة منهم عبيد وحمير يمضي أحدهم إلى الفرات العصرَ فيجيء بالماء في غداة غدٍ! لأنَّه يمضي أربعة فراسخ أو ثلاثة ويرجع مثلها، وعندهم آبارٌ طولُ رِشاء كلِّ بئر مئة وعشرون ذراعًا وأكثر، وهو مع ذلك مِلح رديء، وهي في وسط البرِّيَّة، ولبنِي خَفَاجَة عليهم خَفَارَة [أي مال] يؤدونها إليهم صاغرين، وبالجملة لولا حبَّ الوطن لَخَرَبَتْ.

وقال أبو عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ: (مما يدل على حرية الرجل وكرم غريزته حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى مقدَّم إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه). وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، قال بإصبعه هكذا - ووضع سفيانُ بن عيينة [راوي الحديث] سَبَابَتَهُ في الأرض ثم رفعها - ثم قال: «باسم الله، ترْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» [أخرجه البخاري (٥٧٤٥) ومسلم (١٩٤)].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عن البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ قوله: (شَهِدَتْ المباحث الطبية على أن الرِيقَ له دَخْلٌ في النَّضْجِ وتبديل المزاج، ولتراب الوطن تأثير في حفظ المزاج الأصلي، ودفع نكايه المتغيرات).

ولما هاجر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إلى المدينة أصابتهم الحمى، فقال النبي ﷺ:

«اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كما حَبَّبْتَ إلينا مكةَ وأشدَّ» [رواه البخاري (٦٣٧٢)].
وقد قال ﷺ لما خرج من مكة: «والله إني أعلمُ أنك خيرُ أرضِ الله وأحبُّها إلى الله، ولولا أن أهلكَ أخرجوني منك ما خرجتُ» [رواه عبد الرزاق في المصنف،
والحاكم في المستدرک، وصححه ابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٨٨].

ولذا كان من حكمة الشريعة المباركة أن جعلت النفي والتغريب من جملة العقوبات والحدود، كما في الزاني غير المحصن، والمفسدين في الأرض، لأن النفوس تتأذى وتشقى من مفارقتها لأوطانها. قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (يكفيه مفارقة الوطن والعشيرة خذلانًا وذُلًّا).

وقال الشاعر:

كم منزلٍ في الأرض يألُفه الفتى وحينئذٍ أبداً لأولِ منزلٍ

ويجب أن يُعلم أن من علامات حب الوطن الصادق الدفاع عنه، والسعي في رفعته، والمحافظة على ممتلكاته، وتجنب كل ما فيه ضرر عليه أو على أهله.

الفوائد:

- ١ - حب الوطن والدفاع عنه أمر فطر الله الناس عليه.
- ٢ - التغرب عن الأوطان من أشق الأمور على النفوس.
- ٣ - لثراب الوطن خاصية في صحة المرء.

مراجع للاستزادة:

- ١ - معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- ٢ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالسَّبْعُونَ

أَدَبُ الْخِلَافِ

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

يحذّر الله جل شأنه في هذه الآية الأُمة من التفرّق عن الحق بوقوع الاختلاف فيها كما وقع في الأمم السابقة من قبل، أو كما كانوا متفرقين في الجاهلية يحارب بعضهم بعضاً.

فإنّ الله بعث الأنبياء كلّهم لإقامة الدين والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة، يقول النبي ﷺ: «يا معشر الأنصار! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مَتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟» [أخرجه البخاري].

ولمّا كان الاختلاف من طبيعة البشر، ومقتضى تفاوت العقول والأفهام، فإنه إن لم يُحطْ بسورٍ من الأدب يمنع المرء من البغي على مخالفه، مما يجلب العداوة والتباغض، فسيؤدي ولا بدّ إلى تفرّق الأُمة وتشتّتتها، مما يكون فيه زوال هيبتها، وانكسار شوكتها.

وقد سَطَّرت شريعتنا العظيمة خطأً عريضاً في أدب الخلاف، تمثله سلفنا واقعاً في خلافهم العلمي، حفظه لنا التاريخ مفخرة من مفاخر هذه الأُمة.

وفي هذا يقول الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: (وقد وقع اختلافٌ في الفروع بين الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ خَيْرِ الأُمة، فما خاصم أحدٌ منهم أحداً، ولا عادى أحدٌ أحداً، ولا نسبَ أحدٌ أحداً إلى خطأ ولا قصورٍ) [جزيل المواهب في اختلاف المذاهب].

ومن الصور المضيئة في أدب الخلاف عند سلفنا، تلك الرسالة التي أرسلها إمام مصر الليث بن سعد رحمته الله إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمته الله، يبين فيها وجهة نظره في خلافه معه في بعض المسائل الفقهية، ومما جاء فيها: (وقد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسر، فأدام الله ذلك لكم... وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة.. فهذه منزلتكم عندي ورأيي فيكم فاستيقنوه، ولا تترك الكتاب إليّ بخبركم وحالكم وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك، فإني أسر بذلك...).

وقال يونس بن عبد الأعلى رحمته الله تلميذ الإمام الشافعي رحمته الله: (ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة)!

الخلاف نوعان:

النوع الأول: خلاف مذموم: وهو ما كان في أصول الدين، كالمجادلة في أمور العقائد والغيب، وما كان في أركان الإسلام الخمسة، وكذلك ما صادم نصاً شرعياً ثابتاً، أو أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، وكذلك كل خلاف كان ناشئاً عن هوى، أو كان طريقاً إلى تفريق وحدة الأمة؛ فهذه الصور جميعها لا يقبل من أحد أن يجتهد فيها برأيه ثم يدعو الناس لاحترام رأيه بحجة أدب الخلاف وحرية الرأي!

النوع الثاني: خلاف سائغ مقبول: وهو ما كان من قبيل اختلاف الأفهام في مسائل الفقه العملية، ومن هذا القبيل اختلاف أئمتنا رحمهم الله، وقد وقع قبلهم من صدر الأمة وهم الصحابة رضوان الله عليهم، وفيهم أبو بكر وعمر وبقية العشرة المبشرين بالجنة؛ فإنهم ما كان خلافهم إلا من هذا القبيل.

ويشهد لصحة هذا الاختلاف ما أخرجه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ». فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها - أي ديار بني قريظة - وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يُعَنَّفْ واحداً منهم. ومن هنا نفهم حقيقة الخلاف بين المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة.

أدب الخلاف:

إنَّ أدب التعامل مع المخالف يُثري الخلاف، ويُنصف المخالف، وهو باب من أبواب النصيح لعامة المسلمين، ومما يشاهد اليوم - وهو مُستهجنٌ - أن يكون الخلاف في بدايته سائغاً مشروعاً، ثم يتطور ليصبح سبباً للفرقة والخصام، وذلك في غياب أدب الاختلاف بين المختلفين!

وإن ضابط الخلاف المشروع؛ ألا يؤدي إلى فرقة ومخاصمة بين المسلمين، فسلفنا الصالح اختلفوا، لكنهم لم يتخاصموا، وكذلك ينبغي أن نكون.

وهنا جملة من الآداب، إن تحلى بها المختلفون عُصموا - إن شاء الله - من مغبة النزاع، وهي:

١ - إحسان الظن بالمخالف، واعتقاد أنه لا يتعمد مخالفة الحق والمحادّة والمعاندة.

٢ - عدم انتهاك حرمة المخالف، كاستباحة غيبته وهتك حرمة.

٣ - أن يكون من ينكر على مخالفه عالماً بما يقول، فلا يُنكر عن جهل.

٤ - التوثق من المخالف، وعدم أخذه بالظنون والتخرّصات.

٥ - حمل كلام المخالف على الأحسن والأليق، والتماس الأعذار.

- ٦- معرفة مكانة المخالف ومنزلته.
- ٧- انتهاج الطرق الشرعية مع المخالف، وقد حصل شَطَطٌ في هذا الجانب حتى وصل الأمر عند مَنْ جهل أدبيات الخلاف إلى أن استحل الإنكار على مخالفه باليد، وربما بالسلاح!
- ٨- وضع المخالفة في موضعها الصحيح، فلا تُعدُّ البدعةً غيرُ المكفرة كُفْرًا، ولا المعصية كُفْرًا، ولا الخطأ الاجتهادي والرأي بدعةً وضلالًا.
- ٩- عدم التمحل في تحميل كلام المخالف ما لا يحتمله، وتجريمه بما لا يلزمه.
- ١٠- المناصحة سرًّا وعدم التشهير بالمخالف.

الفوائد:

- ١- الاختلاف من طبيعة البشر، ولكن الإسلام هذبهُ وقوّم مساره.
- ٢- الخلاف صورةٌ من صور مرونة الشريعة وسعتها.
- ٣- إن أدى الخلاف إلى تفرقةٍ وخصامٍ فهذا أمارَةٌ كونه مذمومًا مردوًّا.

مراجع للاستزادة:

- ١- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢- لا إنكار في مسائل الاجتهاد، د. عبد السلام مقبل المجيدي.
- ٣- أدب الخلاف في مسائل الاجتهاد، د. طه جابر العلواني.
- ٤- ضوابط الاختلاف في ميزان السنة، د. عبد الله شعبان.

والحمد لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ

مخالفات اجتماعية

إن من أهم الأعمال الملقاة على عاتق الأئمة والخطباء خاصة: أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فعليهم أن ينبهوا الغافل، ويعلموا الجاهل، ويذكروا الناسي، وسنذكر جملة من المخالفات الاجتماعية المنتشرة مع ذكر دليلها الشرعي، ومن أهمها:

١ - قطيعة الأرحام وهجرهم:

قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ [محمد].
وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» [متفق عليه].

فينبغي للمسلم أن يتغافل عن الزلات، ويعفو عن الإساءة، خاصة مع الأرحام والأقارب، وقد روى مسلم في [صحيحه (٢٥٥٨)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ! فقال ﷺ: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك». ومعنى «تُسَفِّهُمُ الْمَلَّ»، أي تُطْعِمُهُم الرَّمَادَ الْحَارَّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق أكل الرَّمَادِ الْحَارِّ من الألم، ولا شيء على هذا المُحْسَن إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم. [رياض الصالحين للنووي].

٢- عدم مراعاة الضوابط الشرعية في الملبس:

ينبغي للعبد المسلم رجلاً كان أو امرأةً أن يتقيدَ بالضوابط الشرعية في أموره كلها، ومما تكثر المخالفات فيه ما يلبسه الناس، ومن هذه الضوابط المهمة ألا تكون الملابس شفافةً أو ضيقةً تصفُ العورة، وألا يكون فيها تشبُّهٌ بالجنس الآخر، وألا تكون ملابس شهرة، وألا يكون فيها تصاويرٌ من ذوات الأرواح، وألا يكون فيها تشبُّهٌ بلباس الكفار، وألا يكون فيها للرجل إسبال.

٣- عدم تمكين الخاطب الصالح من الرؤية الشرعية:

فقد رغب النبي الكريم ﷺ الخاطب أن ينظر إلى من يرغب بالزواج منها، فقد قال ﷺ: «إِذَا خُطِبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ» [رواه أبو داود (٢٠٨٢) وصححه الألباني]، وبين نبينا الكريم ﷺ الحكمة من هذه الرؤية بقوله للمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤَدِمَ بَيْنَكُمَا» [رواه أحمد والترمذي وحسنه].

٤- الإسراف في الولائم والأطعمة، ورمي المأكولات في الحاويات:

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وإن هذا التبذير والإسراف مما لا يرضاه الله عز وجل، ويزداد الفعل سوءاً إذا كان يرمى ما زاد في حاويات الزبالة! قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

٥- اتخاذ الصحف وغيرها مما فيه ذكرُ الله ورسوله ﷺ لوضع الطعام عليها:

هذا من المنكرات الشائعة التي تساهل فيها الناس جداً، وينبغي للمؤمن

أن يكون معظمًا لشعائر الله وحُرُماته، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج]، فالصُّحُفُ المشتملة على الآيات وأسماءِ الله عز وجل يجب صونها عن الامتهان، خاصة مع وجود حاويات مخصصة للصُّحُف والمجلات.

٦- الاستماع إلى الأغاني والمعارف:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان]. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقسم بالله أنه الغناء.

٧- تعليق الصور من ذوات الأرواح في المجالس وغيرها:

فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها «أنها نَصَبَتْ سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرُ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَعَهُ» [متفق عليه].

٨- عدم العدل في القسمة بين الزوجات، أو في النفقة والعطية بين الأولاد:

فإن هذا كله من الجور الذي لا يرضاه الله؛ قال الله تعالى: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»! [رواه أبو داود وصححه الألباني]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» [متفق عليه].

٩- التساهل في مصافحة النساء الأجانب أو الخلوة بالمرأة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ» [رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٩١٠)]،

وقال النبي ﷺ: «لا يَخْلُونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان» [رواه الترمذي

وقال: حديث حسن صحيح غريب].

١٠ - التشبه بأعياد الكفار أو مشاركتهم فيها:

لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُوا﴾ [الحديد: ١٦]. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في الأمور الأصلية والفرعية).

وقال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» [رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع

٦١٤٩].

الفوائد:

- ١ - أهمية أن يتعلم المسلم ما يحتاجه من أمور دينه.
 - ٢ - أهمية الحزم في معالجة الأخطاء قبل استفحالها وانتشارها.
 - ٣ - من الخطأ أن يترك المسلم السنة ويتبع عادات الناس وتقاليدهم.
- مراجع للاستزادة:**
- ١ - المنظار في بيان كثير من الأخطاء الشائعة، للشيخ صالح آل الشيخ.
 - ٢ - بدع وأخطاء في مجتمعاتنا، للدكتور فرحان عبيد الشمري.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ

خطورة التكفير

التكفير بغير دليل ولا مستند شرعيّ من أخطر البدع وأشدّها على الأمة؛ وذلك لاستباحة التكفيريين دماء الأمة وأموالها، مُتَقَرِّبين بذلك إلى الله تعالى في زعمهم! والحكمُ بكفر رجلٍ مسلم هو من الخطورة بمكان؛ لأنّ المرء يكون به حلالَ الدم بعد أن كان معصومًا، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنْهُ نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» [أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١)]، وفي رواية: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسولُ الله...» [أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)].

وتكفيرُ مسلمٍ بغير حجةٍ قائمةٍ من أعظم الظلم وأبشعه عليه، فعن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» [أخرجه مسلم (٢٨٦٥)].

ولا شك أنّ أعظم البغي على المسلم تكفيره. وقد قرّر العلماء - بعد استقراءهم لنصوص الشرع - أنّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ بَيِّقِينَ، لَمْ يُحَكَمْ لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَّا بَيِّقِينَ.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والذي ينبغي: الاحترازُ عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإنّ استباحة دماء المصلين المُقَرَّرِينَ بالتوحيد: خطأ، والخطأُ في ترك ألف كافر في الحياة أهونُ من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد) [فتح الباري ١٢/٣١٤].

فلا يجوز المبادرة بتكفير مَنْ وَقَعَ فِي مُكْفَرٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقِيْمَ لَهُ الْحُجُجُ
والبراهين على أن ما عمله هو الشرك الأكبر، وذلك لغلبة الجهل على الناس،
واندثارِ علوم الشريعة النافعة في المجتمعات الإسلامية، ولا سيما علم
التوحيد، وما أَكْثَرَ ما وقع الجهال والعوام - بل بعض مَنْ يدَّعي العلم - في
حَمَاةِ الشرك الأكبر بصرف العبادة لغير الله تعالى، من الأنبياء والصالحين
وغيرهم، يؤيدهم في ذلك وَيُشَجِّعُهُمْ بعض المنتسبين إلى علم الدين، سابقًا
ذلك في قالب حب الصالحين!

فعلى العلماء أن يهتموا بنشر التوحيد بين الأنام، وبيان محاسنه، وتقبيح
الشرك وتهجينه، والتحذير منه ومن البدع والمُحَدَّثَات، وإلا فقد دخلوا تحت
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة].

وقد عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الأدب من صحيحه بابًا بعنوان:
(باب ما يُنْهَى عن السباب واللعن)، وأوردَ فِيهِ أَحَادِيث، منها:

١- حديثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا
بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ: إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ».

٢- حديثُ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «مَنْ خَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ... وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ
كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَهُ بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».

بل عقدَ فِيهِ بابًا بعنوان: (باب مَنْ أَكْفَرَ أَخَاهُ بِلَا تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ)، وأوردَ
فِيهِ أَحَادِيث، منها:

١ - حديثُ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».

٢ - حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في شرح حديث أبي ذر السابق - بعد أن ذكر أقوالاً كثيرة في المراد من قوله ﷺ: «وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ» - قال: (وَأَرْجَحُ مِنَ الْجَمِيعِ أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لِمَنْ يُعْرِفُ مِنْهُ الْإِسْلَامَ، وَلَمْ يَقُمْ لَهُ شُبْهَةٌ فِي زَعْمِهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِذَلِكَ، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ: فَقَدْ رَجَعَ عَلَيْهِ تَكْفِيرُهُ، فَالرَّاجِعُ التَّكْفِيرُ لَا الْكُفْرُ، فَكَأَنَّهُ كَفَرَ نَفْسَهُ لَكُونِهِ كَفَرًا مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَمَنْ لَا يُكْفِرُهُ إِلَّا كَافِرٌ يَعْتَقِدُ بَطْلَانَ دِينِ الْإِسْلَامِ).

وقد عدَّ بعضُ العلماء تكفيرَ المسلم من المكفَّرات المناقضة للإيمان، وذلك لما ورد في ذلك من التحذير الشديد، كما سبق في هذه الأحاديث. فالواجبُ في هذا الباب الحذرُ الشديد من التسرع في التكفير، والعصمةُ في ذلك بإذن الله تعالى هو اتباعُ منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب. وقد بين أهل السنة والجماعة لذلك ضوابطَ مُستنبَطةً من نصوص الشرع، وأهمُّها أمران:

الأمر الأول: الفرق بين تكفير المعين، والتكفير المطلق:

أما تكفير المعين: فهو وصفُ شخصٍ ما بأنه كافر، لعملٍ قام به أو قولٍ قاله، وهذا لا يجوز إلا بتحقيق شروط، وانتفاء موانع.

وأما التكفير المطلق: فهو إطلاق الكفر على الفعل أو القول أو الاعتقاد، وعلى فاعل ذلك على سبيل الإطلاق، وهذا النوع قد ورد في الشرع إطلاقه، فنُطِلِّقُه كما أطلقه الشارع، فيقال مثلاً: مَنْ اعتَقَدَ أن الله ليس فوق السماء: فهو كافر، أو أكل الربا ملعون، وشارب الخمر ملعون، ونحو ذلك مما أطلقه الشارع.

فالحكمُ في هذا النوع يتعلق بالعموم أو بالفعل، ولا يتعلق بالشخص المعين.

الأمر الثاني: شروط تكفير المعين، وموانعه:

أما الشروط فأهمُّها:

١ - أن يَظْهَرَ من قوله أو فعله ما يدل على المعنى الكفري، ويَلْتَزِمُه.

٢ - قيامُ الحجة ووضوحُها.

وأما موانع تكفير المعين: فالمسلم إذا فعل فعلاً أو قولاً أو اعتقاداً كفريةً، فإنه يُدْرَأُ التكفير عنه بمانع من الموانع التي دلت عليها أدلة الكتاب والسنة، وذكرها العلماء، وأهمُّ هذه الموانع: الجهل، والتأويل، والإكراه.

الفوائد:

١ - إنَّ تكفيرَ المسلم من أعظم الظلم والبغي عليه.

٢ - بدعةُ التكفير من أخطر البدع وأشدّها على الأمة، وهي بدعةُ الخوارج.

٣ - لا بدّ من التقيّد بالضوابط الشرعية في هذا الباب الخطير، وفي هذه الضوابط العصمة.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ

خطورة التبديع

قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨) [ق].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أي ابن آدم ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي إلا ولها مَنْ يَرْقُبُهَا، مُعَدٌّ لذلك يكتبها، لا يترك كلمةً ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَلِإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (١٠) ﴿كَرَامًا كُنِينٍ﴾ (١١) [الانفطار].

مما لا شك فيه أن البدعة خطرٌها عظيم، وضررها جسيم؛ فهي قرينة الشرك، وذلك لأنهما يَنْقُضَانِ أو يُضَعِفَانِ الشهادتين، وهما الركن الأول من أركان الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالشرك يَنْقُضُ شهادة أن لا إله إلا الله، والبدعة تنقُضُ شهادة أن محمداً رسول الله، أو تُضَعِفُ كمالها.

ولذلك حذر رسول الله ﷺ من البدع أشدَّ التحذير، فوصفها بأنها شر الأمور، وأنها ضلالة، وأنها في النار، وأن الله احتجز التوبة عن صاحبها، وأنها مردودة غير مقبولة، وذلك لأنها تشريع لما لم يأذن الله به، وتَقَرُّبٌ إليه بما لم يُنْزَلْ به سلطاناً، لذلك قال العلماء: إن جنس البدع أخطر من جنس المعاصي. وقال بعض السلف: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية.

وسئل الشيخ محمد بن العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: أيهما أشدُّ؟ البدعة أو المعصية؟ فقال: (البدعة معصية وزيادة).

وبناء على ما تقدم، فإن إطلاق اللسان في تبديع الناس بأعيانهم، وتضليلهم وتفسيقهم أو تكفيرهم، من الأمور الخطيرة التي يترتب عليها عواقب وخيمة، وآثار سيئة في الدين والدنيا، وهو أمر مخالف للآداب الشرعية، وأصول أهل السنة والجماعة، ويمكن إجمال تلك المخاطر في الأمور التالية:

الأمر الأول: أن التبديع والتضليل من المسائل الخطيرة التي لا يصلح أن يتولاها إلا العلماء الراسخون، لأن التكفير والتبديع لكل منهما ضوابط وشروط وموانع وحدود يجب معرفتها، ومراعاتها عند الحكم على واحد بعينه بالتبديع والتضليل، لذا زلت فيه الأقدام، وتاهت فيه الأفهام، ولا يحسنه عامة المسلمين وطلبة العلم، بل هم في غنى عن المجازفة في خوض غماره، والغرق في بحاره، فمن الخطورة أن يُقدم أحد على تبديع المسلم ورميه بالضلالة!

الأمر الثاني: أن الله لن يسألك يوم القيامة: لماذا لم تُبدع فلاناً؟ ولكن إذا بدعت أحداً فإن الله سائلك لا محالة، وقد تنجو، وربما لا تنجو! فلاحتيال لنفسك ألا تفعل، لذلك قال بعض أهل العلم: (لأن تُخطئ بعدم التكفير والتبديع أهون من أن تخطئ بتكفير أحد أو تبديعه).

الأمر الثالث: أن تبديع الناس وتضليلهم منافٍ للنصوص الكثيرة الواردة في الكتاب والسنة، التي تحث على كف اللسان عن الكلام إلا بخير، وأن الإنسان محاسب على كل كلمة تخرج من فيه، صغيرة كانت أو كبيرة، وأن المسلم من سلم المسلمون من أذى لسانه كالسب، والشتم، والسخرية، والغيبة، ونحوها، فضلاً عن التبديع والتفسيق والتضليل، إذ هو من أعظم الأذية! ومن تلك النصوص الكثيرة:

- ١- قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق].
 - ٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء].
 - ٣- وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].
 - ٤- وقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [رواه البخاري (١٠) ومسلم (٤١)].
 - ٥- وقوله ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه البخاري (٥٦٧٢) ومسلم (٤٧)].
 - ٦- وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «إمليك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» [رواه أحمد والترمذي (٢٤٠٦) وقال: حديث حسن].
 - ٧- وقوله ﷺ: «ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال، وليس بخارج»! [رواه أبو داود (٣٥٩٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٦)]. الردغة: الوحل الشديد، ويقال: ارتدغ الرجل، إذا ارتطم في الوحل. وجاء في تفسير «ردغة الخبال»: أنها عصارة أهل النار.
- الأمر الرابع: أن تبديع الناس وتضليلهم بأعيانهم بغير حق، يترتب عليه حصول الشر والفتنة بين الناس، مما يؤدي إلى الاضطرابات، وسيادة الفوضى والحروب الكلامية التي ضررها أكثر من فائدها إن كان هناك فائدة!

الأمر الخامس: أن من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة، أن العالم إذا اجتهد فأخطأ، فهو معذور في خطئه، مأجورٌ على اجتهاده، كما أخبر النبي ﷺ بذلك في قوله: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتِهَدْ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتِهَدْ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ» [أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)].

وعليه فلا يُحَكَّمُ على أحد من أهل السنة، من العلماء وغيرهم، بأنه مبتدع أو خارج عن أهل السنة والجماعة بسبب خطئه في الاجتهاد؛ سواء كان ذلك الاجتهاد في مسألة علمية كمسائل التوحيد والاعتقاد، أو مسألة عملية، كمسائل الحلال والحرام؛ لأنه إنما قَصَدَ الْحَقَّ وَطَلَبَهُ، وهذا هو الذي أداه إليه اجتهاده، فهو معذور في ذلك، بل مأجور على اجتهاده، فكيف يقال بتبديعه أو تفسيقه!

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن المسلم يعذر بجهله وخطئه ونسيانه، وأنه غير مؤاخذ بكل ذلك، إذا قصد الخير وطلبه، واتقى الله تعالى قدر استطاعته.

وكذلك أقوال السلف وأفعالهم دلت على عذر بعضهم بعضاً في اجتهاداتهم، ولم يُبدَّعْ أو يُفَسَّقْ بعضهم بعضاً مع اختلافهم في مسائل عظيمة، فكانوا لا يذكر بعضهم بعضاً إلا بخير، مع استغفار كل واحد منهم لأخيه، وهذا من عظيم فقههم ﷺ.

وهذا لا يعني عدم التنبيه على أخطاء العلماء ومناصحتهم في ذلك، وبيان الحق للناس؛ فإن هذا من أعظم واجبات أهل العلم الذين استحفظهم الله

عليها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران ١٨٧].

لكن هذا مقيد بقيود، بأن يكون التنبيه والتوضيح من عالم متمكن في العلم، وأن يقصد بذلك وجه الله تعالى، وبيان الحق، مع احترام المخالف، وعدم انتقاصه، أو غمزه بجهل أو هوى، بل يكون الكلام منصباً على القول دون القائل، فإنه لا يتعرض له بشيء إلا إذا دعت الحاجة لذلك.

الفوائد:

- ١ - أهمية الرجوع إلى العلماء الراسخين في العلم في المسائل الكبار مثل التكفير والتبديع، ونحوهما.
- ٢ - خطورة إطلاق اللسان في تبديع الناس وتضليلهم بأعيانهم، وما يترتب عليه من المفساد في الدين والدنيا.

مراجع للاستزادة:

- ١ - موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي.
- ٢ - رفقا أهل السنة بأهل السنة، للشيخ عبد المحسن العباد.
- ٣ - خطورة البدعة، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ

الاستهزاء بالدين

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْزِدُوهُمْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة].

معنى الآية: ولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم؟ قالوا: تتكلم بكلام لا قصد لنا فيه، فبين الله كذبهم في ذلك، وأن عذرهم غير مقبول.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» [متفق عليه].

ولما كان أصل الدين مبنياً على تعظيم الله عز وجل، وتعظيم رسوله ﷺ وشريعته الغراء؛ كان الاستهزاء بشيء من ذلك مُنافياً لهذا الأصل، مُناقِضاً له أشدَّ المُناقِضة.

جاء في سبب نزول الآيات المُتقدِّمة، ما أخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب أسنًا، ولا أجبن عند اللقاء.

فقال رجل في المسجد: كذبت! ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، ونزل القرآن.

قال عبدُ الله بنُ عمرَ رضي الله عنهما: وأنا رأيته مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ، تَنكِبُهُ الحِجارةُ، وهو يقولُ: يا رسولَ الله! إِنَّمَا كُنَّا نَخَوْضُ ونَلْعُبُ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: ﴿أَيُّ اللَّهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [وهو حديث حسن بمجموع طرقه؛ كما يُشعرُ كلامُ الشُّوكاني في فتح القدير]. والحَقَبُ: حبلٌ يُشدُّ به الرَّحْلُ في بطن البعير. ونكَبَتِ الحِجارةُ: لثَمَت رِجلَه وظُفْرَه، أي نالتَه وأذنتَه وأصابته.

وفي الآية دليلٌ على أَنَّ مَنْ أَسْرَّ سِرِيرَةً يَمْكُرُ فيها بدينِ الله، ويستَهْزِئُ به وبآياته ورسولِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُظْهِرُهَا وَيَفْضَحُ صاحبَهَا.

من صور الاستهزاء بالدين:

والاستهزاء بالدين له صور كثيرة، وأساليبٌ مُتعدِّدةٌ، منها:

١ - الاستهزاء بالأنبياء عليهم السلام.

٢ - الاستهزاء بالقرآن الكريم، وأحاديثِ المصطفى ﷺ.

٣ - الاستهزاء بالصحابة رضي الله عنهم وانتقاصُهم.

٤ - الاستهزاء بعلماء الشريعة، وازدراءُهم.

فينبغي للمرء إذا أراد أن يتكلَّمَ أن يتدبَّرَ ما يقول، وألا يزهَدَ في اجتناب قليل الشرِّ؛ فإنه لا يعلمُ السيئةَ التي يسخطُ الله تعالى عليه بسببِها.

تجدُ بعضُ الناس يريدُ أن يضحِكَ الآخرين، فيَتَنَدَّرُ بِمَنْ يُطَبِّقُ سُنَّةَ مَنْ سُننِ المصطفى ﷺ! فهذا الاستهزاء خطير، ومرصٌ عُضال، إذا استحكَمَ في قلب صاحبه، صَرَفَه عن قبولِ الحقِّ واستماعِ النصيح، ووَلَدَ في نفسه كِبْرًا واحتِقَارًا للآخرين.

الفوائد:

١- مَنْ عَلِمَ قَدَرَ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الِاسْتِهْزَاءِ بِشَيْءٍ مِنْ شَرِيعَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ.

٢- الِاسْتِهْزَاءُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ أَعْمَى الْقَلْبَ، بَعِيدٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣- الِاسْتِهْزَاءُ طَرِيقٌ تُوصِلُ صَاحِبَهَا إِلَى النَّارِ، وَتَسْتَوْجِبُ لَهُ اللَّعْنَةَ وَغَضَبَ الْجَبَّارِ.

مراجع للاستزادة:

١- تفسير ابن كثير.

٢- تفسير السعدي.

٣- موسوعة نضرة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ

الْحَرِيَّةُ وَضَوَابِطُهَا (١)

قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: (أي: لا تُكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بينٌ واضحٌ جليٌّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل مَنْ هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً).

فالحرية كلمة جميلة، ينشدُ حقيقتها كلُّ فرد في الوجود ويسعى إليها، وقد جاء الإسلام ليضمن الحرية للإنسان؛ لأن الحرية إحدى مقومات الشخصية الإنسانية، وأساس أيِّ مجتمع إنساني، وقد حرص الإسلام على تربية الشخصية وتهذيبها وتقويمها.

والحريات الشخصية تتعدد في الإسلام؛ فتشمل كل جوانب الحياة، لذا لم تكن الدنيا تعرف من قبل حرية بالمعنى الذي جاء في رسالة الإسلام.

والحرية الصادقة لا تكون إلا بتوحيد الله، والتذلل له وحده؛ ففي العبودية لله يتحرر المسلم من عبودية المخلوقين، وسلطان الشهوة والشبهة، ومن رِقِّ المال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر].

وأيُّ حريةٍ أعظمُ من حرية المصلي في المسجد، وهو متحرر من كل عبودية، إلا عبوديته لله رب العالمين؟! له وحده يسجد ويركع، ولوجهه وحده يذلّ ويخشع!

التحرر الحقيقي يعني تحكيم شرع الله وحده، وأخذ منهجه دون سواه، وإلا فإنه سيُعبد نفسه لمخلوقات مُساوية له وهم البشر!

الحرية التي يريدّها الإسلام هي الحرية التي تبني الشخصية، وتَحْرُس الأمن، وتحفظ النفس والقطرة، وتُقيم الحق والعدل، وإذا تجاوز أيُّ إنسان حدود الحرية وضوابطها؛ فإنه يؤذي نفسه ومجتمعه وأُمَّته، وواجب الأمة حماية الحرية؛ حتى لا تُفضي إلى الفوضى.

إننا نستمد مفهوم الحرية من ديننا وشريعتنا، ولا ننشدها في نُظُم أرضية ومناهج وَضعية، وفي ظل الحرية في الإسلام يسعى دعاؤها إلى بيان المفاهيم الصحيحة لها وزرع الوازع الديني، ويحافظون على الأمة من الفوضوية.

ومن صور الحرية في الإسلام:

أنه قد كفّل للإنسان أن يعيش آمناً لا يعتدي عليه أحد، ومنعه أن يعتدي على الآخرين: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وأعطاه الحق في أن يتصرف في أمور نفسه، وحمله مسؤولية هذا التصرف: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأعطاه حرية التفكير والتأمل في خلق الله، بل حثّه عليها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وأعطاه حرية الحركة والسير في الأرض والاستمتاع بخيراتها: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

الإنسان حرٌّ، لكنها حرية تتضمن مسؤولية منوطةً بالابتلاء والامتحان: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

فلا حرية في الإسلام دون مسؤولية وحساب، ومن أعطي الحرية؛ فإن من العدالة أن يصبح مسؤولاً عن عمله فيجازى عليه.

وفي تاريخ الإسلام تتجلى معاني الحرية، فنجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد أدلوا بأرائهم في أسارى بدر وفي بني قريظة وغيرها.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قال في أول خطبة له بعد توليه الخلافة: «إن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوموني، أطيعوني ما أطيع الله فيكم، فإن لم أطعه فلا طاعة لي عليكم»، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للناس: «لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها».

والحمد لله رب العالمين.

تمة الدرس السادس والسبعين

الحرية وضوابطها (٢)

قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ؛ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُنْذِرْ مَنْ فَوْقَنَا! فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا؛ هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ؛ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» [رواه البخاري].

لقد ضربَ لنا رسولُ الله ﷺ مثلاً من أروع الأمثلة، يبيِّن فيه الحدَّ الفاصلَ بين الحرية والفوضى. فهو لاء أرادوا أن يستعملوا حريتهم فيما يخصُّهم، ولكنهم يجب أن يُمنَعُوا من استعمالها؛ إبقاءً على سلامة السفينة وحياة مَنْ فيها!

في هذا المثل الرائع يتبين الموقف ممن يُسيئون استعمالَ حريتهم الشخصية بما يؤذي الأمة، ويضرُّ الوطن، ويُفسدُ الأمرَ على الناس جميعاً، فدائرةُ حرية الفرد تتسع في نظر الإسلام ما دام لا يؤذي بهذه الحرية نفسه أو مجتمعه أو دينه، أما إذا استغلَّ هذه الحرية للإضرار بنفسه، أو إيذاء مجتمعه أو الإضرار بدينه؛ فعند ذلك يقفُ الإسلام في وجهه، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا.

يُفتَنُ كثيرٌ بمصطلح الحرية، وشعار الحرية، ويُروِّجُ لها أعداءُ الإسلام،

ويوسعون دائرتها، لتحقيق أهدافهم من تدمير القيم الدينية والخلقية، وإماتة
الوازع الديني والخلقي، وتحطيم النظم الاجتماعية.

والحرية بمفهومها العام معنى مطلوب؛ لكنها عرضة للتلاعب والتحريف
والاستغلال؛ فالمجرم يفهم الحرية ممارسةً للسلب والنهب والقتل،
والمحتال يفهم الحرية سلب الأموال، وممارسة الغش والاحتكار، وحيل
المضاربات والقمار، وقد تُصوّر الحرية للمرأة أنها تعني الانفلات من ضوابط
العفة وقوامه الرجل عليها والانفلات من أي ضابط خلقي!

ويُخطئ من يجعل الحرية مركبًا يستبيح بها كل شيء دون ضوابط، فليس
من الحرية أن يرضي الإنسان شهوته ويسبب آلامًا للآخرين، وليس من الحرية
أن يدمن الإنسان المسكرات، ويترك وراءه ذرية تراث العاهات والأمراض!
والحرية الفكرية عند من يُخطئ فهمها هي أن يجهر بالطعن بعقيدة الأمة،
والاستخفاف بالدين! وحملة الدين ودعائه!

والحرية الشخصية عند آخرين هي أن يعمل ما يشاء، ويرتكب من
المنكرات ما يريد، دون أن تحد تصرفاته آداب المجتمع أو تعاليم الدين!
لا شك أن فهم الحرية على هذا النحو يسوق المجتمع إلى الدمار! ويُعرض
ثوابته للخراب! وأي تماسك يبقى في المجتمع وكل فرد فيه يعمل بما يرى،
ولو أضر بالآخرين؟!

وحين تجوب بناظريك في العالم؛ ترى أمواج المظالم تتدافع في مواقع
من بقاع الأرض، حيث تُرتكب أفعع الجرائم في تاريخ الإنسان باسم الحرية،

يُسَحِّقُ الْإِنْسَانُ، وَتُسَحِّقُ الْمَبَادِئُ وَالْمُثُلُ وَالْقِيَمُ بِاسْمِ الْحَرِيَةِ! كما بدأت مظاهر الردة عن الإسلام تتوالى باسم الحرية! ويُعلنُ الكُفْرُ ويُفتخَرُ به باسم الحرية! وَيُسَبِّحُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَدِينُهُ باسم الحرية! والمرأةُ تَبَرِّجُ وتَعْرَى وتَنزِعُ الحِجَابَ وتَفْتِنُ الرِّجَالَ باسم الحرية! ويختلط الشباب بالفتيات باسم الحرية! إن الإسلام وضع الإطارَ المَتيْن الذي يحمي هذه الكلمةَ البراقةَ من الانحدار إلى الهاوية، وحدد معالمها الصحيحة؛ حتى لا تُسْتَغْلَ هذا الاستغلال السيِّئ في تدمير المجتمعات.

كما أن الحرية في الفكر والرأي محكومةٌ بقواعدِ الشريعة، التي أنزلها الله لعباده، ولا تعني الانفلات والتسيب، وزعزعة الثوابت، والشطط في التفكير، والتطاوُل على المبادئ والقِيَم وما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. لا تعني حرية الرأي ما يذهب إليه بعضُ الناس من أن يُعلنَ إلحادَه، ويُهاجِم العقيدةَ الإسلامية، بحجة تحرير الفكر من الجمود أو الخرافة أو الطغيان! وليس للكاتب أو الأديب أن يفهم الحرية بأن يقول ما يريد؛ فالحرية تُمارس لكن في إطار النظام العام وميزانِ الشريعة، وإذا انحرف الكاتب أو تجاوز حدود الشريعة؛ صُودرت حريته.

وَمَن استغلَّ الحريةَ للتعدي على ثوابت الدين ومسلماتِ الشريعة، وعَمِل على إضلال الناس؛ فإنَّ حقَّه العقوبةُ والحَجْرُ، فإذا كان معنى الحرية أن يُخَرَّب المجتمعُ المسلم، وتُنَقَّض أُسُسُه التي قام عليها؛ فهذا غير مقبول، ونحن بحاجة إلى أن نفهم الحرية من نصوص الوحي، لا من خلال تصوراتٍ

بشرية قائمة على الأهواء والشهوات والمصالح الفردية؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصص: ٥٠].

الفوائد:

- ١ - ليس من الحرية فعلُ الأمور التي لا ترضي الله.
- ٢ - أساس الحرية تقوى الله.
- ٣ - العبث بالعقائد والأخلاق باسم الحرية يُضعف الأمة ويُوْهنها.

مراجع للاستزادة:

- ١ - تفسير ابن كثير.
- ٢ - تفسير السعدي.
- ٣ - الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ

الترفيه المباح

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأوامر والنواهي، فلا أَصَدَقَ مِنْ أخبار الله، ولا أَعْدَلَ مِنْ أوامره ونواهيهِ.

فالله سبحانه لا يشرع لهم إلا ما فيه صلاحُهم من الأحكام والشرائع والمباحات، ومن هذه المباحات التي تتوافق مع طبيعة النفس البشرية، الترفيه المعتدل بالقدر الذي ليس فيه مَضَرَةٌ أو إيذاء للآخرين، لأنه يبعث في النفس النشاط، وينشر الود والمحبة.

ولقد كان رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه يلاعب ويمازح، ولا يقول إلا حقًا، وقد سابق يومًا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في سَفَرَةٍ فسَبَقَتْهُ، ثم سابَقَهَا بعد مدة فسَبَقَهَا، ثم قال لها: «هذه بِتَلِكِ» [رواه أبو داود (٢٥٨٧)، وصححه الألباني في الإرواء ٣٢٧/٥].

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مرَّ النبي ﷺ بنَفَرٍ من أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ [أي يَتَبَارَعُونَ بالرمي] بالسُّوق، فقال: «ارْمُوا بني إسماعيل، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كانَ راميًّا، ارْمُوا وأنا مع بني فلان». قال: فأَمَسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بَأْيَدِيهِمْ، فقال رسول الله ﷺ: «ما لَكُمْ لا تَرْمُونَ؟» فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: «ارْمُوا، وأنا معكم كُلُّكُمْ» [رواه البخاري (٢٨٩٩)].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان يومُ عيدٍ يلعبُ السُّودَانُ بِالْدَّرَقِ والجَرَابِ، فإِذَا سَأَلْتُ رسولَ الله ﷺ، وإِذَا قال: «تَشْتَهِيْنَ تَنْظُرِينَ»، فقلت: نعم! فأَقَامَنِي وراءَهُ، خَدِّي على خَدِّهِ، ويقول: «دُونَكُمْ بَنِي أَرْفَدَةَ»، حتى إِذَا مَلَأْتُ قال: «حَسْبُكَ». قلت: نعم! قال: «فادْهَبِي» [متفق عليه].

زاد الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «لَتَعْلَمَ يَهُودُ أَنْ فِي دِينِنَا فُسْحَةٌ، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ».

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يلعبون ويتمازحون ويتسابقون؛ فعن سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال: بينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لا يُسْبِقُ شَدًّا [أَيَّ عَدْوًا]، فجعل يقول: أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هل مِنْ مُسَابِقٍ؟ قلت: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا؟! قال: لا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله! بأبي وأمي، ذَرْنِي فَلِأَسَابِقِ الرَّجُلِ، قال: «إِنْ شِئْتَ».

قال: قلت: اذْهَبْ إِلَيْكَ، وَثْنَيْتُ رِجْلِي، فَطَفَرْتُ [أَيَّ وَثَبْتُ وَقَفَزْتُ] فَعَدَوْتُ. قال: فَارْبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ [أَيَّ حَبَسْتُ نَفْسِي عَنْ الْجَرِيِّ الشَّدِيدِ] أَسْتَبْقِي نَفْسِي، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ، فَارْبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ [أَيَّ أَسْرَعْتُ] حَتَّى أَلْحَقَهُ، قال: فَأَصْصَكُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قلت: قَدْ سُبِقْتَ وَاللَّهِ! قال: أَنَا أَظُنُّ، قال: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ. [رواه مسلم (١٨٠٧)].

ويتأكد هذا الترفيه إذا كان فيه ملاطفة للأهل من زوجة وأبناء، ولقد كان الرسول ﷺ يدلُّعُ لسانه [أَيَّ يُخْرِجُهُ] لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فِيرَى الصَّبِيَّ حُمْرَةً لِسَانِهِ فِيهِشُّ إِلَيْهِ [أَيَّ يُسْرِعُ إِلَيْهِ فَرَحًا]. [رواه ابن حبان (٥٥٩٦)].

ويتأكد كذلك في أشكال الترفيه التي تعود بالقوة والنشاط على المرء، كالرمية والجري والسباحة وغيرها، ولذا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمِيَّ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا» [رواه مسلم (١٩١٩)].

و من طريف ما يذكر: أَنَّ نَحْوِيًّا صَعِدَ سَفِينَةً فَقَالَ لِلْمَلَّاحِ: أَتَعْرِفُ النَّحْوُ؟ قال: لا، فقال النحوي: ذهب نصف عمرك! فهاجت الريح واضطربت السفينة، فقال له الملاح: أَتَعْرِفُ السَّابِحَةَ؟ قال: لا، فقال له: ذهب عُمرُكَ كله!

وقال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال) [رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني].
يتبادحون: أي يترامون، أي يرمي بعضهم بعضاً بقشر البطيخ من باب المزاح.
وقال الشاعر:

أروح القلب ببعض الهزل
تجاهلاً مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحياناً جلاء العقل

ومما ينبغي التنبيه عليه: مراعاة ألا يشتمل هذا الترفيه على أي محاذير شرعية، كأن يشغل عن طاعة، أو يضيع سنة، أو يستحوذ على الأوقات، أو يكون فيه اعتداء أو إيذاء للآخرين، أو ترويع لهم.

الفوائد:

- ١ - الشريعة الإسلامية توافق الفطرة السليمة ولا تصادمها.
- ٢ - الترفيه المباح ينشط النفوس ويقترب القلوب.

مراجع للاستزادة:

- ١ - الفروسية، لابن قيم الجوزية.
- ٢ - قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية، لمادون رشيد.
- ٣ - اللهو المباح في العصر الحديث بما يوافق الشرع، لإبراهيم بن محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ

التَّلازِمُ بَيْنَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (وُسْمِيَ الْعَقْلُ عَقْلًا لِأَنَّهُ يَعْقِلُ بِهِ مَا يَنْفَعُهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَنْعِقِلُ بِهِ عَمَّا يَضُرُّهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَقْلَ يَحْتَ صَاحِبُهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ فَاعِلٍ لِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَأَوَّلَ تَارِكٍ لِمَا يَنْهَى عَنْهُ، فَمَنْ أَمَرَ غَيْرَهُ بِالْخَيْرِ وَلَمْ يَفْعَلْهُ، أَوْ نَهَاةً عَنِ الشَّرِّ فَلَمْ يَتْرُكْهُ، دَلَّ عَلَى عَدَمِ عَقْلِهِ وَجَهْلِهِ، خُصُوصًا إِذَا كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ).

ومما جاء في السنة قوله ﷺ: «مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَيَنْسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السَّرَاجِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١/١٢٨].

ولذا كان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا» [رواه الترمذي (٣٥٩٩)].

وقال أبو عبد الله أحمد بن عطاء الرُّوذِبَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (مَنْ خَرَجَ إِلَى الْعِلْمِ يَرِيدُ الْعِلْمَ، لَمْ يَنْفَعِهِ الْعِلْمُ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْعِلْمِ يَرِيدُ الْعَمَلَ، نَفَعَهُ قَلِيلُ الْعِلْمِ).
ومن جميل سِيَرِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَنبَسَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي

مات فيه، قال: سمعتُ أمَّ حبيبة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ صلى اثنتي عشرة ركعةً في يومٍ وليلة، بُني له بيتٌ في الجنة».

قالت أم حبيبة رضي الله عنها: فما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عَنبَسَةُ: فما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من أمَّ حبيبة، وقال عمرو بن أوس: فما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من عنبسة، وقال النعمان بن سالم: فما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من عمرو بن أوس.

فقل أيها الأخ الكريم: فما أتركهنَّ منذ سمعتهنَّ!

وقال أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَمي الكوفي رحمته الله، وهو من كبار التابعين: (حدَّثنا الذين كانوا يُقرئونا أنهم كانوا يَسْتَقْرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلَّموا عشرَ آيات، لم يُخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعملَ جميعاً).

وقد جاء عن الإمام أحمد رحمته الله أنه قال: (ما كتبتُ في المُسند حديثاً إلا وقد عملتُ به، حتى إني ذكرتُ أن النبي صلى الله عليه وسلم احتَجَمَ وأعطى الحجام ديناراً، فاحتَجَمْتُ وأعطيتُ الحجام ديناراً).

وقال ابن القيم رحمته الله: (العلماء ثلاثة: عالمٌ استنار بنوره، واستنار به الناسُ، فهذا من خلفاء الرسل وورثة الأنبياء، وعالمٌ استنار بنوره، ولم يَسْتَنْرَ به غيره، فهذا إن لم يُفَرِّط كان نفعه قاصراً على نفسه، فبينه وبين الأول ما بينهما، وعالمٌ لم يَسْتَنْرَ بنوره، ولا استنار به غيره، فهذا علمه وبألٍ عليه، وبَسْطَته للناسِ فِتنةٌ لهم، وبَسْطَته الأول رحمةٌ لهم) [مدارج السالكين ٣/ ٣٠٢].

وقال بعض السلف: (العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل).



الفوائد:

- ١ - أهمية العمل بالعلم، وهو من علامات الإخلاص.
- ٢ - العمل بالعلم من أهم أسباب ثبوت العلم.

مراجع للاستزادة:

- ١ - اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي.
- ٢ - مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية.
- ٣ - العمل بالعلم بين الواقع والواجب، لعبد الله الفوزان.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ

خصائص الدين الإسلامي

المراد بالخصائص هنا: الميزات والصفات التي ينفرد بها دينُ الإسلام عن غيره من الديانات والمناهج والقوانين البشرية الأخرى.
وخصائص الدين الإسلامي بهذا المعنى، كثيرة جداً، نقتصر منها على الآتي:

١ - أنه دين كامل، فلا يحتاج إلى زيادة أو نقص:

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتَمَ الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلالَ إلا ما أحلَّه، ولا حرامَ إلا ما حرَّمه، ولا دينَ إلا ما شرَّعه، وكل شيء أخبر به فهو حقٌّ وصدقٌ، لا كذبَ فيه ولا خُلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورَضِيَه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه).

٢- أنه دين محفوظ من التغيير والتبديل :

فقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين، من خلال حفظ مصادره، وهي الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكُنْتُ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر].

قال الشيخ السعدي رحمته الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يُحَرِّفُ مُحَرِّفٌ مَعْنَى مِنْ معانيه إلا وقَّضَ الله له مَنْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ الْمُبِينِ، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين).

وكذلك سنة النبي صلوات الله عليه محفوظة بحفظ الله لها، فقد قيض لها في كل عصر علماء ربانيين، ينفون عنها انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، قال الشيخ الألباني رحمته الله: (وكتب السنن قد حُفِظَتْ من الزيادة والنقص بقوة العناية بها شرعاً وضبطاً، ووفرة النسخ المخطوطة المُعَلَّم عليها بسماعات الحفاظ في معظم المكتبات، مما لا يوجد نظيره في كتب أئمة الفقه المشهورة مذهبهم. ولا ريب أن ذلك من معجزات الرسول صلوات الله عليه، إذ قيض الله لسنته مَنْ حفظها كما فعل ذلك بتنزيله الكريم، وله الحمد والمنة) [تحقيقه لكتاب

المسح على الجوربين والنعلين، لجمال الدين القاسمي].

٣- أنه دين عام للبشرية جمعاء، باقٍ إلى يوم القيامة:

إن الله سبحانه وتعالى أكرم هذه الأمة بأفضل الرسل وخاتم الأنبياء محمد ﷺ، وأنزل عليه أعظم الكتب وهو القرآن الكريم، وشرفها بأعظم دين عرفته البشرية، وهو دين الإسلام الذي خصه بخصائص وميزات لا توجد في الشرائع السابقة، ولا في القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر؛ لأنه دين البشرية كلها في كل زمان و مكان، بل هو دين الثقلين: الإنس والجن، وهو الدين الذي أنزل على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، ورسالته آخر الرسالات، فلا يقبل الله تعالى من الناس ديناً سواه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد كان الرسل قبل محمد ﷺ يُرسلون إلى قومهم خاصة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، وكذلك جميع الرسل أرسلوا إلى أقوامهم خاصة.

وأما محمد ﷺ فقد أرسل إلى الناس كافة، وجاء النص على ذلك في كتاب الله تعالى في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَنَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿[الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿١﴾ [الفرقان: ١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، ويُبعثُ إلى الناس عامة» [رواه البخاري (٣٢٨)]. وينظر الإسلام إلى الناس نظرة تقوم على أساس العدل بين الناس جميعاً، وينهى عن العصبية للون أو الجنس أو غير ذلك.

٤- أن الدين الإسلامي هو دين الفطرة:

فالإسلام هو الدين الذي جبل الله الناس عليه، وهياًهم لقبوله والعمل به، فلا يتعارض مع طبيعة الإنسان، ولا يتضاد مع رغباته؛ بل يتفق معها ويوجهها ويرشدها إلى الأصلح والأسلم، فلو تجرد الإنسان من الهوى والعناد والتأثير الخارجي، لاعترف بدين الإسلام، وأنه الدين الحق؛ قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَيْسَ بِالْقَيِّمِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرؤم: ٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تُحسِّن فيها من جدعاء»! [رواه البخاري (٤٤٩٧) ومسلم (٢٦٥٨)].

ومعنى الحديث: أن كل مولود يولد على الفطرة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد.

فَاللهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ حَنَفَاءَ كُلَّهُمْ، ثُمَّ اجْتَالَتَهُمْ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَصَرَفَتْهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالْفِطْرَةِ السَّالِمَةِ، فِي حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا...»، وَفِيهِ: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حَنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا...» [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٦٥)].

٥ - أَنَّهُ دِينَ يَتَسَمَّ بِالْيَسْرِ وَرَفَعَ الْحَرَجَ:

وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَظَاهِرِ، كَالْتَخْفِيفِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ عِنْدَ وَجُودِ الْحَرَجِ، وَالسَّمَاحِ بِتَنَاوُلِ الْقَدْرِ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَظَاهِرِ الَّتِي تَعْبُرُ عَنِ يَسْرِ الشَّرِيعَةِ وَسَهُولَتِهَا، مِمَّا لَا يَوْجَدُ مِثْلَهَا فِي الْأَدْيَانِ وَالْقَوَانِينِ الْأُخْرَى.

وَبِهَذِهِ الْخَصَائِصِ - وَغَيْرِهَا مِمَّا لَمْ تَذَكَرْ - تَتَأَكَّدُ صِلَاحِيَّةُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى جَمِيعِ الْمَقُومَاتِ الَّتِي قَصَرَتْ عَنْهَا الْأَدْيَانُ السَّابِقَةُ، مِمَّا جَعَلَ تِلْكَ الْأَدْيَانُ لِأَجَالٍ مَحْدُودَةٍ حَسَبَ حَاجَاتِ تِلْكَ الْأُمَمِ، كَمَا يَتَأَكَّدُ خُلُوقُهَا مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي لَهَا الْحَقُّ فِي أَنْ تَسُودَ، وَتَحْكُمَ الْبَشَرَ وَيَتَحَاكَمُوا إِلَيْهَا.

الفوائد:

- ١ - من أهم خصائص الدين الإسلامي أنه عام لجميع الثقلين، باقٍ إلى يوم القيامة بحفظ الله له.
- ٢ - الإسلام نسخ كل الشرائع السابقة؛ لصلاحِيته لكل زمان ومكان، وتلك صفة لم توجد في أي شريعة سابقة.

مراجع للاستزادة:

- ١ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية، للدكتور محمد رشاد سالم.
- ٢ - خصائص الشريعة الإسلامية، للدكتور عمر سليمان الأشقر.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الباب السادس السَّيَر والتراجم

الدرس الثمانون: أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه (١٣هـ).

الدرس الحادي والثمانون: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢٣هـ).

الدرس الثاني والثمانون: الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٥هـ).

الدرس الثالث والثمانون: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤٠هـ).

الدرس الرابع والثمانون: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (٦١-١٠١هـ).

الدرس الخامس والثمانون: الحسن البصري رضي الله عنه (٢١-١١٠هـ).

الدرس السادس والثمانون: الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه (٨٠-١٥٠هـ).

الدرس السابع والثمانون: إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه (٩٣-١٧٩هـ).

الدرس الثامن والثمانون: الإمام الشافعي رضي الله عنه (١٥٠-٢٠٤هـ).

الدرس التاسع والثمانون: الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه (١٦٤-٢٤١هـ).

الدرس التسعون: عبد الله بن المبارك رضي الله عنه (١١٨-١٨١هـ).

الدرس الحادي والتسعون: صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه (٥٣٢-٥٨٩هـ).

الدرس الثاني والتسعون: شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه (٦٦١-٧٢٨هـ).

الدرس الثالث والتسعون: الشيخ العلامة عبد الله بن خلف الدحيان رضي الله عنه (١٢٩٢-١٣٤٩هـ).

الدرس الرابع والتسعون: الشيخ العلامة عبد العزيز الرشيد رضي الله عنه (١٣٠١-١٣٥٦هـ).

الدرس الخامس والتسعون: الشيخ أحمد عطية الأثري رضي الله عنه (١٣٢٢-١٣٨١هـ).

الدرس السادس والتسعون: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رضي الله عنه (١٢٩٦-١٣٩٣هـ).

الدرس السابع والتسعون: الشيخ عبد الله بن محمد النوري رضي الله عنه (١٣٢٣-١٤٠١هـ).

الدرس الثامن والتسعون: الشيخ محمد بن أحمد الفارسي رضي الله عنه (١٤٠٢هـ).

الدرس التاسع والتسعون: محمد بن سليمان الجراح رضي الله عنه (١٣٢٢-١٤١٧هـ).

الدرس المكمل المئة: المحسن علي عبد الله المطوع رضي الله عنه (١٣٤٥-١٤٣٧هـ).

الدَّرْس الثَّمَانُونَ

أبو بكر الصِّدِّيق (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (١٣هـ)

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

المقصود بالصاحب في هذه الآية: أبو بكر الصديق، واسمه عبدُ الله ابنُ أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي القرشي التيمي، خليفة رسول الله ﷺ، رافق النبي ﷺ منذ بدء الإسلام، وهو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر؛ كان سيِّداً من سادة قريش؛ وغنياً من كبار أغنيائهم، وهو أول من أسلم من الرجال.

سُمِّي بالصِّدِّيق؛ لأنه صدَّق النبي ﷺ في قصة الإسراء والمعراج حين كذبه الناس، وقيل: لأنه كان يصدِّق النبي ﷺ في كل خبر يأتيه، وكان يُدعى بالعتيق والأواه.

وما حاز الفضائل رجلٌ من أمة محمد ﷺ كما حازها أبو بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

قال رسول الله ﷺ: «لو كنتُ مُتَخِذاً خليلاً، لَاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلاً» [رواه

البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا اجْتَمَعَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» [رواه مسلم].

وقد ساند النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للإسلام مستغلًا مكانته في قريش وحُبهم له، فأسلم على يديه كثير من الصحابة؛ منهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم.

وجاهد بماله في سبيل الدعوة للإسلام؛ فقام بشراء الكثير ممن أسلم من العبيد المستضعفين، وأعتقهم.

وهو ثاني اثنين في الغار مع نبي الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومن مآثره المباركة: أنه أول من جمع القرآن، وأول من أعلن الجهاد على المرتدين، وفتحت في خلافته الحيرة، ودومة الجندل، والأنبار، وعين التمر. وكانت خلافته ستين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ.

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلةَ الثلاثاء في المدينة المنورة سنة (١٣هـ)، وأوصى بالخلافة مِنْ بَعْدِهِ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ودُفِنَ إِلَى جِوَارِ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدَ اللَّهِ، وَمُحَمَّدًا، وَأَسْمَاءَ، وَعَائِشَةَ، وَأُمَّ كَلْثُومَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الفوائد:

- ١- أفضل الناس بعد الأنبياء أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لتكريم الله له، ولما حاز من الفضائل والمكرّمات.
- ٢- الإيمان بالله والتصديق بما جاء به النبي ﷺ هما السبيل للرفعة في الدنيا والآخرة.

مراجع للاستزادة:

- ١- سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، للذهبي.
- ٢- سيرة أبي بكر الصديق، لعلي الصلابي.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ الْحَادِي وَالْثَمَانُونَ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٣هـ)

هو عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، أَبُو حَفْصٍ، لَقَّبَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْفَارُوقِ، وَهُوَ ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَمِنَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَبْطَالِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ، وَكَانَتْ لَهُ السَّفَارَةُ فِيهِمْ، يَنَافِرُ عَنْهُمْ، وَيَنْذِرُ مَنْ أَرَادُوا إِذْكَارَهُ. وَكَانَ عُمَرُ يَوْمَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثِينَ سَنَةً، أَوْ بَضْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ.

وَقَدْ أَسْلَمَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ، فِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ. وَلَمَّا أَسْلَمَ انْقَلَبَتْ شِدَّتُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَى شِدَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَمُنَاوَأَهُ لَهُمْ؛ فَأَوْذَى وَضُرِبَ، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا؛ فَكَانَ هُوَ مَتَمِّمًا لِلْأَرْبَعِينَ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ بِهِ دَعْوَةَ رَسُولِهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، أَوْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب].

فَكَانَ إِسْلَامُهُ دُونَ أَبِي جَهْلٍ؛ دَلِيلًا عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ، وَكَرَامَتِهِ عِنْدَهُ. شَهِدَ الْوُقُوعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي عِدَّةٍ سَرَايَا. وَكَانَ ذَا رَأْيٍ سَدِيدٍ، وَعَقْلٍ كَبِيرٍ، وَافَقَ الْقُرْآنَ فِي بَضْعِ مَسَائِلَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِيهَا الْوَحْيُ.

ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت الله في ثلاث، أو وافقني الله في ثلاث، قلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب! فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه، فدخلت عليهن، وقلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه؛ فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت! فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّتٍ عِدَاتٍ سَخَوَاتٍ تَبَيَّنَ ثَبَاتٌ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥].

وثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه في المنام مرتين، ففسرهما صلى الله عليه وسلم بالعلم والدين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: «بينا أنا نائم، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فوليت مديراً» فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: أعليك أغار يا رسول الله! [رواه البخاري].

ومما ورد في فضله، وفضائله جمّة:

قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بلال رضي الله عنه: «إن الله عز وجل جعل الحق على لسان عمر وقلبه» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون؛ وإنه إن كان في أمتي هذه منهم؛ فإنه عمر بن الخطاب» [رواه البخاري].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده! ما لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» [رواه البخاري].

بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبعده منه، بعد استشارة الناس فيه؛ فوافقوه.

وفي عهده قُطِعَ العطاءُ عن المؤلفة قلوبهم بعد اعتزاز الإسلام وقوة شوكتِهِ، وأخضع أراضي البلاد المفتوحة عَنوةً للخراج، ولم يقسمها بين الغانمين، لكي يستكملوا فريضة الجهاد، وأعادها إلى أصحابها الذين كانوا عليها، وجعل خراجها حقًّا للمسلمين.

وهو أولُّ من بدأ التاريخ بسنة الهجرة النبوية، وأول من دَوَّن الدواوين في الإسلام.

ثم أجلى يهودَ خيبرَ إلى الشام، ونصارى نجرانَ إلى الكوفة؛ أخذ ذلك من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» [رواه مالك].

وعُرِفَ بعدله في الحكم والقضاء، ومحاسنِهِ لنفسه كثيرًا، وكان يقول: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبُوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر، وإنما يخفُّ الحسابُ يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا) [رواه الترمذي].

وكان يسأل الله دائماً الشهادة في المدينة؛ فاغتاله أبو لؤلؤة المجوسي في صبيحة يوم الأربعاء في الخامس والعشرين من ذي الحجة، سنة (٢٣ هـ) وهو يؤمُّ الناس في صلاة الفجر، فمات ودُفِنَ إلى جانب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن استأذن عائشة في ذلك؛ فأذنت له.

توفي عن ثلاث وستين من العمر، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه على سريره، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرْغُبْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فَتَرَحَّمْ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه، وَقَالَ: مَا خَلَفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِيْمُ اللَّهِ! إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أَكْثَرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَوْ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا) [رواه البخاري ومسلم].

الفوائد:

- ١- تفضيل الله تعالى لعمر رضي الله عنه في الدنيا والآخرة.
- ٢- شرف المسلم وعزته بدينه، كما قال عمر رضي الله عنه: (إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ؛ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَهُمَا نَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ).

مراجع للاستزادة:

- ١- سِيرَ أَعْلَامِ النَبَلَاءِ، للذهبي.
- ٢- سيرة عمر بن الخطاب، لعلي الصلابي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ

الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٥هـ)

هو عثمانُ بنُ عفانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيِّ القُرَشِيِّ الأموي، وكنيته: أبو عبد الله، ولُقِّبَ بذي النورين؛ لأنه تزوج رُقِيَّةَ وَأُمَّ كَلثُومَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنتي سيد الثقلين، يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في الجد الرابع، وهو ثالثُ الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنة. وُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطائف بعدَ الفيلِ بستَ سنينَ، وكان غنيًّا شريفًا في الجاهلية والإسلام، ومن أرفعِ قريشِ نسبًا.

أسلم في أول الإسلام قبل دخول النبي ﷺ دارَ الأرقمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان سنُّه قد تجاوز الثلاثين؛ دعاه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الإسلام فأسلم. وهو أول مهاجرٍ إلى أرض الحبشة مع بنت النبي ﷺ رُقِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم تبعه سائر المهاجرين، وهاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.

وكان رسولُ الله ﷺ يثق به، ويحبه، ويكرمه، لعلمه وصدق إيمانه؛ ولحيائه؛ ودماثة أخلاقه؛ وحسنِ عشرته، وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين، وبشّره بالجنة كأبي بكر وعمر وبقية العشرة، وأخبره بأنه سيموت شهيدًا.

ففي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِّنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَوْذٌ يَضْرِبُ بِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَفْتِحُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَذَهَبَتْ إِذَا أَبُو

بكر، ففتحت له، وبشّرتُه بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، فقال: «افتح له، وبشّره بالجنة»، فإذا عمر، ففتحت له، وبشّرتُه بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، وكان مُتَكَيِّئًا، فجلس فقال: «افتح له، وبشّره بالجنة، على بلوى تُصِيبُه - أو تكونُ»، فذهبتُ فإذا عثمان، ففتحت له، وبشّرتُه بالجنة، فأخبرته بالذي قال، فقال: الله المُستعان!

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله قال: «اثبت أحد؛ فما عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان».

ومن مآثره رضي الله عنه: أنه أنفق في تجهيز جيش العسرة نفقة عظيمة لم يُنفق أحدٌ مثلها؛ فقد جاء رضي الله عنه بألف دينار في كمه، فنثرها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما عملَ بعد اليوم»! مرتين. [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَلَهُ الْجَنَّةُ» [أخرجه البخاري].
بوع بالخلافة وعمره ثمانية وستون عامًا، وقد تولاها بعد استشهاد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وفي اختياره للخلافة قصة تُعرف بقصة الشورى.
وفي عهده انتشر الإسلام في بلاد كثيرة، وتفرّق الصحابة في الأمصار؛ مما أدّى إلى ظهور لهجات مختلفة؛ فكان يُخافُ أن يقع الاختلاف في قراءة القرآن، وأخبره حذيفة بن اليمان رضي الله عنه باختلاف الناس في القراءة، فجمع عثمان رضي الله عنه المسلمين على لغة قريش، وصار يُطلقُ على المصحف الذي جمع الناس عليه: مصحف عثمان.

وبارك الله تعالى في عمره وحسناته؛ فكان من فتوحاته وأعماله: فتحُ خراسانَ وتركيا، وتوسيعُ الدولة الإسلامية، وفتحت في أيام خلافة عثمان رضي الله عنه الإسكندرية، ثم إرمينية، والقوقاز، وكرمان، وسجستان، وإفريقية، وقبرص، وغيرها، وتمت في عهده توسعةُ المسجد النبوي الشريف، وبذلك نال أجر مَنْ أسلمَ وعمل في الإسلام عملاً صالحاً.

ابتلي رضي الله عنه في زمن خلافته، فصبر واحتسب، وكثر الكلام فيه حول بعض القرارات التي اتخذها، وما عاناه من تأليب الناس عليه على لسان عبد الله بن سبأ اليهودي؛ كل ذلك ساهم في تسهيل المؤامرة لقتله.

قُتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة سنة (٣٥هـ) بعد العصر، وكان يومئذ صائماً، ودفن بالبيع ليلة السبت بين المغرب والعشاء، فتحققت بشارة النبي ﷺ له بالشهادة.

الفوائد:

- ١- فضائل عثمان رضي الله عنه كثيرة مشهورة؛ فقد عاش كريماً ومات شهيداً.
- ٢- كثرة الفتوحات الإسلامية في خلافته دليل صدقه وتسديده.

مراجع للاستزادة:

- ١- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- ٢- سيرة عثمان بن عفان، لعلي الصلابي.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالْثَمَانُونَ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤٠ هـ)

هو عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ؛ كُنْيَتُهُ أَبُو الْحَسَنِ؛ وَكُنَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَبَا تَرَابٍ، ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَالْخَلِيفَةُ الرَّابِعُ لِلْمُسْلِمِينَ. وُلِدَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَتَرَبَّى فِي حَجَرِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَلَمْ يُفَارِقْهُ.

وَقَدْ اجْتَمَعَتْ لَهُ فِضَائِلُ كَثِيرَةٌ؛ فَهُوَ أَوَّلُ الصَّبِيَّانِ إِسْلَامًا، وَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبُوكَ، وَهُوَ زَوْجُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَمِمَّا جَاءَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي فَضْلِهِ: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّتِهِ الَّتِي حَجَّ، فَنَزَلَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَأَمَرَ: «الصَّلَاةَ جَامِعَةً»، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟» قَالُوا: بَلَى! قَالَ: «أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟» قَالُوا: بَلَى! قَالَ: «فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ» [رواه أحمد وابن ماجه، وصححه

الألباني].

وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ! إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَلَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ».

وروى مسلمٌ أيضًا عن سعد بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في حق عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما ذَكَرْتُ ثلاثًا قَالَهُنَّ لَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةً مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ، خَلَفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ [وهي تبوك]، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبُوَّةَ بَعْدِي».

وسمعه يقول يومَ خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قال: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا». فَأَتَيْ بِهِ أَرْمَدًا، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ، وَدَفَعَ الرَايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي».

وما زال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَرْقُبُونَ وَصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِ بَيْتِهِ: «أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» قالها ثلاثًا. [رواه مسلم]؛ ويظهر ذلك جليًّا في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَقَعَ رَجُلٌ فِي عَالِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَحْضَرٍ مِنْ عُمَرَ؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعْرِفُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ؟ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَلَا تَذْكُرْ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّكَ إِنْ أَبْغَضْتَهُ أَذَيْتَ هَذَا فِي قَبْرِهِ» [فضائل الصحابة للإمام أحمد].

وقد اشتهر عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالفروسية والشجاعة والإقدام، وهو الذي نام مكان النبي ﷺ لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْهَجْرَةَ، وَبَارَزَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَكْثَرِ الْمَعَارِكِ وَالْغَزَوَاتِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (لا ريب أن علياً رضي الله عنه كان من شجعان الصحابة، وممن نصر الله الإسلام بجهاده، ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله، وممن قاتل بسيفه عدداً من الكفار) [منهاج السنة].

وهو مع هذا كريم سمح متواضع طيب المعشر يألف ويؤلف.

بُوع بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بيوم واحد، وكان ذلك يوم الجمعة في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة (٣٥هـ).

ابتلي رضي الله عنه من قبل أقوام ادَّعَوْا محبته، وأقوام أبغضوه؛ فكان من كلامه رضي الله عنه: «يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ: مُحِبٌّ يُقَرِّظُنِي بما ليس فيَّ، ومُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَتَائِي على أن يَبْهَتَنِي، أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ، وَلَا يُوحَى إِلَيَّ؛ وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بَكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلوات الله وسلاماته عليه ما استطعتُ، فما أَمَرْتُكُمْ من طاعة الله فَحَقُّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فيما أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ، وما أَمَرْتُكُمْ بمعصية أنا وغيري فلا طاعة لأَحَدٍ في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» [رواه الحاكم وصححه؛ ووافقه الذهبي].

وفاته رضي الله عنه:

قُتِلَ رضي الله عنه في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة (٤٠هـ) على يد رجل من الخوارج، وهو عبد الرحمن بن ملجم. قال النبي صلوات الله وسلاماته عليه: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقَى النَّاسِ؛ رَجُلَيْنِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «أَحِيمَرُ ثَمُودَ؛ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ [يعني هامته] حَتَّى يَبْلُغَ مِنْهَا هَذِهِ [أي لحيته]» [رواه الإمام أحمد، وهو في صحيح الجامع].

كانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر.

الفوائد:

- ١- جمع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين شرف الدنيا والمنزلة العالية في الآخرة، فهو نسيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقرب، وشهيد.
- ٢- بقاء الذكر الطيب بعد الممات دليل الصدق والإخلاص.
- ٣- حب المسلمين لأهل البيت ولا سيما علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دون غلو أو تطرف.

مراجع للاستزادة:

- ١ - سِيرَ أعلام النبلاء، للذهبي.
- ٢ - سيرة علي بن أبي طالب، لعلي الصلابي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرس الرابع والثمانون

عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦١-١٠١هـ)

هو أمير المؤمنين، أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان القرشي الأموي، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وجدته لأمه هي التي سمعها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي تنهى أمها عن خلط اللبن بالماء، فقالت لها أمها: إن عمر لا يرانا، فقالت لها: والله ما كنت لأطيعه في الملاء وأعصيه في الخلا، فأعجب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلامها، فزوجه ابنه عاصمًا.

وُلد عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة سنة (٦١هـ)، وجعله أبوه عند صالح بن كيسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليؤدبه، فحفظ القرآن في صغره، وتفقه حتى بلغ رتبة الاجتهاد.

رَوَى عن ابن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر، وعمر بن أبي سلمة، والسائب بن يزيد، وعروة بن الزبير، والربيع بن سبرة، وسعيد بن المسيب، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وابن شهاب الزهري، وعدد من التابعين.

وروى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، ومحمد بن المنكدر، وحميد الطويل، والزهري، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وخلق كثير غيرهم. وحين تُوفي والده عبد العزيز بن مروان سنة (٨٥هـ) بعث إليه عبد الملك، وجعله مع أولاده، وزوجه ابنته فاطمة.

ولما بُويع بالخلافة للوليد بن عبد الملك ولّى عمر المدينة المنورة، وبقي

عليها حتى عام (٩٣هـ)، انتقل بعدها إلى دمشق فعاش فيها، ولما كانت خلافة سليمان بن عبد الملك استوزره. وفي سنة (٩٩هـ)، استشار سليمان بن عبد الملك كاتبه رجاء بن حيوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيمن يَعْهَدُ إليه بالخلافة، فأشار عليه بعمر، فقال: كيف ببني عبد الملك! فقال له: اكتب العهد واختمه وبايع لمن فيه، ففعل، فلما مات كتموا سر موته حتى أخذ رجاء البيعة من بني عبد الملك لمن في الكتاب، فبايعوا جميعهم، ثم أخرج الكتاب، فوجموا فلم يقولوا شيئاً.

فقام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس! إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ، ألا وإني لست بقاضٍ ولكني منفذٌ، ولست بمبتدعٍ ولكني متبعٌ، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... أيها الناس! من صَحِبْنَا فليصحبنا بخمسٍ، وإلا فليفارقنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهد، ويدلُّنا من الخير على ما لا نهتدي إليه، ولا يغتابنَّ عندنا أحداً، ولا يعرضنَّ فيما لا يعنيه).

فانقشع عنه الشعراء والخطباء، وثبت معه الفقهاء والزهاد، وقالوا: ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يُخالف فعله قوله.

ومنذ أن تولى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة، بدأ بنفسه فتخلى عن كل مظاهر الترف والبدخ، ورَهَدَ في الدنيا ومتاعها، وشُغِلَ بهموم الأمة، وشُهِدَ منه عندها تحوُّلٌ كبيرٌ في حياته، ووقف في وجه الأمراء، وقام بعزل من رآه منهم ظالماً، وأوقف أعطيائهم التي كانوا يأخذونها من الخلفاء، وطلب منهم أن يؤدّوا ما في أيديهم

من حقوق، وقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك: إن أردتِ صُحْبتي فُرْدِي ما معك من مالٍ وحُلِّيٍّ وجواهرٍ إلى بيت مال المسلمين، فإنه لهم، وإني لا أجتمع أنا وأنت وهو في بيتٍ واحد، فردَّته جميعه، فلمَّا تُوفيَ عمرُ، وولِّيَ أخوها يزيدُ، ردَّه عليها، فأبَتْ وقالت: لا والله! ما كنتُ لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا.

وما زال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ وليَّ الخلافة يجتهد في العدل، ومحو الظُّلم، وترك الهوى، حتى تمكَّن بإصلاحاته التي عمل فيها مدَّة خلافته القصيرة، أن يقضيَ على الفقر والحاجة، حتى إنه لم يبق في الدولة الإسلامية من يأخذُ من أموال الزكاة!

وأصلح كثيرًا من الأراضي الزراعيَّة، وحفر الآبار، وعَمَرَ الطُّرُق، وأقام المساجد، ولم يُزخرفها.

وفي عهده كانت دولة الإسلام قويَّةً عزيزةً منيعةً، توسَّعت خلالها الفتوحاتُ الإسلاميَّة، فغزا حاتمُ بنُ النُّعْمان الباهليُّ التُّرك فقتلهم إلا القليل منهم، وذلك بعد أن أغاروا على أذربيجان وقتلوا جماعةً من المسلمين، وغزا السَّمَح بنُ مالكِ الخَوْلانيُّ فرنسا، فاخترق جبال البرنس، وزحف على مقاطعتي سبتمانيا والبروفانس، ثم أغار على أكيثانيا، وحاصر طلوثة.

وقاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج سنة (١٠٠هـ) بعد أن أعذَرَ بدعوتهم إلى العمل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وبدأت في عهده الدعوة العباسية.

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رجب (١٠١هـ)، لسنتين وخمسة أشهرٍ من ولايته،

ولم يتجاوز الأربعين من العمر، وكانت مدة ولايته كولاية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولي بعده يزيدُ بنُ عبد الملك بعهد سليمان، وكتب له يوصيه: أما بعدُ، فأتق - يا يزيدُ - الصَّرعَةَ بعد الغفلة، حين لا تُقال عشرة، ولا تُقدَّرُ على الرجعة، إنَّك تترك ما تترك لمن لا يحمِّدُك، وتصير إلى من لا يعذِّرك، والسلام.

الفوائد:

١- العدلُ أقوى دعائم الدُّول، وعنوانُ تقدُّمِها وحضارتها، وأساسُ عظيم لقوتها.

٢- الزهدُ في الدُّنيا، والرغبة عن ملذاتها، خيرٌ معينٌ للإمام على تحقيق العدل بين الرعية.

٣- خلافة عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صورةٌ مشرقةٌ في تاريخ الأمة الإسلامية.

مراجع للاستزادة:

١- سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي.

٢- تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢١٤/٤٥.

٣- تاريخ الإسلام، للذهبي.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالْثَمَانُونَ

الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢١-١١٠ هـ)

اسمه ونشأته:

هو الإمام الفقيه الزاهد العابد، حليفُ الخوف والحزن، أليفُ الهم والشجن، عديمُ النوم والوسن، من كان للدنيا وزينتها نابذًا، ولشهوة النفس واقذًا، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يَسَارٍ، كان والده يسارَ مولى لزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأُمُّه خَيْرَةُ مولاةٌ لأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولد الحسن لستين بَقِيَّتًا من خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخذ عن الصحابة وكبار التابعين الحديث والتفسير والقراءات، والفقه والأدب، ودعا له أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: (اللهم فقهه في الدين، وحبيه إلى الناس)، فكان كذلك.

صفاته ومناقبه:

كان جميلًا، قسيمًا، وسيما، بهيَّ الطلعة، تامَّ الخلقة، حَسَنَ السَّمت، يملأ عين مُجْتَلِيهِ [أي الناظر إليه]، ويأسرُ فؤاد رائيهِ [أي يملك قلب الذي يراه]، يجلس الرجل إليه ثلاثَ حِجَج، ما يسأله مسألةً هيبَةً له، طويلَ الحزن؛ كأن الذي يراه يقول: حديثُ عهدٍ بمصيبة، يصدِّقُ قوله فعله، أشبه الناس سريرةً بعَلَانِيَةٍ، إذا أمرَ بأمرٍ كان أعملُ الناس به، وإذا نهى عن شيء كان أتركُ الناس له، زاهداً في الدنيا، فقيهاً عابداً ناسكاً فصيحاً.

أقواله وحكمه:

حَوَتْ أَقْوَالُهُ دُرًّا وَمَعَارِفَ، وَنُكْتًا وَلَطَائِفَ، تُزَهِّدُ الْمَرْءَ فِي الدُّنْيَا، وَتَرْغِبُهُ فِي الْآخِرَى، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، نَقِطَفَ مِنْهَا بَاقَاتُ عَطْرَةٍ، وَأَزْهَارًا نَضْرَةً.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَصْبَحُ حَزِينًا وَيَمْسِي حَزِينًا؛ لِأَنَّهُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ؛ ذَنْبٍ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللهُ يَصْنَعُ فِيهِ، وَأَجَلٍ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا يُصِيبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ) [حلية الأولياء ٢/ ١٥٤].

(إِنَّ لِأَهْلِ التَّقْوَى عِلَامَاتٍ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ، وَرَحْمَةُ الضَّعْفَاءِ، وَقِلَّةُ الْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَقِلَّةُ الْمَبَاهَاةِ لِلنَّاسِ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ) [حلية الأولياء ٢/ ١٦٤].

(مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْبَعُ خِلَالَ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ، وَأَعَاذَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ: مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الرِّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَعِنْدَ الشَّهْوَةِ، وَعِنْدَ الْغَضَبِ) [حلية الأولياء ٢/ ١٦٦].

(يَا ابْنَ آدَمَ! دِينُكَ دِينُكَ! فَإِنَّهُ لَحْمُكَ وَدُمُّكَ، إِنْ يَسَلَّمَ لَكَ دِينُكَ يَسَلَّمَ لَكَ لَحْمُكَ وَدُمُّكَ) [حلية الأولياء ٢/ ١٦٤].

جهاده في سبيل الله، وثباته في الفتن:

مَنْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَاعْتَصَمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَضَّ عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ، فِي مَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ، رَكِبَ سَفِينَةَ النِّجَاةِ الَّتِي لَا يَغْرُقُ صَاحِبُهَا وَلَا يَشْقَى، وَنَجَا مِنْ طُوفَانِ الْهَوَى وَإِعْصَارِ الْغَوَايَةِ، وَخَيْرٌ مِمَّا يَضْرِبُ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، فِي عَهْدِهِ ابْتُلِيَ النَّاسُ بِالْحِجَابِ

ابن يوسف، ذلك الحاكم الظالم، ولما اشتد على الناس جورُهُ خرج عليه من خرج، وخاض في تلك الفتنة من خاص، وفي هذه الأثناء كان الإمام الحسنُ يعظ الناس في البصرة ويحذّرهم من الخروج، بل أمرهم بالسمع والطاعة والصبر على ظلم الحجاج وكفّ السلاح.

وكان من الشجعان الموصوفين في الحروب، وكان المهلب بن أبي صفرة يقدمه إلى القتال، واشترك في فتح كابل مع عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ينصحه، فقال: (فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبدٍ اتّمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرّد العيال).

وفاته:

في ليلة الجمعة من غرة رجب سنة (١١٠ هـ) كانت وفاته رضي الله عنه، فلما شاع خبر وفاته، ارتجّت البصرة لموته، وصلي عليه بعد الجمعة في جامع البصرة.

أقوال العلماء فيه:

قال العوّام بن حوشب رضي الله عنه: (ما أشبه الحسن إلا بنبيٍّ أقام في قومه ستين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل) [حلية الأولياء ٢/١٦٨].

وقال قتادة بن دعامه رضي الله عنه: (ما جالسْتُ فقيهاً قطُّ إلا رأيتُ فضلَ الحسن عليه) [تهذيب الكمال ٦/١٠٧].

وقال بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه: (من سرّه أن ينظر إلى أعلم عالمٍ أدركناه في زمانه، فليُنظر إلى الحسن) [تهذيب الكمال ٦/١٠٩].

وقال يونس بن عُبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (رَأَيْنَا الْفُقَهَاءَ، فَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا أَكْمَلَ مَرُوءَةً مِنْ الْحَسَنِ) [تهذيب الكمال ٦ / ١٠٩].

الفوائد:

- ١ - للحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كل إجلالٍ وإعظام عند الأمة.
- ٢ - قول الحسن وفعله متطابقان.
- ٣ - زهد الحسن في الدنيا مثال يحتذى، ونجم يُقتدى.

مراجع للاستزادة:

- ١ - حلية الأولياء، للإمام أبي نُعيم الأصفهاني.
- ٢ - تهذيب الكمال، للحافظ المِزِّي.
- ٣ - سِيرَ أعلام النبلاء، للإمام الذهبي.
- ٤ - صور من حياة التابعين، للدكتور عبد الرحمن رأفت باشا.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالْثَمَانُونَ

الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ (٨٠ - ١٥٠ هـ)

هو الإمام الجليل النعمان بن ثابت التيمي مولاهم، الكوفي، ولد سنة (٨٠ هـ) في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الكوفة، ولم يثبت له سماعٌ عن أحد من الصحابة. رَوَى عن عطاء بن أبي رباح، وعامر الشعبي، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وشيخه حماد بن أبي سليمان الذي تفقه على يديه.

ومن تلاميذه: زُفَر بن الهذيل العنبري، والقاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وابنه حماد ابن أبي حنيفة، وخلق كثيرٌ سواهم.

قال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللهُ: (كان أبو حنيفة ثقةً، لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ).

كان أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ ربعةً، من أحسن الناس صورةً، وأبلغهم نطقاً، وكان ورعاً تقيّاً، مكرماً لإخوانه، طويل الصمت، وافر العقل.

وعن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ قال: (ما رأيتُ رجلاً أوقَرَ في مجلسه، ولا أحسنَ سَمَتاً وحُلماً من أبي حنيفة).

وعن يزيد بن كميث رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله! فانفض واصفرّ، وأطرق، وقال: (جزاك الله خيراً، وما أحوج الناس كلَّ وقت إلى من يقول لهم مثل هذا).

وقد أورد ابن أبي شيبة رحمته الله في مصنفه أن أبا حنيفة خالف ما صح من الحديث في مسائل بلغت (١٢٥) مسألة، ونوقش ابن أبي شيبة في ذلك، فلو سلم له ذلك فلا يُوزَن مع ما وافق السنة من مسائله البالغة (٨٢) ألف مسألة. كان من عادته رحمته الله إن حلف تصدق بدينار، وإن أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها، وقيل: كان يصلي الصبح بوضوء العشاء.

قال الإمام الذهبي رحمته الله: (برع في الرأي، وساد أهل زمانه في التفقه وتفريع المسائل، وتصدّر للاشتغال، وتخرج به الأصحاب... وكان معدوداً في الأجواد الأسخياء، والأولياء الأذكياء، مع الدين والعبادة والتهجد وكثرة التلاوة، وقيام الليل رحمته الله).

وقال أيضاً: (الإمامة في الفقه ودقائقه مسلّمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه).

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل) وقال أيضاً: (وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه؛ فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك).

وقال ابن العماد رحمته الله: (وكان من أذكياء بني آدم، جمّع الفقه والعبادة، والورع والسّخاء، وكان لا يقبل جوائز الدولة؛ بل ينفق ويؤثر من كسبه، له دار كبيرة لعمل الخبز، وعنده صنّاع وأجراء رحمته الله).

قال الإمام أبو حنيفة رحمته الله: (ما جاء عن الرسول صلّى الله عليه وآله فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال).

وهذه العبارة إنما تصدق على الإمام أبي حنيفة وأقرانه من علماء الصدر الأول، ولكنها لا تصلح مستنداً للناس في هذا الزمان.

وقد طلبه الخليفة المنصور للقضاء، وحلف ليلين؛ فأبى الإمام أبو حنيفة وحلف: إني لا أفعل؛ فقال الحاجب: ترى أمير المؤمنين يحلف، وأنت تحلف؟! قال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فأمر به إلى السجن. وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة).

وعن القاسم بن معن رَحِمَهُ اللهُ، أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قول الله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ [القمر، ٤٦] ويبكي ويتضرع إلى الفجر. توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٥٠ هـ).

الفوائد:

- ١- جلالة الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢- الاشتغال بالفقه لا يتعارض مع تمام العبادة.

مراجع للاستزادة:

- ١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
- ٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْثَمَانُونَ

إِمَامُ دَارِ الْهَجْرَةِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٩٣-١٧٩ هـ)

هو إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، وُلد سنة (٩٣هـ)؛ عامَ توفّي أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادماً رسول الله ﷺ، ونشأ في بيئة نقيّة صافية، وطلّب العلم وهو حَدَّثُ ابنِ بضع عشرة سنة، عن أكابر علماء المدينة من التابعين؛ أهل الأثر والنظر، كربيعة الرأي، ونافع مولى ابن عمر، وسعيد المقبري، وعامر بن عبد الله بن الزبير، ومحمد بن المنكدر، والزُّهري، وعبد الله بن دينار، وغيرهم. وقد تأهل الإمام للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة.

ومن شيوخه: الزهري الذي ما تركه حتى يوم العيد، فسمع منه أربعين حديثاً، فقال: زِدْنِي، فقال: حسبك، فأخذ الألواح وسمعها منه، فأعادها كاملة، فقال: اذهب فأنت من أوعية العلم.

وما زال دائباً في طلب العلم حتى انتهت إليه الإمامة في المدينة، وهُرعَ إليه طلبة العلم، وما عاد يفتى ومالك في المدينة. وحَدَّثَ عنه جماعةٌ وهو شابٌّ يافعٌ؛ منهم: يحيى بن يحيى الليثي، وابن القاسم، والقعني، وقَصَدَه طلبة العلم من الآفاق في آخرِ دولة أبي جعفر المنصور، وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرّشيد، إلى أن مات سنة (١٧٩ هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان مجلسه في مسجد رسول الله ﷺ في وقار وحشمة وجلال، متطبياً في أحسن بزة، لا يرفع صوته إجلالاً لرسول الله ﷺ.

ولما حج المنصور أعجب بعلمه، فطلب إليه وضع كتاب يتجنب فيه شذائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، رحمهم الله، وأن يوطئه للناس أي يسهله، فألف كتابه الموطأ.

وقد سمع الموطأ منه الرشيد وأولاده، ورغب أن يعلقه بالكعبة ويحمل الناس عليه، فأبى الإمام مالك. وروى عن الإمام المدونة، وفيها (٣٦) ألف مسألة.

ومن أصول الإمام مالك رحمته الله: عمل أهل المدينة، فهو عنده مقدم على حديث الآحاد ولا سيما إن اجتمعوا.

كانت مهابته تملأ القلوب؛ حتى قال الإمام الشافعي رحمته الله: (كان مالك ابن أنس شديد الهيبة، كثير الصمت؛ لا يكاد يتكلم إلا أن يسأل، وربما سئل فصمت كثيراً حتى يتوهم السائل أنه لا يحسن، ثم يجيبه بعد مدة؛ فإذا أجاب فرح السائل بجوابه، واستغنمه، فمن هيئته يسكت). وقد أحسن من قال:

يَدْعُ الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ
عِزُّ الْوَقَارِ وَنُورُ سُلْطَانِ التَّقَى فَهُوَ الْمَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمته الله: (ما رأيت أحداً أهيب، ولا أتم عقلاً من مالك، ولا أشد تقوى). وكان الإمام مالك رحمته الله لمكانه الكريم في العلم يقول: (ما جالست سفيهاً قط).

من أقواله الحكيمة:

(لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا

أَتَّهَمُهُ فِي الْحَدِيثِ، وَصَالِحٌ عَابِدٌ فَاضِلٌ إِذَا كَانَ لَا يَحْفَظُ مَا يَحْدُثُ بِهِ).
 وَقَوْلُهُ: (مَا مِنَّا إِلَّا رَاؤُومَرْدُودٌ عَلَيْهِ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ).
 وَأُثِّرُ عَنْهُ مَقُولَتُهُ الشَّهِيرَةُ: (جُنَّةُ الْعَالِمِ: لَا أُدْرِي).
 وَقَوْلُهُ: (الْعِلْمُ نُورٌ، لَا يَأْتِسُّ إِلَّا بِقَلْبٍ خَاشِعٍ تَقِي).
 وَقَوْلُهُ: (مَا زَهْدٌ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْحِكْمَةِ).
 وَقَوْلُهُ: (مَا أَجَبْتُ فِي الْفَتَوَى حَتَّى سَأَلْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي: هَلْ تَرَانِي
 مَوْضِعًا لَذَلِكَ؟ سَأَلْتُ رَبِيعَةَ، وَسَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، فَأَمْرَانِي بِذَلِكَ) فَقِيلَ
 لَهُ: فَلَوْ نَهَوْكَ؟ قَالَ: (كَنتُ أَنْتَهِي، لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ حَتَّى يَسْأَلَ
 مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ).

وَلَعَلَّ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْخَبِيْثَةِ الطَّيْبَةِ الصَّالِحَةِ، أَهْلَهُ لِأَنَّهُ يَقَعُ
 فِي النَّاسِ الْمَوْقِعَ الْجَلِيلَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا ارْتَفَعَ
 مِثْلَ مَالِكٍ، لَيْسَ لَهُ كَثِيرُ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ سَرِيرَةٌ؛ أَيُّ: أَنَّهُ كَانَ
 لَا يَجْهَرُ بِعِبَادَتِهِ، بَلْ يُخْفِيهَا وَيُسِرُّهَا، وَلَا يُطْلِعُ عَلَيْهَا أَحَدًا).

الفوائد:

- ١- تقوى الله أساس ارتفاع قدر العبد في الدنيا، وفلاحه في الآخرة.
- ٢- من أهم ما ينفع العالم عمله بما علم.
- ٣- آداب طالب العلم من أحسن وأجمل ما يُستفاد من العلم.

مراجع للاستزادة:

- ١- ترتيب المدارك، للقاضي عياض.
- ٢- سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْس الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ

الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (١٥٠ - ٢٠٤هـ)

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبید بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قُصَيِّ القرشي المطلبی الشافعي المكي. يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، فهو قرشي مطلبی.

ولد بغزة في فلسطين على الأصح عام (١٥٠هـ) في العام الذي مات فيه الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ. فهو مولود في بلد غريب، بعيداً عن موطن قومه بمكة، نشأ وحليفاه اليتيم والفقر، فقد مات والده قبل أن ينعم برؤيته، وتركه لأمه وكانت امرأة من الأزد، فرأت أن تنتقل بولدها إلى مكة، إذ خافت عليه أن يُغلبَ على نسبه، فانتقلت به وهو صغير لا يجاوز الستين.

وكان في صباه يُجالس العلماء، ويحضر دروسهم، ويدون ما يستفيده منهم في الجلود ونحوها حتى جمع منها شيئاً كثيراً.

وفي مكة المكرمة حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ كتاب الموطأ للإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ وعمره عشر سنين، ثم أخذ يطلب اللغة والأدب والشعر حتى برع في ذلك كله، فلزم الهذليين نحواً من عشر سنين، وكانوا أفصح العرب، ثم انصرفت همته إلى طلب الحديث والفقه، فقابل الإمام مالكا فأعجب به وبقراءته، وكان يقول له: (يا محمد، اتق الله! فسيكون لك شأن).

وقد أجازَه شيخه مُسلمُ بنُ خالدٍ الزَّنجي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يُفْتِيَ وهو ابنُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سنة، وقال له: (أَفْتِ أبا عبد الله، فقد آن لك أن تفتي).

رحل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ رِحَالَتٍ عَدَّةً تركت أثرًا واضحًا في شخصيته، تجلّى ذلك في سعة علومه وكثرة شيوخه، ومعرفته بعوائد الناس، فقد رحل من مكة إلى بني هُذيل فأخذ عنهم اللغة، ثم عاد إلى مكة فسمع كثيرًا من الفقهاء والمحدثين، ومنها رحل إلى المدينة ليحظى بإمام دار الهجرة، وبعد وفاة الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، رحل إلى بغداد فأخذ عن أهل الرأي والفقهاء، ثم عاد إلى مكة، ثم رجع إلى بغداد، وفيها انتشر فقهه، وهو ما يُعرف بالمذهب القديم، ومنها خرج إلى مصر، ومنها انتشر ما يعرف بمذهبه الجديد.

قال الربيع بن سليمان المُرادي رَحِمَهُ اللهُ - أحد تلامذته -: (كان الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يجلس في حلّقه إذا صَلَّى الصبح، فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرّقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

وقال الإمام الأصمعي رَحِمَهُ اللهُ: (صَحَّحْتُ أشعارَ الهُذليين على شاب من قریش بمكة يقال له: محمد بن إدريس).

وحدّث محمد بن عبد الحكم رَحِمَهُ اللهُ قال: (ما رأيتُ مثلَ الشافعي، كان أصحابُ الحديث يجيئون إليه ويَعْرِضُونَ عليه غوامضَ علم الحديث، وكان

يُوقِفُهُمْ عَلَى أَسْرَارٍ لَمْ يَقِفُوا عَلَيْهَا، فَيَقُومُونَ وَهُمْ مُتَعَجِبُونَ مِنْهُ، وَأَصْحَابُ
الْفَقْهِ الْمُوَافِقُونَ وَالْمُخَالَفُونَ لَا يَقُومُونَ إِلَّا وَهُمْ مُذْعَنُونَ لَهُ، وَأَصْحَابُ الْأَدَبِ
يَعْرِضُونَ عَلَيْهِ الشُّعْرَ فَيَبَيِّنُ لَهُمْ مَعَانِيَهُ، وَكَانَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِالتَّوَارِيخِ، وَكَانَ
مَلَاكُ أَمْرِهِ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى).

وطلب منه الإمام عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ إمام أهل الحديث في
عصره أن يصنف كتاباً في أصول الفقه، فصنف كتاب الرسالة، وهو أول كتاب
صُنِفَ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ عَلَى الْمَشْهُورِ، بَيَّنَّ فِيهِ أَصُولَ النَّظَرِ فِي الْأَدْلَةِ وَكَيْفِيَّةَ
اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (مَا مَسَّ أَحَدٌ مِحْبَرَةً وَلَا قَلَمًا إِلَّا
وَلِلشَّافِعِيِّ فِي عُنْقِهِ مِئَةٌ).

وكان أبو ثور رَحِمَهُ اللَّهُ أحد طلابه ببغداد يقول: (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ الشَّافِعِيِّ، وَلَا هُوَ
رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ).

وقد تميز فقه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بالجمع بين الرأي والحديث، فَلَيْنَ
اشْتَهَرَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ بِالرَّأْيِ، وَالْإِمَامُ مَالِكٌ بِالْحَدِيثِ، فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ أَخَذَ
عَنِ الْمَدْرَسَتَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْحُسْنَيْنِ.

وكان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ مشهوراً بتواضعه وخضوعه للحق، ومحبيته لنفع
الناس، تشهد له بذلك مناظراته ودروسه، ومعاشرته لأقرانه ولتلاميذه
وللناس. وقد اشتهر عنه قوله: (مَا نَازَرْتُ أَحَدًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ، وَمَا فِي
قَلْبِي مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَدِدْتُ أَنْهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَلَا يُنْسَبُ لِي). وَكَانَ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ:
(وَاللَّهِ مَا نَازَرْتُ أَحَدًا إِلَّا عَلَى النَّصِيحَةِ).

أما حاله في ليله رَحِمَهُ اللهُ فكان عَجَبًا، فقد جَزَأَ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

وفاته رَحِمَهُ اللهُ:

توفي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الجمعة بعد المغرب، ودفن بمصر بعد العصر يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة (٢٠٤هـ).

قال الربيع بن سليمان المرادي رَحِمَهُ اللهُ: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاتَ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ: هَذَا مَوْتُ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، فَمَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ).

الفوائد:

- ١ - اجتماعُ شرفِ النسبِ وشرفِ العلمِ للإمامِ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢ - تميُّزُ الإمامِ الشافعي بالإنصافِ مع مخالفيه، والأدبِ مع مناظريه.
- ٣ - كان الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ اللهُ مثالَ العالمِ الرباني بالجمع بين العلم والعمل.

مراجع للاستزادة:

- ١ - آداب الشافعي ومناقبه، للإمام ابن أبي حاتم الرازي.
- ٢ - مقدمة كتاب المجموع، للإمام النووي.
- ٣ - سِيرَ أَعْلَامِ النَبْلَاءِ، للإمام الذهبي.
- ٤ - الإمام الشافعي، للشيخ محمد أبو زهرة.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرس التاسع والثمانون

الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله (١٦٤ - ٢٤١ هـ)

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ السَّادِقُونَ وَالَّذِينَ كَذَبُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) [العنكبوت].

من أولئك الأعلام الذين ابتُلُوا في دين الله، وأوذوا في سبيله أشدَّ الإيذاء، فصَبَرُوا على ذلك وثابروا واحتسبوا: المحدثُ الفقيه، إمامُ أهل السنة، الإمامُ المَبْجُلُ أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المَرْوَزِي، ثمَّ البغدادي، يلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ في نِزارِ بنِ مَعَدٍّ بنِ عَدْنَانَ. ولد في بغداد سنة (١٦٤ هـ) وأصله من البصرة، وتوفي والده وهو ابن ثلاث سنين، ونشأ يتيماً، وتولت رعايته أمُّه، وحفظ القرآن وهو غلامٌ، وتزوج وعمره أربعون سنة، وحجَّ على قَدَميه مرتين.

من صفاته الخَلْقِيَّة:

كان شيخاً مخضوباً شديدَ السمرة، حَسَنَ الوجه، رُبْعَةً، ليس بالقاني، في لحيته شعراتٌ سُود.

من صفاته الخُلُقِيَّة:

كان شديد الحياء، عفيفاً عما في أيدي الناس، يكره الشهرة والثناء عليه، وكان إذا أراد أن يمشي يكره أن يتبعه أحدٌ من الناس، وكان عاملاً بعلمه، وفي

ذلك يقول: (ما كتبتُ في المُسند حديثاً إلا وقد عملتُ به، حتى إنني ذكرتُ أن النبي ﷺ احتجَمَ وأعطى الحجام ديناراً، فاحتجَمْتُ وأعطيتُ الحجام ديناراً).
كان يحضر مجلسَ الإمام أحمدَ خمسةُ آلاف طالب، وكان عددُ كبير منهم يكتبون العلم، والبقية ينظرون إلى أدبه وأخلاقه وسَمِّته.

بدأ بطلب الحديث وهو ابنُ خمسَ عشرة سنة في العام الذي مات فيه الإمام مالك، وحمادُ بن زيد، فحصل العلمَ على كبار العلماء، من أشهرهم: هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ - وقد أكثر عنه - والإمامُ الشافعيُّ، وعبدُ الرزاق الصنعاني، ومعتمرُ بن سليمان التيمي، وغيرهم.

ومن أشهر تلاميذه: الإمام البخاريُّ، والإمام مسلم، وأبو داود، وغيرهم.
خلف الإمامُ أحمدُ للأمة تراثاً علمياً عظيماً، وكتباً نافعةً، منها: المسند في الحديث، ويضم حوالي ثلاثين ألف حديث، انتقاها من سبعةً ألف حديث، وكتاب السنة، والتفسير، والناسخ والمنسوخ، والتاريخ، والزهد، والرد على الجهمية، والعلل، والسنن في الفقه، وكتاب فضائل الصحابة، وغيرها.

ثناء الأئمة عليه:

لقد عرف العلماء قدر هذا الإمام، وزهده وورعه، وما وصل إليه من منزلة رفيعة في علم الحديث والفقه، وغيرهما، فأثنوا عليه ثناءً عاطراً، وهذا شيء من أقوالهم في ذلك:

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في وصفه: (هو عالم العصر، وزاهد الوقت، ومحدث الدنيا، ومفتي العراق، وعالمُ السنَّة، وباذلُ نفسه في المحنة، وقَلَّ أن ترى العيونُ مثله، كان رأساً في العلم والعمل والتمسك بالأثر، ذا عقل رزين،

وصديق متين، وإخلاصٍ مكينٍ وخشيةٍ ومراقبةٍ للعزیز العليم، وذكاءٍ وفطنةٍ وفهمٍ وسعةٍ علمٍ).

وقال شيخه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (خرجتُ من بغداد فما خلفتُ بها رجلاً أفضلَ ولا أعلمَ ولا أفقهَ من أحمدَ بن حنبل).

وقال إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللهُ: (رأيتُ أحمدَ بن حنبل، فرأيتُ كأنَّ اللهَ جمَعَ له علمَ الأوّلين والآخريين من كل صنف، يقول ما يشاء، ويُمسك عمّا يشاء).

تواضعه وزهده وورعه:

وقد ورد من تواضعه وزهده وورعه صورٌ عجيبة تدل على عظيم منزلته: قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ أبي يقول: (وَدِدْتُ أَنِّي أَنْجُو مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَفَافًا، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي).

وقال عنه أبو عمير بن النحاس الرملي رَحِمَهُ اللهُ: (رحم الله الإمامَ أحمدًا! عن الدنيا ما كان أَصْبَرُهُ! وبالماضين ما كان أَشْبَهَهُ! وبالصالحين ما كان أَلَحَقَهُ! عَرَضَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَبَاهَا، وَالْبَدْعُ فَتَفَاهَا).

وقال رجل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال الإمام أحمد: (بل جزى الله الإسلامَ عني خيرًا، مَنْ أَنَا؟ وَمَا أَنَا؟)

وقد أثر عن الإمام أحمد أقوالٌ وحكمٌ كثيرة:

منها قوله: (أنا أطلبُ العلمَ إلى أن أدخلَ القبر).

وقوله: (إياك أن تتكلم في مسألةٍ ليس لك فيها إمامٌ).

وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وقَّافًا عند نصوص الكتاب والسنة، وفتاوى الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ، روى العليمي أن عبد الوهاب الوراق قال: (ما رأيتُ مثلَ

أحمد بن حنبل)! فقالوا له: وأي شيء بان لك من فضله؟ فقال: (رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها: حدَّثنا، وأخبرنا).

محنة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ:

لقد قدَّر الله لهذا الإمام الجليل أن يُمتَحَنَ أبلغَ المحنة، والمرءُ يُبتلى على قدر دينه؛ كما في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى العبدُ على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة» [أخرجه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وملخصُ قصة المحنة: أن المأمونَ نصرَ رأيَ المعتزلة في مسألة خلق القرآن، ودعا الناسَ إلى القول به، وطلبَ من وُلايَته في الأمصار عزلَ القضاة الذين لا يقولون برأيه، وامتَحَنَ العلماء، فأجابه أكثرُ العلماء والقضاة مُكرهين، واستمرَّ الإمامُ أحمدٌ ونفرٌ قليل على حمل راية السنة، والدفاع عن مُعتقد أهل السنة والجماعة، فرفض أن يقولَ بذلك، وإنما قال: (القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق).

وكُلِّمنا ناظروه بما عندهم من الشبهات، وألزموه القولَ بخلق القرآن، يقول لهم: (كيف أقول ما لم يُقل؟ أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسولهِ ﷺ حتى أقول به).

لقد ثبتَ الله الإمامَ أحمدَ على الحقِّ، وصمَدَ رَحِمَهُ اللهُ في وجه الباطل، ووقف موقفَ الصّديقين، فحصلَ له بسبب ذلك من أنواع الأذى ما لا يقدرُ على تحمله كثيرٌ من البشر، من الحبسِ الطويل، والضربِ الشديد، والتهديدِ

بالقتل، وغيرها من أنواع العذاب الشديد؛ قال أحد الجلادين بعد أن تاب: (لقد ضربتُ الإمام أحمدَ ثمانين جَلْدَةً، لو ضربْتُها في فيلٍ لسقط!) وما كان من الإمام أحمد رَحِمَهُ إِلَّا الصَّبْرُ، والتمسكُ بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم.

واستمرت المحنة سنواتٍ عديدةً في أيام المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق، إلى أن تولَّى الخلافة المتوكلُ رَحِمَهُ، فخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد، وطعن عليهم فيما كانوا يقولونه من خلق القرآن، فأظهر الله به السنّة، وأمات به البدعة، وكشف عن الخلق تلك الغمّة، وأطلق من كان اعتُقل بسبب القول بخلق القرآن، ورفع المحنة عن الناس، فجزاه الله خيرًا.

وهكذا خرج الإمام أحمدُ رَحِمَهُ من هذه المحنة كما يخرج الذهب إذا فُتن على النار، وكان كما قال الإمام القدوة الزاهد بشر بن الحارث الحافي: (أحمد بن حنبل أَدْخَلَ الْكَبِيرَ فَخَرَجَ ذَهَبًا أَحْمَرًا).

وبذلك رفع الله قدره وأعلى منزلته، فلم يزل بعد ذلك اليوم في صعود، وأصبح حُبُّه شعارَ أهل السنة وأهل الصلاح؛ قال الإمام أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ: (إذا رأيتَ الرجلَ يحبُّ أحمدَ بنَ حنبلٍ، فاعلم أنه صاحبُ سنة).

وقال ابن أعين رَحِمَهُ:

أَضْحَى ابْنُ حَنْبَلٍ مُحَنَّةً مَأْمُونَةً وَحُبُّ أَحْمَدَ يُعْرِفُ الْمُتَنَسِّكُ
وَإِذَا رَأَيْتَ لِأَحْمَدٍ مُتَنَقِّصًا فَاعْلَمْ بِأَنَّ سُوْرَهُ سَتُّهُتْكَ

وقال عليُّ بن المَدِيني شيخُ الإمام البخاري رحمهما الله: (إن الله أعزَّ هذا الدينَ بأبي بكرٍ الصديق يومَ الرِّدَّة، وبأحمدَ بن حنبلٍ يومَ المحنة).

وفاته رَحِمَهُ اللهُ :

توفي رَحِمَهُ اللهُ في بغداد سنة (٢٤١هـ) ليلة الجمعة، وقد قُدِّرَ عددُ الذين صلَّوا عليه وشيَّعوه إلى قبره بألف ألف! وفي رواية: وسبعمئة ألف! أي مليون وسبعمئة ألف.

وبهذا الاحتشاد العظيم في جنازته تحقق ما أنبأ به بقوله: (قولوا لأهل البدع: بينا وبينكم الجنائز)!

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ التَّشْبَهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ

الفوائد:

- ١- الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ ضرب أروع الأمثلة في الثبات على الحق، والدفاع عنه.
- ٢- أصبح حبُّ الإمام أحمدَ شعارَ أهل السنة، كما قال الإمام أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللهُ: (إذا رأيت الرجل يحبُّ أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة).
- ٣- الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ جمع بين الحديث والفقه، فهو من الفقهاء المحدثين.

مراجع للاستزادة:

- ١- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي.
- ٢- سِيرَ أعلام النبلاء، للذهبي.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ التَّسْعُونَ

عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (١١٨-١٨١هـ)

اسمه ونشأته:

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام، العلامة فخر المجاهدين، وقُدوة الزاهدين، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحَنْظَلِيُّ المَرْوَزِي. ولد سنة (١١٨هـ) في بيئة صالحة، من أبوين كريمين، فقد اشتهر والده بالورع الشديد؛ فيُحكى أَنَّ والدَه المبارك كان يعمل في بستانٍ لمولاه، فطلب منه مرةً رُمَانًا حلواً، فجاءه مباركٌ بالرمان، فلما كسره مولاه وجده حامضاً، فقال: أما تعرف الحلو من الحامض! فأجابه: إنك لم تأذن لي بالأكل منه، فتعجب من ورعه، وعظُم قدره في نفسه، فقال: يا مبارك! إن لي بنتاً، فمن ترى أزوجهَا؟ فقال: أهلُ الجاهلية يزوجون للحسب، واليهودُ للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين، فقام الأبُّ فزوجهَا مباركاً، فجاءت بعبد الله.

وابتدأ عبد الله بن المبارك طلبَه للعلم في العشرين من عمره، وكان طالباً للعلم نادرَ المثال، وأكثر من الرحلة والتَّطَوُّاف في البلاد والمراكز العلمية في تلكم الفترة، ليأخذ العلم عن أهله، ويشافِهَ أهلَ الذكر بما عندهم.

فرحل إلى اليمن ومصرَ والشَّامَ والبصرةَ والكوفةَ والحرمين، وكتب عن الصغار والكبار، حتى وصلَ عددُ شيوخه أكثرَ من ألف شيخ. وبلغ

حديثه نحوًا من عشرين ألفَ حديث، وكان ممن يلقب بأمير المؤمنين في الحديث.

مناقبه:

حاز عبد الله بن المبارك فضائلَ كثيرةً، وخصالًا حميدة، فإذا ذُكِرَ العلماء كان المُقَدَّم، وإذا ذُكِرَ الحفاظُ كان المَبَجَّل، وإذا ذُكِرَ الفقهاءُ كان السيدَ المَكْرَم، وإذا ذُكِرَ الزُّهَادُ والعُبَادُ كان المَتَبَّل، وإذا ذُكِرَ المجاهدون كان الفارسُ المِغوار، فإنه جمع العلمَ والفقهَ والأدبَ والشعرَ وفصاحةَ العرب، مع قيام الليل والعبادة، والانقطاع في الخلوات، وشدة الخشية لله والورع، رأسًا في الذكاء، رأسًا في الشجاعة؛ فكان يغزو عامًا ويحج عامًا.

وكان رأسًا في الكرم، فكان إذا حج قبَضَ نفقةَ أصحابه، وكتب على كل نفقةٍ اسمَ صاحبها، ويُنفقُ عليهم ذهابًا وإيابًا، ويشترى لهم الهدايا من مكة والمدينة، ويُطعمهم ثم يكسوهم جديدًا، ويردُّ إلى كل واحد نفقته؛ وذلك أنه كانت له تجارة واسعة، وكان ينفق على الفقراء كلَّ سنة مئة ألف درهم، ولذلك قال فيه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (جُمِعَتْ فِيهِ خِصَالُ الْخَيْرِ).

وكان ابنُ المبارك رَحِمَهُ اللهُ مرةً على سقاية، والناسُ يشربون منها، فدنا منها ليشربَ ولم يعرفه الناسُ، فَرَحَمَوْهُ ودفعوه، فلما خرج قال لمن معه: (ما العيشُ إلا هكذا)؛ يعني إذ لم نَعْرِفْ ولم نُوقِّرْ، مما يدل على زهده، وتركِ مظاهر الأبهة وزينة الدنيا.

وكان في منزل عبد الله بن المبارك حمامٌ طيارة، فقال ابنُ المبارك رَحِمَهُ اللهُ: (قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام، فليس ننتفع بها اليوم)، قيل: ولم ذلك؟

قال: (اختلطت بها حمامٌ غيرها فتزاجت بها، فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك)، مما يدل على شدة ورعه.

شعره وحكمه:

اتسم شعره بالصدق والعاطفة الحية، والمشاعر الجياشة، فيه المعاني السامية والأخلاق الفاضلة، والحض على العلم وتقوى الله وخشيته، والتنفير من المعاصي والتكثير من الطاعات، وإيقاد جذوة المحبة في القلوب.

فمن ذلك:

بُغِضَ الحياةِ وخوفُ الله أخرجني وبيعُ نفسي بما ليست له ثمنًا
إني وزنتُ الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى! فلا والله ما اتزنا

وقوله أيضًا:

كل العداوة قد تُرجى إمامتها إلا عداوة من عاداك من حسدٍ
فإن في القلب منها عقدة عقدت وليس يفتحها راقٍ إلى الأبدِ
إلا الإله فإن يرحم تحل به وإن أباه فلا ترجوه من أحدٍ

ومن أقواله الحكيمة:

(رُبَّ عملٍ صغيرٍ تكثره النية، ورُبَّ عملٍ كثيرٍ تُصغره النية).
(من استخفَّ بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخفَّ بالأمراء ذهب دنياه،
ومن استخفَّ بالإخوان ذهب مروءته).

أقوال العلماء فيه:

قال سفيان بن عيينة رحمته الله: (نظرت في أمر الصحابة عليهم السلام، وأمر عبد الله،
فما رأيت لهم فضلًا إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه).

وقال علي بن المديني رَحِمَهُ اللهُ: (انتهى العلم إلى رجلين: إلى ابن المبارك، ثم ابن مَعِين).

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: (لم يكن في زمان ابن المبارك أطلبُ للعلم منه).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في تقريب التهذيب: (ثقة ثبت فقيه عالم جَوَادٌ مُجَاهِدٌ، جُمِعَتْ فِيهِ خِصَالُ الْخَيْرِ).

وفاته رَحِمَهُ اللهُ:

توفي سنة (١٨١هـ) راجعاً من غزوة كان غزاها رَحِمَهُ اللهُ، فلما بلغ موته الخليفة هارون الرشيد قال: (مات سيد العلماء)!

الفوائد:

- ١- بالعلم يسود المرء وينبئ.
- ٢- الزهد في الدنيا لا يمنع المسلم أن يكون ثرياً؛ يسخر المال في خدمة الناس، ويصرفه في وجوه الخير.

مراجع للاستزادة:

- ١- سِيرَ أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي.
- ٢- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرس الحادي والتسعون

صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللهُ (٥٣٢-٥٨٩هـ)

هو القائد المجاهد الناصر أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مَرَوَانَ، الملقب بصلاح الدين، ولد سنة (٥٣٢ هـ الموافق ١١٣٧ م) في قلعة تكريت في العراق، وكان أبوه والياً عليها، ثم انتقل معه إلى المَوْصِل واستقر فيها برعاية عماد الدين زنكي.

من صفاته الحميدة:

كان رَحِمَهُ اللهُ ورعاً زاهداً، شديد المواظبة على صلاة الجماعة، حريصاً على السنن والنوافل وقيام الليل، كثير الذكر، يحب سماع القرآن، غزير الدمعة، إذا سمع القرآن خشع قلبه ودمعت عيناه، عفيف اللسان، يردّ الحقوق إلى أهلها، ويمنع الرِّشوة ويعاقب عليها، لا يُحابي في الحق أحداً؛ وله مجالس للخصومات كل يوم اثنين وخميس يحضره الفقهاء والقضاة، ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إليه مَنْ شاء من عامة الناس.

حبُّه للعلم:

كان رَحِمَهُ اللهُ محباً للعلم وطلبه، شديد الرغبة في سماع الحديث، كثير التعظيم لشعائر الإسلام، حفظ كتاب الله، وحفظ كتاب التنبيه في الفقه الشافعي، وكان كثير السماع للحديث، إذا سمع بشيخ محدث ذي رواية عالية أتاه فيسمع ويُسمع أولاده ومماليكه، وكان مجلسه يجمع العلماء والفضلاء والفقراء.

تولّى صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ رِئاسةَ شرطة دمشق في عهد نور الدين زنكي، فقام بهذا المنصب أحسنَ قيام، واستطاع أن يُطَهِّرَ دمشق من عبث اللصوص وشرور المفسدين، فأعاد الأمن والاستقرار في ربوع الشام.

أعمال صلاح الدين أيام ولايته:

لما تسلّم صلاح الدين الأمر بعد نور الدين زنكي رَحِمَهُ اللهُ قام بإصلاحات كثيرة للنهوض بالدولة شملت جميع مناحي الدولة، مما يدل على حُكْمَتِهِ وحسن سياسته، فاستثمر الأراضي، وابتدع وسائل للري، وأنشأ المصانع والمستشفيات في غاية الإتقان، وأنشأ المدارس في المدن والقرى البعيدة، وأجرى عليها الرواتب، وحارب التيارات المنحرفة والعقائد الفاسدة، وطوّر تسليم الجيش، فلم يهمل جانباً على حساب آخر.

سعيه في توحيد البلاد الإسلامية:

لم يكن التفات صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ لأمر الدولة الخارجي أقل من التفاته لوضعها من الداخل، بل ما كان إصلاحه الداخلي إلا لأجل أن يستطيع أن يحقق أُمْنِيَّتَهُ وأُمْنِيَّةَ كل مسلم، ألا وهي تحرير المسجد الأقصى؛ فجهّز رَحِمَهُ اللهُ جيشاً لاسترداد اليمن، إذ وجد صلاح الدين أن ذلك سيجعل المسلمين يُحكمون السيطرة على منافذ البحر الأحمر لحماية الأراضي المقدسة في الحجاز، كما بعث حملةً أيضاً إلى غربي مصر، فحرّر برقة وطرابلس الغرب وتونس.

وهكذا تمّ توحيد البلاد الإسلامية في جبهة واحدة تمتد من برقة وتونس غرباً إلى الفرات شرقاً، ومن المَوْصِل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوباً.

معركة حطين:

لَمَّا رَأَى الصَّلِيبِيُّونَ شَوْكَةَ صَلَاحِ الدِّينِ تَشْتَدُّ، وَقُوَّتَهُ تَتَزَايِدُ، وَعَلِمُوا أَنَّ عَيْنَهُ تَرْنُو نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، تَصَالِحُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْوُقُوفِ فِي وَجْهِهِ، وَجَمَعُوا أَكْثَرَ مِنْ سِتِينَ أَلْفًا، وَكَانَ جَيْشُ صَلَاحِ الدِّينِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ الْجُنُودِ الْمُجَنَّدِينَ، وَبِضْعَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ، وَالتَّقَوَّا جَمِيعًا عِنْدَ الْقَرْيَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَعْرُوفَةِ (حَطِين)، وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ مِنْ مَعَارِكِ التَّارِيخِ الْحَاسِمَةِ، انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ انْتِصَارًا هَائِلًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَظْهَرَ فِيهَا صَلَاحُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ حُنْكَهً عَسْكَرِيَّةً عَظِيمَةً، وَكَذَلِكَ ضَرَبَ فِيهَا الْمَثَلَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، مَتَأَسِّيًا بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، فَقَدْ كَانَ يَمْشِي بَيْنَ قَادَتِهِ وَجُنُودِهِ، يَرْغَبُهُمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَكْبِّرُ فَيَكْبُرُونَ وَرَاءَهُ، وَفِي أَثْنَاءِ الْمَعْرَكَةِ أَمَرَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَحَادِيثِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، فَكَتَبَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ، وَكَانَتْ الْمَعْرَكَةُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ (٥٨٣هـ).

معركة فتح بيت المقدس:

كَانَتْ مَعْرَكَةُ حَطِينٍ قَدْ مَهَّدَتْ الطَّرِيقَ إِلَى الْقُدْسِ، وَحِينَمَا عَلِمَ النَّاسُ بِنِيَّةِ صَلَاحِ الدِّينِ أَنَّهُ بَعْدَ حَطِينٍ لَا بَدَّ أَنْ يَفْتَحَ الْقُدْسَ، جَاءَهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، كِبَارُ النَّاسِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، جَاءُوا لِيَنْضَمُوا إِلَى جَيْشِهِ، وَحَاصِرِ الْقُدْسِ، وَكَانَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ سِتِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ الْأَشْدَّاءِ الْمُدْرَبِينَ، فَأَحْكَمُوا حَصَارَهُمْ لِلْمَدِينَةِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ قَادَةُ الْمُحْتَالِينَ يَسْتَغْثِفُونَ صَلَاحَ الدِّينِ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ، فَطَرَدَهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ فِدْيَةً يُؤَدُّونَهَا لِلْمُسْلِمِينَ.

ودخل المسلمون بيت المقدس بعد (٩٢) عامًا تحت عبث المحتلين وإفسادهم، دخلوه يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب سنة (٥٨٣هـ) وما صلّوا فيه إلا في الجمعة القابلة، لِمَا وجدوا فيه من الصُّلبان والخمور والقاذورات، وفي الجمعة التالية كانت خطبةً عظيمةً، خطبةُ التحرير، خطبةُ الصلاة بعد الحرمان هذه المدة الطويلة.

وهكذا فإنّ الأمة قد تمرض، لكنها لا تموت، وقد يعترىها الوهن والضعف، لكنها لا تيّأس من النصر؛ وإن كان للباطل جولة فإنّ للحق جَوَلات، وهكذا ينبغي أن يكون ظنُّ المسلمين بربهم؛ وهذه سيرة صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ تَبْقَى تُحيي الأمل في نفوس أبناء المسلمين، وتقدّم لهم مشروعًا إصلاحيًا ناضجًا واعيًا إن هم أرادوا أن تنهض الأمة من كبوتها وتصحّح مسارها.

وفاة صلاح الدين:

لم تنته المعركة عند صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ في بيت المقدس، بل أراد أن يركب البحر ويفتح البلاد ويحرر العباد، لكن دهمه المرض، وما لبث أن توفي بقلعة دمشق سنة (٥٨٩هـ) وعمره سبع وخمسون سنة، ولم يوجد في خزانته إلا سبعة وأربعون درهماً وديناراً واحداً! وطويت بوفاته صفحةٌ من صفحات التاريخ المشرقة، يرحمه الله رحمة واسعة.

الفوائد:

١ - جَمَعَ الناصرُ صلاحُ الدين بين عِزَّةِ المُلك، وخفضِ الجَنَاحِ للعلماء وعامة الناس.

- ٢- قيامُ الناصرِ صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ بِأعباء الحكم لم يَشْغَلْهُ عن طلب العلم.
- ٣- كان الناصرُ صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ شديداً التضرُّع إلى ربه ولا سيَّما عند لقاء العدو.

مراجع للاستزادة:

- ١- سيرة صلاح الدين، بهاء الدين بن شدّاد.
- ٢- هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ماجد الكيلاني.
- ٣- صلاح الدين الأيوبي، د. علي محمد الصلابي.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

الدَّرْسُ الثَّانِي والتَّسْعُونَ

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (٦٦١-٧٢٨هـ)

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» [رواه أبو داود (٤٢٩١) وصَحَّحَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ].

قد ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَدَّدَ اللَّهُ بِهِمْ دِينَهُ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ السَّابِعَةِ: الْإِمَامَ الْحَجَّةَ، الْمَجْدَّدَ لِلْمَحَجَّةِ، النَّاصِرَ لِلْسُنَةِ، الْقَامِعَ لِلْبُدْعَةِ، الْمَجْتَهِدَ الْمَطْلُوقَ، أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ابْنَ الْإِمَامِ شَهَابِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَلِيمِ، ابْنَ الْإِمَامِ مَجْدِ الدِّينِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَضِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ تَيْمِيَّةِ النَّصِيرِيِّ الْحَرَّانِيِّ، الْمَلَقَّبَ بِتَقِيِّ الدِّينِ، الشَّهِيرَ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَبَابِنِ تَيْمِيَّةٍ، وَبِإِمَامِ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ، وَ(تَيْمِيَّةٍ) لِقَبِّ لَجْدِهِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الْخَامِسُ مِنْ آبَائِهِ.

وَهُوَ أَحَدُ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَأَفْرَادِهِ فِي الْحِفْظِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، هَاجَرَ مَعَ وَالِدِهِ وَأَهْلٍ بَيْتِهِ مِنْ حَرَّانٍ إِلَى دِمَشْقٍ أَثْنَاءَ سَنَةِ (٦٦٧هـ)، وَالشَّيْخُ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ جَوْرِ التَّتَارِ، وَنَشَأَ فِي بَيْتِ عِلْمٍ، فِي تَصَوُّونٍ تَامٍ، وَعِفَافٍ وَتَعَبُّدٍ وَاقْتِصَادٍ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ.

أَخَذَ عَنْ أَكْثَرِ مَنْ مَتَّى شَيْخٌ، كُلُّهُمْ دَمَاثِقَةٌ، وَجُلُّهُمْ حَنَابِلَةٌ، وَكَانَ أَوَّلُ سَمَاعِهِ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ وَهُوَ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ فِي صِغَرِهِ وَهُوَ فِي الْكُتَّابِ، وَأَتَقَنَ الْعُلُومَ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْفِقْهِ، وَالْأَصُولِ، وَالْعَرَبِيَّةِ، وَالتَّارِيخِ، وَالْجَبْرِ، وَالْمُقَابَلَةِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْهَيْئَةِ، وَعِلْمِ أَهْلِ الْكُتَابَيْنِ، وَالْمِلَالِ الْأُخْرَى، وَعِلْمِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَغَيْرِهَا، كُلُّ ذَلِكَ فِي سَنٍّ مُبَكَّرَةٍ، وَكَانَ

قَلَّمَا حَفَظَ شَيْئًا فَنَسِيَهُ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْمَحَلَّى لَابْنِ حَزْمٍ وَيَسْتَظْهَرُهُ، وَأَوَّلُ مَحْفُوظَاتِهِ فِي الْحَدِيثِ: (الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ) لِلْحَمِيدِيِّ.

وَنَازِرٌ وَهُوَ دُونَ الْبُلُوغِ، وَكَانَ يَحْضُرُ الْمَدَارِسَ وَالْمَحَافِلَ فِي صَغَرِهِ، فَيَتَكَلَّمُ وَيُنَازِرُ وَيُفْحِمُ الْكِبَارَ، وَيَأْتِي بِمَا يَتَحَيَّرُ مِنْهُ أَعْيَانُ الْبَلَدِ فِي الْعِلْمِ، وَلَا يُعْرِفُ أَنَّهُ نَازِرٌ أَحَدًا انْقِطَعَ مِنْهُ، وَلُقِّبَ بِالْإِمَامَةِ وَهُوَ فِي التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عَمَرِهِ، وَدَرَّسَ وَهُوَ فِي الْحَادِيَةِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ عَمَرِهِ.

مؤلفاته:

بَدَأَ بِالتَّأْلِيفِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَفْتَى كَذَلِكَ فِي هَذَا السَّنِ، وَيُعَدُّ مِمَّنْ تَجَاوَزَتْ مَصْنَفَاتُهُ أَلْفَ مَصْنَفٍ، وَيُشَارِكُهُ فِي هَذِهِ الْمِيزَةِ قَلَّةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَارُ عَلَيْهِمْ كُلَّهُمْ بِأَنَّهُ تَأَلَّفَهُ كَانَ عَنْ اجْتِهَادٍ مُطْلَقٍ، وَهُوَ فِيهَا قَائِلٌ لَا نَاقِلٌ جَمَاعَ، فَلَا يُعْرِفُ فِي عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ مَنْ بَلَغَ فِي كَثْرَةِ التَّأْلِيفِ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ مَبْلَغَهُ، كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِقْرَاءِ.

يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ مُتَقَدِّمِي الْأُمَةِ وَلَا مُتَأَخِّرِيهَا جَمَعَ مِثْلَ مَا جَمَعَ، وَلَا صَنَّفَ نَحْوَ مَا صَنَّفَ) [العقود الدرية ص ٢٦].

طُبِعَ مِنْ كُتُبِهِ مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ كِتَابٍ، مَا بَيْنَ كِتَابٍ فِي مَجْلَدٍ فَأَكْثَرُ، وَمِنْهَا رِسَائِلٌ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَفَتَاوَى، وَهِيَ أَكْثَرُ، وَالْكِتَابُ الْحَافِلُ بِهَا هُوَ مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَبَعْضُ كُتُبِهِ أَلْفَهَا فِي قَعْدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمِنْهَا الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ، أَلْفُهُ فِي قَعْدَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَمِنْهَا السِّيَاسَةُ الشَّرْعِيَّةُ، أَلْفُهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمِنْهَا الْحُمُومِيَّةُ، أَمْلَاهُ فِي قَعْدَةٍ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ، وَعَمَرُهُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

تجديده:

جَاءَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَصْرُهُ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى مُجَدِّدٍ لِلدِّينِ مِنْ جَمِيعِ

النواحي، سواء منها العلمية أو العملية، فقد كانت مظاهر الشرك متشرةً في الأمة، وكانت البدعُ قد اكتسحت الساحةَ الإسلامية، فحلت ظُلُماتها الحالكة محل صفاء العقيدة الإسلامية، وتعرجاتها المظلمة محل وضوح المعتقد الإسلامي، وتصوراتها الفلسفية محل نقاء المفاهيم الإسلامية.

وكان نبوغُ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي وقتِ اكتمال جميع المدارس المنحرفة، وسبقَ نبوغه ظهورُ أبرز أئمة تلك المدارس، حتى لما ظهر ذلك الإمام، ووجدَ تلك المدارسَ بِسِمَاتِها الواضحة: انبرى لها هدمًا وتقويضًا، وإصلاحًا وتعويضًا، فألفَ كتبًا جامعةً في نقض أسس الملل والنحل والفرق المعروفة، من أشهرها: الجواب الصحيح لمن بدلَ دين المسيح، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ودرء تعارض العقل والنقل، والتسعينية، وشرح الأصبهانية، والواسطية، والحموية، والتدمرية، وبيان تلبيس الجهمية، والإيمان الكبير، والإيمان الأوسط، والرد على البكري، والصفدية، وغيرها.

وكان تجديده شاملًا لجميع جوانب الدين:

ففي مجال العقيدة: كان الخلافُ دائرًا بين فئتين كبيرتين:

الفئة الأولى: تدَّعي تمثيلَ أهل السنة والجماعة، وتدَّعي انحصارَ أهل السنة والجماعة فيهم فقط، وهم الأشاعرةُ والماتريدية.

والفئة الثانية: هي الجهميةُ ووريثُها المعتزلة.

أما أهل السنة والجماعة الحقيقيون: فكانوا يُذكرون ضمن طوائف الحشوية أو المشبهة، وكانت الفئتان الكبيرتان المذكورتان متحدثتين في محاربة أهل السنة.

هذا إلى جانب مدارسٍ ومِلَلٍ أخرى بدأت تكتسح الساحة الإسلامية، وهي مدرسة الروافض، وانتشار الدعوة إلى النصرانية.

وأما في المجال الفقهي: فكانت المذاهب الأربعة الفقهية السُّنِّيَّة هي المنتشرة، وكان التعصُّب المذهبيُّ سائداً بينهم، حتى أفتى بعضهم ببطلان الصلاة خلف الآخرين!

وأما في مجال السلوك: فكان التصوُّف قد عمَّ وطَمَّ بين أتباع أكثر المذاهب، وكان قد استقرَّ على التصوُّف الفلسفي الذي يُفضي إلى الحلول والاتحاد.

وكانت كلُّ مدرسةٍ من تلك المدارس قد حصَّنت نفسها من الكتاب والسنة بقوانينٍ كليةٍ يلجؤون إليها كلما اصطدمت بدعُهم بنصوص الكتاب والسنة.

فعملَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تقويض أسس جميع الفرق المنحرفة في جميع المجالات، وركَّز على إسقاط رموز تلك الفرق، وخصَّ بالردِّ المفصَّل بعضَ كتبهم التي كان لها الانتشار، وبذلك استحقَّ أن يكون مجددَ ذلك القرن بلا منازع، بل مجدد القرون التي تلت، بما ترك من تراثٍ تنتفع به الأجيال المتلاحقة.

وقد أُوذِيَ رَحِمَهُ اللهُ فِي سبيل الدعوة إيذاء لا يتحمَّله إلا الأفاضل من الرجال، ومن ذلك أنه لما بلغ الثانية والثلاثين من عمره، بدأ تعرُّضه لأخبية السجون، وبلايا الاعتقال، والإقامة الجبرية خلال أربعة وثلاثين عاماً، ابتداءً من عام (٦٩٣هـ) إلى يوم وفاته في سجن القلعة بدمشق، وكان قد سُجِنَ رَحِمَهُ اللهُ سَبْعَ مراتٍ! أربعٌ بمصر - بالقاهرة وبالإسكندرية - وثلاث مرات بدمشق، وانتهت بموته يوم الاثنين، ٢٠ ذي القعدة، (٧٢٨هـ)، وجميعها نحو خمس سنين.

وبعد إحدى السَّجَنَات - وكانت في القاهرة - أُخْبِرَ بأنهم يُسَفِّرونه إلى

الإسكندرية، وقال له بعضُ محبّيه: كل هذا يعملونه حتى توافقهم، وهم عاملون على قتلك، أو نفيك، أو حبسك! فقال لهم: (أنا إن قُتِلْتُ كنت لي شهادة، وإن نَفَوني كانت لي هجرة، ولو نفوني إلى قبرص دعوتُ أهلها إلى الله وأجابوني، وإن حبسوني كان لي معبدًا، وأنا مثل الغنمة كيفما تقلّبت تقلبت على صوف)، فيئسوا منه وانصرفوا.

ومع كلّ ما تعرّض له من الأذى، إلا أنه كان يُضرب به المثل في الصبر، فبعد أن قدّر على مَنْ سعى في قتله عفا عنهم كلّهم، وشفّع لهم عند السلطان. وكان القاضي ابنُ مخلوف المالكي رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ بعد ذلك: (ما رأينا أتقى من ابن تيمية؛ لم نُبقْ ممكنًا في السعي فيه، ولمّا قدّر علينا عفا عنا).

ثناء العلماء عليه:

وهو كثيرٌ جدًّا، من ذلك ما قاله الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ فيه: (الإمام الحبر البحر، العَلَمُ الفرد، شيخ الإسلام، ونادرة العصر...)، وبعد أن ساق كلامًا كثيرًا في مناقبه قال: (وهو أكبر من أن يُنبّه مثلي على نعوته، فلو حلفتُ بين الركن والمقام: لحلفتُ أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم).

أثر شيخ الإسلام على مَنْ بعده، والدراسات عنه:

ربما لا تكون هناك شخصيّة أخرى من أئمة المسلمين تُنافس شيخ الإسلام في كثرة الدراسات عنه، فقد أُحصيت الرسائل العلمية - الدكتوراه والماجستير - عنه قبل أكثر من عشر سنوات، فبلغت (١٧٩) رسالةً علمية! خمسةٌ وأربعون منها حول تحقيق كتبه، والباقي فيها دراسةٌ آرائه وجهوده، وقد تأثر بشيخ الإسلام كثيرٌ من الفرق، حتى إنّ موضوعَ التأثير به قد أُفِرِدَ برسالةٍ علميةٍ لمرحلة الدكتوراه، وهي رسالة (أسباب التأثير الثقافي بشيخ الإسلام ابن تيمية ومظاهره في العصر الحديث)، للدكتور عبد الله بن محمد الصرامي.

والنهضة العلمية الكويتية - كغيرها - مدينة لشيخ الإسلام، إذ إن للكويت نصيباً وافراً من التأثير بشيخ الإسلام، ومن ذلك: أنه قد سعى الشيخ مبارك الصباح رَحِمَهُ اللهُ فِي طَبْعِ كِتَابِ بَيَانِ تَلْبِيسِ الْجَهْمِيَةِ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ حَالُ دُونِ ذَلِكَ عَدَمُ عَثُورِهِمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ نُسَخِهِ، كَمَا ذَكَرَهُ الْآلُوسِيُّ فِي الرِّسَالِ الْمَتَبَادِلَةِ بَيْنَ الْقَاسِمِيِّ وَالْآلُوسِيِّ ص ١٧١، وَكَانَ الشَّيْخُ نَاصِرُ مَبَارَكِ الصَّبَاحِ رَحِمَهُ اللهُ يَرَى أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، وَإِمَامُ الْأَنَامِ، وَحَامِي حَرَمَةِ الدِّينِ. [تاريخ الكويت للشيخ عبد العزيز الرشيد ص ٢٢٩].

أما ثناء علماء الكويت على شيخ الإسلام: فكثير، فقد أثنى عليه العلامة عبد الله بن خلف الدحيان، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ محمد الجراح، كما أثنى عليه الشيخ الأديب عبد العزيز الرشيد، وغيرهم كثير.

الفوائد:

- ١ - يعد شيخ الإسلام ابن تيمية أحد أبرز المجتهدين للدين، وأكثرهم أثراً على تعاقب الأزمان.
- ٢ - تركّزت دعوته على تجريد الإخلاص لله سبحانه، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ.
- ٣ - ما زالت كتبه نبراساً ومنازاً تضيء الطريق إلى الحق.

مراجع للاستزادة:

- ١ - العقود الدرية، لابن عبد الهادي.
- ٢ - الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع الشيخين: محمد عزيز شمس، وعلي العمران.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالتَّسْعُونَ

الشيخ العلامة عبد الله بن خلف الدَّحْيَان رَحِمَهُ اللهُ
(١٢٩٢ - ١٣٤٩ هـ)

لقد أنجبت بلادنا الكويت الحبيبة جماعةً من العلماء الربانيين، والدعاة المصلحين، الذين كان لهم الأثر البين في مجتمعهم من الناحية الدينية والاجتماعية، وإن من هؤلاء العلماء الأجلاء، والدعاة النبلاء، الشيخ الجليل، والعلامة النبيل: عبد الله بن خلف الدحيان رَحِمَهُ اللهُ.

اسمه ونسبه، وشيء من أخباره:

هو الشيخ عبد الله بن خلف الدَّحْيَان الحربي الحنبلي السلفي الأثري، كما كان يعرف بنفسه، ولد في الكويت في الثامن والعشرين من شوال، سنة (١٢٩٢ هـ).

كان والده إماماً وخطيباً ومعلماً للقرآن في بلدته المَجْمَعَة من نجد، وقد انتقل والدّه إلى الكويت في حدود عام (١٢٨٥ هـ)، فتعلّم الشيخ عبد الله القرآن عند والده، كما أخذ عنه مبادئ الكتابة والحساب، ثم حُبب إليه العلم، فشرع في قراءة الفقه على الشيخ محمد بن عبد الله الفارس رَحِمَهُ اللهُ، فلازمه وأخذ عنه مبادئ الفقه والعربية كذلك.

ثم سافر الشيخ إلى بلدة الزُّبَيْر سنة (١٣١٠ هـ) إذ كانت آهلةً بالعلماء غاصّةً بهم، فشرع في القراءة على بعض أعلامها، أمثال الشيخ صالح بن حمد المبيّض، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الحمود، والشيخ محمد بن عبد الله آل عوجان، وغيرهم.

وقد ظهر نبوغُ الشيخ وذكاءُه وتفوّقه على أقرانه حينذاك؛ لذا كانت له الخطوة عند مشايخه ومعلميه؛ فلقد أظهرُوا إعجابهم به واستثناسهم لرؤيته. هذا إلى جانب عظيم من الصدق، والإخلاص، والتواضع، ودماثة الخلق، وطيب العشرة، ولين الجانب، ورقة الطبع، وجزالة الخاطر.

ثم رجع الشيخ إلى بلده الكويت بعد أن أخذَ بغيتَه من رحلته العلمية. وفي سنة (١٣٢٤هـ) رحل الشيخ لأداء فريضة الحج، وكان موفقاً في رحلته تلك، فقد اجتمع بأفاضل العلماء، واستجازَهم فأجازوه، وذاكرَهم وذاكرَوه.

وبعد أن قضى حجه؛ رحل عن طريق البحر إلى الهند، ثم إلى مسقط، ثم رجع إلى الكويت، وقد اكتسبَ من هذه الرّحلات معرفته بالعلماء.

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حسنَ الخلقِ كريمَ السجايا، فهو كما قال تلميذه الشيخ عبد العزيز الرشيد رَحِمَهُ اللهُ: (من أجل علماء الكويت وأصلحهم، قلّما يسيء إلى جلسيه مهما بدرَ منه، صبورٌ على الشدائد والمصائب، وكان عفيفاً كريماً).

ويقول تلميذه الشيخ عبد الله النوري رَحِمَهُ اللهُ: (والذين عرفوا الشيخ عبد الله ابن خلف؛ عرفوا رجلاً تقيّاً، متواضعاً لله في نفسه، عظيمًا في أعين الناس، يقضي نهاره معلماً للناس، مفتياً في قضاياهم، يعبدُ الله ويختلطُ بالناس، يجلسُ لهم، ويعودُ مرضاهم، ويعزّيهم في بلواهم، عَرَفَهُ عَارِفُوهُ بقوة الإرادة، ومُضِي العزيمة، لا تعرف همتُه الكسل ولا الملل، ولم يُذكر عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه أضاع ساعة من عمره في لهو أو عبث).

وقد اشتهر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعزة النفس، حتى سمع به القاصي والداني، ومن

عجيب أخباره: أن الشيخ أحمد الجابر الصباح رَحِمَهُ اللهُ حاكم الكويت آنذاك أرسل له ابن عونٍ ومعه سبعون ليرة، وهو مبلغٌ كبيرٌ جدًّا في ذلك الزمان، وقال ابن عون: إن الشيخ أحمد الجابر يقول لك: إنها ليست من الجمر، بل هي من مزارعنا - أي إنها من خالص المال وحلاله. فأخذها الشيخ عبد الله وأخرجها وعدّها، وأظهر كأنه قبلها حتى لا يكون في خاطر شيء، ثم أعادها إليه، وقال: (ارجعها، وقل له: أنتم ذُخْرٌ، إذا احتجتُ إليها أخذتها).

تولى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الإمامة والخطابة، وقد كان كثيرٌ من الناس يقطع المسافة البعيدة من أطراف الكويت إلى مسجده لصلاة الجمعة خلفه.

وتولى القضاء مضطراً؛ إذ بقي منصبُ القضاء شاغراً مدة ثلاثين يوماً بعد وفاة الشيخ عبد الله خالد العدساني سنة (١٣٤٨ هـ) فقيلَ لَمَّا لم يجد منه مناصاً ولا مهرّباً، ولم يمكث فيه طويلاً، فإنه توفي في رمضان سنة (١٣٤٩ هـ)، ومع هذا فقد كان رَحِمَهُ اللهُ في فترة توليه القضاء محتسباً على عمله، لم يأخذ أجره عليه، وكان الشيخ أحمد الجابر الصباح رَحِمَهُ اللهُ إذا جاءه حكم شرعي من الشيخ الدحيان يضعه فوق رأسه ويقول: (هذا حكم ربي).

ثناء العلماء عليه:

قال فيه المؤرخ الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللهُ: (وما زلنا نسمعُ الأخبار العجيبةَ عن ورعه واستقامته، فإن كثيراً من أقاربي عرفوه وصاحبوه وأكثرُوا من مجالسته).

ويقول فيه علامة الشام الشيخ عبد القادر بن بدران رَحِمَهُ اللهُ، في رسالة بعث بها إلى الشيخ: (إلى العالم الفاضل، ومجمع الفضائل، البحر الزاخر، ناصر

سنة الرسول ﷺ، والقائم بنصرة مذهب السلف، الشيخ عبد الله بن خلف).
ويقول فيه علامة العراق الشيخ محمود شكري الآلوسي رَحِمَهُ اللهُ: (العالم
الجليل، والكامل النبيل، تَذَكُّرة السلف، الشيخ عبد الله بن خلف، أيد الله به
أحكام الدين، وجعله قرّة عين المسلمين).

مجالسه العلمية:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقرأ في الصباح من تفسير ابن كثير، ثم يقرأ من صحيح
البخاري مع شرحه فتح الباري، وبين المغرب والعشاء يقرأ في فنون متعددة،
كلما أنهى كتاباً شرع في غيره.

وكانت له عناية خاصة بكتب الفقه الحنبلي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية
رَحِمَهُ اللهُ، فقد درس الكثير من كتب متأخري الحنابلة، ونسخ الكثير من كتب شيخ
الإسلام ابن تيمية بيده، منها الواسطية، ومنهاج السنة النبوية، وكلها موجودة
في مكتبة المخطوطات بوزارة الأوقاف.

مكتبة الشيخ:

زحرت مكتبة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بنفائس الكتب؛ ولا سيما المخطوطة منها؛ إذ
كان لا يدخر جهداً في التوصية بجلب الكتب إليه من الشام ومصر وبغداد
والحجاز ونجد، فجمع العديد من كتب السنة والعقيدة ولا سيما كتب الشيخ
محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ وتلاميذه، حتى استوت له مكتبة نفيسة زاخرة،
وقد آلت بعد وفاته إلى ابن أخته الشيخ أحمد الخميس رَحِمَهُ اللهُ، ثم أهدى ورثة
الخميس بعد وفاته المخطوطات إلى مكتبة وزارة الأوقاف، ثم انتقلت إلى
مكتبة الموسوعة الفقهية، وتمت فهرستها.

تلاميذه:

أخذ العلم عن الشيخ تلاميذٌ كثيرٌ منهم: الشيخ يوسف القناعي، والشيخ عبد العزيز الرشيد، والشيخ محمد الجراح، وغيرهم كثير، رحمهم الله تعالى.

مؤلفاته:

ترك الشيخ رحمه الله مؤلفاتٍ مباركةً عدة، منها: الخطب المنبرية، وقد طبعته وزارة الأوقاف، وكتاب مجالس رمضان، والمسائل الفقهية على طريقة السؤال والجواب، وكلها مطبوعة متداولة.

وفاته:

وبعد عمر حافلٍ بالخير؛ أصيب الشيخ بمرضٍ أقعده، إلى أن كان آخر ليلة السابع والعشرين من رمضان عام (١٣٤٩هـ)، انتقل إلى رحمة الله تعالى، وعمره لا يتجاوز سبعاً وخمسين سنة، يرحمه الله رحمة واسعة.

الفوائد:

- ١- الكويت بلد معطاء، أنجبت عدداً من خيرة العلماء والأدباء.
- ٢- العالم الصادق لا يتأثر بالمناصب ولا بالأموال.
- ٣- الشيخ الدحيان رحمه الله جمع الله له بين العلم والعمل، نحسبه كذلك والله حسيبه.

مراجع للاستزادة:

- ١- كتاب علامة الكويت عبد الله الدحيان، للشيخ محمد ناصر العجمي.
- ٢- علماء الكويت، للأستاذ عدنان الرومي.
- ٣- علماء وأمرأء من الكويت على عقيدة السلف، د. دغش العجمي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرس الرابع والتسعون

الشيخ العلامة عبد العزيز الرشيد رحمته الله

(١٣٠١-١٣٥٦هـ)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة النحرير، والمؤرخ الأديب، عبد العزيز بن أحمد الرشيد
البداح رحمته الله.

مولده ونشأته:

ولد رحمته الله في الكويت عام (١٣٠١هـ)، ونشأ فيها، ودخل الكتاب فتعلم
مبادئ الكتابة والقراءة، ثم أخذ عن علمائها كالشيخ الدحيان رحمته الله وغيره،
وأخذ في المطالعة والرحلة حتى حصل علماً غزيراً.

رحلاته وبعض أعماله:

عرف الشيخ الرشيد رحمته الله بكثرة رحلاته العلمية، فقد رحل إلى الزبير،
والأحساء، وبغداد، والآستانة، ومصر، ومكة والمدينة، وجاوة في أندونيسيا،
التقى خلال هذه الرحلات بعلماء أجلاء كثر واستفاد منهم.

وقد جاور رحمته الله في مكة المكرمة، وقام بالتدريس في الحرم المكي، وجاور
كذلك في المدينة النبوية، وجلس على كرسي التدريس في الحرم المدني.

كما أنه تولى التدريس في المدرسة المباركية، وقد كان الطلاب يدرسون
في هذه المدرسة رسالة الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله،
والمنظومة السفارينية، وغيرها من الكتب النافعة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ واعظاً دينياً في قصر الشيخ أحمد الجابر الصباح رَحِمَهُ اللهُ .
وشارك في تأسيس أول جمعية خيرية في الكويت عام (١٣٣١هـ)،
وساهم مع صديقه الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رَحِمَهُ اللهُ في تأسيس المدرسة
الأحمدية عام (١٣٤٠هـ).

وكان رَحِمَهُ اللهُ عضواً في مجلس الشورى عام (١٣٤٠هـ).

ثناء العلماء عليه:

أثنى كثير من العلماء والأدباء على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ، فمن ذلك:
ما قاله الأديب خالد سعود الزيد رَحِمَهُ اللهُ في كتابه أدباء الكويت: (وهو أول
من نَمَى بذرة اليقظة الفكرية، وعزّزها ورسخها في نفوس الجماهير، فلقد
جاء هذا الرجل في وقتٍ لم تكن الكويت بحاجة إلى شيء قَدَر حاجتها إلى
رجل عظيم مثله، يحمل لواء صقل العقول والأفكار، ويضيء سبيل المعرفة
والحياة. ومن الحق أن نقول: إن الرشيد هو رائد التيار الفكري المتدفق الذي
لا يزال سارياً في روح المجتمع حتى اليوم).

وقال الشيخ صالح آل عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في كتابه تسهيل السابلة: (تميز في
الفقه والفرائض والأدب، والتاريخ، وكان شاعراً مؤرخاً، خبيراً بأحوال الناس
ووقائعهم، ذا قلم سيال، وذهنٍ وقاد، وعقل راجح نقاد، وكان خطيباً مضطجعاً،
ليس له نظير في أبناء جنسه وأقرانه، وكان بيني وبينه أبحاثٌ ومطاراتٌ في
أشياء كثيرة، فما رأيتُ مثله في تحقيق ما يتكلم به، وإطالة النفس في النُّقول،
وسعة الاطلاع على أقوال الناس، وكثرة الكتب المصنفة، وكان منفرداً في
تلك الجهة في فن الأدب).

رحلته إلى جَاوَة:

يقول الأستاذ عدنان الرومي في كتابه علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون: (طلب منه الملك عبد العزيز آل سعود حينما قابله في موسم الحج سنة ١٣٤٧هـ) أن يذهب إلى الشرق الأدنى داعية إلى المذهب السلفي، ومُحارباً أهل البدع هناك).

وفي جَاوَة أصدر الشيخ مجلة التوحيد، بيّن من خلالها زيغ العقيدة القاديانية وغيرها من العقائد المنحرفة، (ولقد وقف وقفة المدافع عن كل ما يقال عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب) كما قال الأستاذ الرومي.

مؤلفاته وإنتاجه الفكري:

كَتَبَ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الْمُؤَلَّفَاتِ العديدة، وَأَسَّسَ الْمَجَلَاتِ الكثيرة، فمن مؤلفاته:

- ١- تاريخ الكويت، ألفه بطلب من الشيخ أحمد الجابر الصباح رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢- تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المسلمين، ألفه في بغداد في مرحلة الطلب بتشجيع من شيخه محمود الألوسي رَحِمَهُ اللهُ، وهو ردّ على قصيدة للشاعر معروف الرصافي.
- ٣- الدلائل البينات في حكم تعلم اللغات، ردّ فيها على من قال بتحريم تعلم اللغة الأجنبية.
- ٤- الصواعق الهاوية على النصائح الكافية، وهو كتاب دافع فيه الشيخ عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وردّ فيه على من طعن فيه في كتاب أسماه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، وكتابه هذا مفقود.

وفي مجال الصحافة والمجلات، أسس الشيخ عددًا من المجلات، منها: مجلة الكويت، ومجلة الكويت والعراقي، أصدرها الشيخ في أندونيسيا بالتعاون مع السائح العراقي يونس بحري، ومجلة التوحيد، أصدرها الشيخ في أندونيسيا بمفرده، قال فيها الأستاذ الرومي: (وسارت على نفس منوال مجلة الكويت والعراقي، من الدعوة إلى العقيدة السلفية الموافقة للكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح، والرد على المبتدعة والملحدين، والذود عن دعاة الحق).

وفاته:

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في أندونيسيا، ورجح الشيخ النوري رَحِمَهُ اللهُ أن وفاته كانت في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ٣ / ٢ / ١٩٣٨ م، يرحمه الله رحمة واسعة.

الفوائد:

- ١- الشيخ عبد العزيز الرشيد رَحِمَهُ اللهُ جمع بين العلم الشرعي والتاريخ والأدب.
- ٢- كان الشيخ الرشيد رحالة في طلب العلم والدعوة إلى الله تعالى.

مراجع للاستزادة:

- ١- الشيخ عبد العزيز الرشيد، للدكتور يعقوب الحجي.
- ٢- علماء الكويت، للأستاذ عدنان الرومي.
- ٣- علماء وأمرأء من الكويت، د. دغش العجمي.

والحمد لله رب العالمين.

الدّرس الخامس والتسعون

الشيخ أحمد عطية الأثري رحمته الله
(١٣٢٢-١٣٨١هـ)

اسمه:

هو الشيخُ الفاضلُ اللغويّ، والخطيبُ البارِعُ، أحمد عطية الأثري، نسبة إلى أهل الحديث والأثر، كما أفاده ابنه الأستاذ المحامي إبراهيم الأثري.

مولده ونشأته:

ولد رحمته الله في جزيرة فيلكا، عام (١١٢٢هـ) الموافق لعام (١٩٠٤م) تقريباً، ونشأ في أسرة متوسطة الحال.

تعلم رحمته الله القراءة والكتابة ومبادئ الحساب كغيره من أبناء الكويت على يد أحد المعلمين في الكتاتيب المنتشرة في ذلك الوقت، ثم حُبب إليه العلم منذ صغره، فبدأ يتلقاه على يد بعض علماء الكويت وغيرهم.

شيوخه:

تلقى الشيخ رحمته الله العلم عن شيوخ كثر، في شتى الفنون، منهم: الشيخ أحمد عبد الجليل الطبطبائي، والشيخ محمد اليماني، والشيخ عبد العزيز بن أحمد آل مبارك الأحسائي، والشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي الأحسائي - وكان يتردد إلى الكويت كثيراً -، رحمهم الله جميعاً، وقد درس عليهم فقه الإمام مالك، والنحو والصرف، والتوحيد، وغير ذلك من العلوم.

اطلاعه وقرائه:

كان الشيخ رحمه الله محباً للقراءة حباً كبيراً، وكان ينقب عن كتب العلم كلما سنحت له الفرصة، وكان أديباً شاعراً، يقرض الشعر في المناسبات، ومن ذلك تقريره لكتاب ألفه الملا عبد المحسن البحر رحمه الله، فقال الشيخ الأثري في أوله:

مِنَ الْبَحْرِ قَدْ مَدَّ ابْنُ بَحْرِ كِتَابَهُ لَيْسْتَ خَرَجَ الطُّلَّابُ مِنْ قَعْرِهِ دُرًّا
لكن المؤسف أن شعره قد ضاع كله!
وكان رحمه الله خطيباً بارعاً، إذا خطب في موضوع وفاه حقه.

أعماله ووظائفه:

أولاً: القضاء: تولى رحمه الله منصب القضاء مساعداً للشيخ عبد العزيز قاسم حمادة رحمه الله، بعد وفاة عالم الكويت الشيخ عبد الله الدحيان رحمه الله، حتى ترك الشيخ حمادة القضاء وتولاه الشيخ أحمد الأثري بمفرده حتى توفي.

ثانياً: الإمامة والخطابة: تولى رحمه الله الإمامة والخطابة في مسجد هلال في المرقاب فترة طويلة، وكان يعظ الناس فيه، ويعقد فيه مجالس رمضانية، وكان رحمه الله حريصاً على تحري الأحاديث الصحيحة في خطبه ومواعظه، ولا يذكر شيئاً من الأحاديث المنكرة والموضوعة.

حب الناس له وتقديرهم لعلمه:

لقد أحب الناس الشيخ الأثري رحمه الله حباً كبيراً، وكان الشيخ العلامة عبد الله الدحيان رحمه الله يُجله ويقدره، كما نقل ذلك الشيخ أحمد الغنام رحمه الله.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والتعلم والدعوة، توفي الشيخ عام (١٣٨١هـ) الموافق لعام (١٩٦١م)، يرحمه الله رحمة واسعة.

الفوائد:

- ١- التدين راسخ في الكويت وأهلها منذ نشأتها.
- ٢- حرص ولاية الأمور في الكويت - وفقهم الله - على تولية القضاء الصالحين من العلماء.

مراجع للاستزادة:

- ١- علماء الكويت خلال ثلاثة قرون، للأستاذ عدنان الرومي.
- ٢- مربون من بلدي، للأستاذ عبد المحسن الخرافي.

والحمد لله رب العالمين.

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالتَّسْعُونَ

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رحمته الله
(١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ)

الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رحمته الله هو أحد رواد النهضة العلمية في الكويت، وممن ساهم في الإصلاح الديني والاجتماعي في الكويت.

نشأته:

ولد الشيخ يوسف القناعي عام (١٢٩٦ هـ) في حي القناعات بمنطقة شرق، والتحق بالمدارس الأهلية منذ طفولته، وتعلم القرآن الكريم على يد الملا دخيل بن جसार، والخط والحساب على يد الملا عبد الوهاب ابن السيد يوسف الرفاعي، وتعلم بعض العلوم العصرية.

وفي صغره لما كان يتردد مع والده إلى البصرة في زيارة خاله أُصيب برصاصة عن طريق الخطأ، فاستقرت في فخذه، ولم يكن بالبصرة أطباء يداوونه ليخرجوا ما تهشم من عظامه أو يُجبرّونه التجبير الصحيح، فأثر ذلك في مشيته تأثيراً واضحاً.

طلبه للعلم:

مات والده سنة (١٣١٤ هـ)، فتأثر تأثراً بالغاً، ولكنه في هذه السنة بدأ طلبه للعلم، فقد ابتدأ المطالعة لكتب الأدب بجميع أنواعها، مما جعلته يتهيأ لطلب العلم، فحدثته نفسه أن يبدأ بالنحو والفقه، فقرأ على الشيخ خالد بن عبد الله

العدساني متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، وقرأ على الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان متن الأجرومية في النحو.

وفي سنة (١٣٢١هـ) الموافق لسنة (١٩٠٤م) سافر إلى الأحساء طلباً للعلم برفقة أحمد بن الشيخ عبد الله العدساني، فلَقِيَ الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر، فنزلا عنده، فأكرمهما في بيته، وقد قرأ عليه شرح ابن عقيل على الألفية، وشرح التيسير في الفقه، ثم رجع إلى البصرة ينتظر حلول موسم الحج.

وفي أثناء ذلك قرأ على الشيخ عبد العزيز التكريتي متن الشافية، وقد أنكر الشيخ يوسف أموراً شركية رآها في البصرة من دعاء غير الله، والاستغاثة بالمخلوقين، ذكرها في كتابه الملتقطات، ثم قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون على هذه المصائب التي بُلي بها المسلمون، وكلها من علماء السوء). وكان يقول شعراً:

ما جاء في الدين الصحيح عبادة إلا للرب واحد متفرد
ثم ذهب إلى مكة المكرمة للالتقاء بعلمائها، وقرأ على الشيخ يوسف الأفغاني شرح الجوهر المكنون، وعلى الشيخ شعيب المغربي شيئاً من صحيح البخاري، وعدة علوم، ثم عاد إلى الكويت.

أعماله:

لما رجع إلى الكويت سنة (١٣٢٧هـ)، الموافق (١٩٠٧م) أنشأ مدرسة في سوق المناخ لتعليم الطلاب القراءة والكتابة والحساب ومبادئ علوم الدين.

وفي سنة (١٣٣٨هـ)، الموافق (١٩٢٠م)، صار أول ناظر لمدرسة الأحمدية، ثم صار عضواً في مجلس الشورى، وبعد وفاة الشيخ عبد الله الدحيان عُيِّن قاضياً مؤقتاً حتى يتم تعيين قاض جديد، وقد انتخب عضواً في إدارة المعارف عام (١٣٥٦هـ)، الموافق (١٩٣٧م)، ثم عضواً في المجلس التشريعي.

وكان أول من دعا إلى تأسيس المدارس النظامية، فكان من مؤسسي المدرسة المباركية، وممن دعا إلى تعليم المرأة، ودعا أيضاً إلى قراءة الصحف والعلوم العصرية حتى ثار عليه بعض المشايخ رافضاً مثل هذه الأمور.

وهو صاحب فكرة إنشاء بلدية الكويت، وذلك لما رأى في زيارته للبحرين بلدية المنامة، فأحب أن يكون في بلده مثلها، فنقل الفكرة للشيخ أحمد الجابر الصباح رَحِمَهُ اللهُ الذي أيد الفكرة.

وهو أول من أنشأ مكتبة عامة في الكويت عام (١٩٢٢م)، وهي المكتبة الأهلية، وكان رئيساً لها.

وكان مشرفاً على مجلة الكويت التي أنشأها الشيخ عبد العزيز الرشيد عام (١٩٢٦م)، وذلك بأمر من الشيخ أحمد الجابر الصباح.

مؤلفاته:

كان يطبع مؤلفاته على نفقته، ويوزعها على أصدقائه، منها: صفحات في تاريخ الكويت، والمذكرة الفقهية، وهي صغيرة لكنها نافعة، وكانت تدرس في المدرسة المباركية، وكتاب الملتقطات حِكْمٌ وفقه وأدبٌ وطرائف، وهو في أجزاء.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللهُ فِي الْخَامَسِ مِنْ شَهْرِ جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ (١٣٩٣ هـ)، الْمَوْافِقِ
لِلْسَادِسِ مِنْ يُولْيُو سَنَةِ (١٩٧٣ م) عَنْ عَمَرٍ يَبْلُغُ الرَّابِعَةَ وَالتَّسْعِينَ عَامًا، قَضَاهَا
بِالْجِدِّ وَالطَّلَبِ وَالتَّعْلِيمِ.

وكان يقول:

مَضَى تَسْعُونَ مِنْ عُمْرِي كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَدْرِي
أَيُّومٌ مَرَّ أَوْ سَاعَةٌ أَوْ أَحْلَامٌ بِهَا أَجْرِي
فِي أَمْوَالِي وَفُقْنِي لِمَا أَبْقَيْتَ مِنْ عُمْرِي

الفوائد:

- ١ - الكويت بلد يهتم بالعلم والعلماء وتخليد ذكراهم.
- ٢ - العلماء يسهمون في خدمة بلدانهم، ورفعة مجتمعاتهم.
- ٣ - علاقة الحكام بالعلماء مهمة لصلاح الدين والدنيا.

مراجع للاستزادة:

- ١ - علماء الكويت، الأستاذ عدنان الرومي.
- ٢ - مربون من بلدي، د. عبد المحسن الخرافي.
- ٣ - جهود علماء الكويت، د. دغش العجمي.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالتَّسْعُونَ

الشيخ عبد الله بن محمد النُّوري رَحِمَهُ اللهُ
(١٣٢٣ - ١٤٠١ هـ)

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ عبد الله بن محمد نوري بن أحمد آل نوري، ولد في فجر يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول سنة (١٣٢٣ هـ) الموافق ١٧ مارس سنة (١٩٠٥ م)، وكان مولده رَحِمَهُ اللهُ في الزُّبير في محلة الكوت في البيت المجاور لمسجد السيد أحمد النقيب، وقد تولت تربيته جدته لأمه، وكانت ترعاه لأنها لم ترزق بولدٍ ذَكَرٍ طول حياتها، وتولى والده تنشئته وتعليمه مبادئ العلوم الأولى من القراءة والكتابة حتى بلغ الثامنة من عمره، وفيها أتم حفظ القرآن الكريم.

طلبه للعلم:

نستطيع أن نقسم طلب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ للعلم إلى مرحلتين:
الأولى: مرحلة تعلم مبادئ العلم، فبعد أن ختم الشيخ القرآن على والده، دخل المدارس التركية في أواخر حكم الأتراك في العراق، وبعد الاحتلال الإنجليزي للبصرة دخل الكتاتيب.

وفي عام (١٣٣٥ هـ) تقريباً دخل المدارس التي فتحتها الإنجليز لتعليم أهل البلاد، ومن جملتها مدرسة في سوق الشيوخ وهي تمثل الابتدائية، وبرز فيها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وكان من الفائزين؛ فكان الأول على دفعته، فرشح على إثر ذلك للدراسة في دار المعلمين في بغداد.

الثانية: بداية طلبه للعلم الشرعي، وقعت حادثة للشيخ رَحِمَهُ اللهُ وهو في ريعان الشباب أثرت فيه تأثيراً قوياً، فدفعته دفعاً حثيثاً إلى طلب العلم الشرعي وتلقيه من أفواه العلماء، وستترك الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يقص علينا هذه القصة، إذ يقول:

(في رجب سنة (١٣٤٥هـ)، وكنت قد تجاوزت السنة الثانية والعشرين من عمري، قال لي والدي رَحِمَهُ اللهُ: ستذهب بعد أربعة أيام إلى الهند مع فلان (رجل أعرفه من خيار الناس)، وكنت لا أجادل الوالد في قرار يقرّره، ولا أرد عليه بغير كلمة أبشر، فسكتُ ولم أرد عليه بالكلمة التي تعود سماعها مني، فنظر إليّ نظرة عميقة، وقال: ما لك؟ فقلت له: أمرك، ولم أقل: أبشر.

جرى هذا الحديث بعد صلاة المغرب، فقال لي: اذهب فصلّ إماماً بالجماعة العشاء، فأنا اليوم تعبان، وبعد الصلاة عدتُ، فقال لي: ما لك؟ كأنك لا تريد السفر؟ قلت: نعم يا أبي! سألني اليوم سائل عن الوضوء فلم أعرف جوابه، وأنا إمام، وأبي من علماء المسلمين، فكيف إذا سألني غداً سائل آخر عن الصلاة أو عن الصيام؟ إنني أريد أن أتعلم، لأعرف كيف أجيب عن أسئلة السائلين).

بعد هذه الحادثة أحضر له والده رَحِمَهُ اللهُ ثلاثة كتب، وهي:

- دليل الطالب لنيل المطالب، في فقه الإمام أحمد.

- شرح قطر الندى في النحو، لابن هشام.

- رياض الصالحين، للإمام النووي.

فقال له: (هذا كتاب دليل الطالب، تواصل به درسك على الشيخ عبد الله خلف الدحيان، وهذا شرح قطر الندى، تواصل به درسك ضحى كل يوم على الشيخ جمعة بن جودر، وهذا كتاب رياض الصالحين في الحديث نقرأ فيه أنا وأنت بعد المغرب كل يوم).

شيوخه:

تلقى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ العلمَ عن علماء أجلَاء كَثُرَ، وتأثر بهم في علمه ودعوته، منهم: والده الشيخ محمد النوري، والشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، والشيخ جمعة بن جودر، والشيخ عبد العزيز قاسم حمادة، والشيخ عبد الوهاب بن عبدالله الفارس، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، رحمهم الله جميعًا.

أعماله:

حَفَلَتْ حياة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالكثير من الأعمال والعطاء في مجال التعليم والدعوة والإعلام والقضاء، فقد كان ينوب عن والده في إمامة المصلين في مسجد يعقوب الخالد في الحي القبلي، ولما توفي والده رَحِمَهُ اللهُ عام (١٣٤٥هـ) تولى الإمامة والخطابة بعده، ثم انتقل بعد ثماني سنوات تقريبًا إلى مسجد دسمان في الشرق، ولما سكن ضاحية القادسية تولى الإمامة والخطابة في أحد مساجدها.

وعمل رَحِمَهُ اللهُ في أوائل عام (١٩٣٦م) كاتبًا في المحكمة، ثم تدرج في هذه الوظيفة حتى أصبح رئيسًا لكتّابها، إلى أن وصل إلى منصب سكرتير عام رئيس المحكمة، وفي عام (١٩٥٦م) ترك رَحِمَهُ اللهُ العمل في المحاكم.

وحين فتحت الإذاعة الكويتية عام (١٩٥٠م) كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أولَ رئيس لها، وساهم في تطويرها وإدخال البرامج النافعة فيها، حتى ترك الإذاعة عام (١٩٥٣م).

وأما التعليم فقد كان للشيخ رَحِمَهُ اللهُ سهم مبارك فيه، فقد عمل مدرسًا في المعهد الديني، وتولى التدريس والإدارة في بعض المدارس الخاصة.

وفي عام (١٩٦٥م) أُسِّست لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عضواً فيها، إلى أن أصبح رَحِمَهُ اللهُ رئيساً لها، ولم يقتصر عمل الشيخ على إفتاء الناس في اللجنة فحسب، بل كان يجيب المستفتين في تلفاز دولة الكويت حتى توفاه الله تعالى سنة (١٤٠١هـ) الموافق لعام (١٩٨١م).

وقد خلف الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تركة علمية مباركة من الكتب والرسائل والمذكرات منها: كتاب الرُّشد، وهو كتاب وعظ مناسب لأئمة المساجد، وقد طبع في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف، وكتاب المرأة المسلمة في المجتمع المسلم، وكتاب البهائية سراب، ومجموعة كتب في الفتاوى، يرحمه الله رحمة واسعة.

الفوائد:

- ١ - الكويت كبقية البلاد الإسلامية أنجبت علماء أجلاء.
- ٢ - أهل الكويت جُبلوا على حب العلم والعلماء والمصلحين.
- ٣ - الشيخ النوري رَحِمَهُ اللهُ كان مثلاً للطالب المجد، والداعية المصلح، فأعماله متنوعة من تدريس وإمامة وخطابة وفتوى وإعلام.

مراجع للاستزادة:

- ١ - علماء الكويت خلال ثلاثة قرون، عدنان الرومي.
- ٢ - مربون من بلدي، د. عبد المحسن الخرافي.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدَّرْس الثَّامِنُ وَالتَّسْعُونَ

الشيخ محمد بن أحمد الفارسي رَحِمَهُ اللهُ
(ولد ما بين ١٣٠٨ - ١٣١٨ هـ، وتوفي ١٤٠٢ هـ)

اسمه ومولده:

هو الشيخ محمد بن أحمد بن حسين الفارسي مولدًا، والكويتي موطنًا،
والشافعي مذهبًا.

ولد رَحِمَهُ اللهُ ما بين عامي (١٣٠٨) - (١٣١٨ هـ) في بَرِّ فارس في الساحل
الشرقي للخليج العربي، وقدم الكويت مع والده شابًا يافعًا، في عهد الشيخ
سالم الصباح رَحِمَهُ اللهُ، قبل بناء السور الثالث الذي تم بناؤه عام (١٩٢٠ م)، وقد
شارك الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في بنائه مع أهل الكويت.

نشأته:

نشأ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في أسرة محافظة، وكان شابًا نجيبًا ذكيًا حافظًا، حفظ
القرآن الكريم ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، وتعلم اللغة العربية كتابة
وقراءة حتى تأهب للاستزادة من العلم من خلال الرحلة في طلبه.

خرج رَحِمَهُ اللهُ من الكويت راحلاً في طلب العلم إلى بَرِّ فارس حيث حوَّضهُ
المذهب الشافعي هناك، ثم رحل إلى الأحساء، ومكة، والمدينة، وكانت
هذه عادة أغلب رحلات طلبة العلم الكويتيين، وخاصة في موسم الحج إذ
يرحلون إلى مكة والمدينة.

ثم شدَّ رَحْلَهُ رَحِمَهُ اللهُ إلى عُمان، والإمارات، والعراق، ثم عاد بعد هذه
الرحلات العلمية إلى الكويت واستقر بها عام (١٣٦٨ هـ).

أعماله:

شغل الشيخ رحمه الله العديد من الوظائف الدينية المباركة، ومنها:
 أولاً: الإمامة، فإنه حين تأسست دائرة الأوقاف في الكويت عام (١٣٦٨ هـ)
 الموافق لعام (١٩٤٩ م)، رأى المسؤولون فيها كفاءة الشيخ العلمية، فعيّنه
 إماماً وخطيباً في جامع السوق الكبير، ثم نقل عام (١٣٧١ هـ) إلى مسجد
 الخليفة.

ثانياً: الوعظ والإرشاد: فقد كان الشيخ رحمه الله يعظ المسلمين في المسجدين
 اللذين أمّ المصلين فيهما، وكانت مواعظه بليغة لها أثرها الطيب في نفوس
 المصلين، وامتاز رحمه الله بالخطب المؤثرة والدروس النافعة، حتى جمعت
 خطبته في ديوان، وقد طبع في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف.

تلاميذه:

أخذ العلم عن الشيخ تلاميذ كثر، منهم: الشيخ أحمد غنام الرشيد رحمه الله،
 والأستاذ الفاضل محمد سليمان المرشد عضو مجلس الأمة سابقاً.

تركته العلمية:

خلّف الشيخ محمد الفارسي رحمه الله تركة علمية مباركة بعد وفاته، منها ما
 هو باللغة العربية، ومنها ما هو باللغة الفارسية، منها:

- ١ - إرشاد الحجاج وكفاية المحتاج.
- ٢ - الحُجُج الواضحة في تلقين الميت وإثبات عذاب القبر.
- ٣ - الخطب الجُمُعِيَّة في المواعظ الأسبوعية، وهي مجموعة خطب ألقاها
 الشيخ، وجمعها تلميذه الشيخ أحمد الرشيد، وطبعها أحد المحسنين
 آنذاك، ثم طبعت مؤخراً في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف.

أخلاقه وصفاته:

كان رَحِمَهُ اللهُ تَقِيًّا ورعًا متواضعًا، نحسبه كذلك، عرفه أهل الكويت بهذه الصفات، فقد قال عنه الأستاذ راشد الفرحان في كتابه مختصر تاريخ الكويت: (الشيخ الورع التقي محمد الفارسي، وهو من أهل فارس السُّنِّيِّين الذين اتخذوا الكويت وطنًا لهم منذ أمد بعيد، وقد استفادت الكويت من هذا الرجل على تواضعه، فقد كان إمامًا في مسجد السوق أولاً، ثم مسجد الخليفة).

وقال عنه تلميذه الشيخ أحمد الغنام الرشيد رَحِمَهُ اللهُ: (كان مثلاً للأخلاق العالية، والنزاهة، وعفة النفس، والإخلاص في القول والعمل، بعيداً عن مجلس الحكام والأغنياء).

وفاته:

توفي الشيخ محمد الفارسي رَحِمَهُ اللهُ في الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام (١٤٠٢ هـ)، الموافق ٢٢ فبراير عام (١٩٨٢ م) في مستشفى هادي، عن عمر ناهز التسعين عاماً، بعد مرضٍ أَلَمَّ به دام أسبوعاً واحداً، بعد حياة مليئة بالعلم والتعليم والدعوة والعبادة، وخَلَفَ رَحِمَهُ اللهُ من الذرية أربعة أبناء وبنيتين، يرحمه الله رحمة واسعة.

الفوائد:

- ١ - الكويت بلد معطاء، أنجبت واحتضنت العديد من العلماء والدعاة، ولا تزال.
- ٢ - إن الله تعالى يرفع الإنسان بعمله وتقواه، لا بنسبه وجاهه.

مراجع للاستزادة:

- ١ - علماء الكويت، للأستاذ عدنان الرومي.
- ٢ - علماء من بلدي، للأستاذ عبد المحسن الخرافي.
- ٣ - علماء وأمرأ من الكويت على عقيدة السلف، د. دغش العجمي.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدّرس التاسع والتسعون

محمد بن سليمان الجراح رحمته الله
(١٣٢٢ - ١٤١٧ هـ)

اسمه ونسبه:

هو العلامة محمد بن سليمان بن عبد الله آل جراح، ولد في الكويت (١٣٢٢ هـ) الموافق (١٩٠٢ م) بعد هجرة جده عبد الله من حرمه، (وهي من قرى سدير في الرياض) بنحو ٤٠ سنة، وآل جراح من آل فضل، بطن من بطون بني لام من طيء من قحطان.

طلبه للعلم:

ابتدأ بتعلّم القرآن في مدرسة ملا أحمد الحرمي، ثم أكمل القرآن في مدرسة ملا محمد المهيني، وتعلّم الكتابة والحساب وقسمة المواريث في مدرسة هاشم الحنيان، وقد حُبب إليه طلب العلم من أول شبابه، فحفظ الرّحبية، ومنظومة الآداب، والدّرة المضية، ومتن دليل الطالب، ثم أخذ بطلب العلم على الشيخ عبد الله الدحيان، وبعد وفاته لازم الشيخ عبد الوهاب الفارس، وأخذ كذلك النحو على الشيخ أحمد عطية الأثري، ودرس على الشيخ أحمد الحرمي، والشيخ عبد العزيز حمادة، وغيرهم كثير، وكان يوصي بقراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ويقول: (من لم يقرأ كتبهما لا يسلم من الوقوع في البدع). كان الشيخ رحمته الله يأكل من عمل يده، إذ فتح له والده ولأخويه دكاكين للبيع والشراء، وقد عرض عليه الشيخ عبد الله الجابر رئيس المحاكم آنذاك أن يتولى القضاء فاعتذر.

وحج الشيخ خمس حجّات، الثلاث الأولى منها كانت على الجمال، والتقى في رحلات الحج بثلة من أهل العلم؛ منهم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الله ابن حميد، وغيرهم، وقد كانت للشيخ مراسلات علمية مع كثير من علماء نجد.

عمل الشيخ رحمته الله إمامًا وخطيبًا لمدة تزيد على ٥٠ سنة، وكان يحب ملازمة المسجد، وربما بات فيه أيامًا متتابعات، وخاصة في السنوات الأخيرة من عمره، وكان في مسجده يباشر التعليم والتوجيه والقراءة وعقد الزواج وغيرها من أعمال الخير.

وكان الشيخ رحمته الله حريصًا على تطبيق ما صح عنده من سنن النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، فكان يُطلق لحيته، ويحفّ شاربه، وكان ثوبه فوق الكعبين، وإذا خطب يغتسل ويتجمل.

ويُمسك العصا في خطبته، وكانت خطبه قصيرة، وكان وضوءه على السنة في عدم الإسراف في الماء، وكان يجمع ما يتقاطر من وضوءه على قلته في إناء فيسقي به نخل المسجد، وكان يحب اللباس الأبيض صيفًا وشتاء.

وكان الشيخ رحمته الله ميسور الحال، إلا أنه يميل إلى الزهد والتقلل من الدنيا في جميع أحواله، فكان لا يأكل إلا مرتين غالبًا، وكان يحب التمر، وربما كان لا يزيد وزنه عن ٤٥ كيلو جرام، والشيخ لم يتزوج، وليس له خادم أو معاون، بل كان يعيش مع أخيه الشيخ الأديب إبراهيم الجراح في بيتهما مع أختهما قبل وفاتها، وكان يتولى شؤون نفسه بنفسه.

وقد رثاه كثيرٌ من محبيه من أهل العلم والأدب، ومنها مَرثِيَّةٌ مؤثرة لأخيه الشيخ الأديب إبراهيم الجراح، مطلعها:

ما كنتُ أحسبُ أن تطولَ حياتي حتى أراك سبقتني بمماتٍ
قد كنتُ أرجو أن أفوزَ بدعوةٍ مبرورةٍ لي منك أو بِصَلَاةٍ
فسبقتني ضيفاً لربك للذي يقري النزيلَ لديه بالجناتِ

تلامذته:

أخذ العلم عن الشيخ تلامذة كثر، فمن المتقدمين: الشيخ عبد الرحمن الدوسري، والشيخ أحمد الغنام، ومن المتأخرين: الدكتور وليد المنيس، وجاسم الفهيد، وفيصل العلي، وغيرهم كثير.

مؤلفاته:

لم يكن الشيخ رحمته الله يحب الاستكثار من التأليف، لاشتغاله بالتدريس، ومما ألفه كتاب كفاية الناسك لأداء المناسك، وبعض الرسائل العلمية الصغيرة.

مرضه ووفاته:

استمر الشيخ في سعيه الدؤوب في تحصيل العلم وتوصيله، باذلاً جهده ووقته وصحته، فلما كان عام (١٤١٦هـ) وقد قارب خمساً وتسعين عاماً، بدأت تتوالى عليه الأمراض والأوجاع الظاهرة والباطنة، وهو صابر ولا يظهر الشكوى مع بدو آثار المرض والآلام عليه، وقد دخل المشفى أكثر من مرة. وفي فجر الخميس ١٣ جمادى الأولى سنة (١٤١٧هـ) توفي الشيخ رحمته الله،

وكان الشيخ قبل وفاته يتحدث عن الموت وقرب الأجل باطمئنان نفس وقوة يقين، وكان يسأل عن كفاة المُعَسِّلين ومدى معرفتهم بشروط الغسل وسننه، وكان قد كتب وصيته قبل موته، وأعدَّ حَنُوطَه وكَفَنَه، وسلَّمَه إلى وصيِّه جراح ابن أخيه داود، كما استعرض أسماءَ مَنْ يريد أن يصلوا عليه.

الفوائد:

- ١- شرف العلم وفضل السعي في تحصيله وبذله.
- ٢- ثمرة العلم العملُ به، وهو منهج العلماء الربانيين.
- ٣- من بركات نشر العلم حبُّ الناس للعالم ورفعةُ درجته بينهم.

مراجع للاستزادة:

- ١- سيرة الشيخ محمد الجراح، للدكتور وليد المنيس.
- ٢- علماء الكويت، للأستاذ عدنان الرومي.
- ٣- علماء وأمراء من الكويت على عقيدة السلف، د. دغش العجمي.

والحمدُ لله ربَّ العالمين.

الدرس المكمل مئة

المحسن علي عبد الله المطوع رحمته
(١٣٤٥ - ١٤٢٧ هـ)

اسمه، ومولده، ونشأته:

هو السيد أبو بدر عبد الله بن علي بن عبد الوهاب المطوع القناعي رحمته.
ولد رحمته عام (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م)، ونشأ في أجواءٍ عائلية ملتزمة،
وحرص والده على تربيته على الأخلاق الحميدة، والقيم الإسلامية العظيمة.
عند بلوغه سن الرابعة عشرة اشتغل في العمل التجاري وتنمية الموارد،
ولم يكن في الكويت آنذاك بنوكٌ أو مصارفٌ لإيداع الأموال فيها، فكان الآباء
يعتمدون على أبنائهم في حفظ هذه الأموال والإشراف عليها.

تعليمه:

تلقى رحمته تعليمه مع أبناء جيله في مدرسة ملا عثمان، ومدرستي
المباركية والأحمدية، وكان يتمتع بصلات قوية مع الجميع في داخل الكويت
 وخارجها، وخاصة المنتمين إلى الدعوة الإسلامية.
وكان لشقيقه الأكبر عبد العزيز المطوع رحمته صلةً وطيدة بالدعوة الإسلامية
والعمل الإسلامي خاصة، فتأثر العم أبو بدر رحمته بأخيه الأكبر، فانخرط في
النشاط الإسلامي وتنميته من خلال استضافة العلماء والمحاضرين، وأسهم
في إصدار مجلة الإرشاد الإسلامي، وكان داعيةً إسلامياً دؤوباً، تمتع بخبرة
واسعة وتجربة ثرية في العمل الدعوي والخيري.

من أعماله:

أسهم رَحِمَهُ اللهُ فِي تَأْسِيسِ جَمْعِيَةِ الْإِرْشَادِ الْإِسْلَامِيِّ، عام (١٩٥٠م)، وكان أول عمل إسلامي مؤسسي بالكويت، وجمعية الإصلاح الاجتماعي في مطلع الستينيات، وقد سارت جمعية الإصلاح على نفس أهداف ومبادئ جمعية الإرشاد، وظل رئيساً لمجلس إدارة جمعية الإصلاح ومجلة المجتمع حتى وفاته.

كان من أبرز رجالات العمل الخيري، محباً له، ومنفقاً سخياً على جميع أوجه البر والخير، ومن أهل الخير والصلاح، وكان يستقبل بمكتبه أصحاب الحاجات، ويسعى جاهداً إلى تلبية احتياجاتهم. وقد عرف بالتجارة، وهو صاحب أيادٍ بيضاء في مساعدة المحتاجين ونشر الخير بين الناس، يحاسب نفسه على دقائق الأمور ويتبرع بالعمارات والملايين.

كان يأخذ برأي الشيخ يوسف القرضاوي بأن زكاة العمائر عُشْرُ غَلَّتْهَا لَا رُبْعُ الْعَشْرِ.

وكان يسأل الله الشهادة في سبيله، ويوصي أحبابه أن يدعوا له بذلك، ولعل الله أكرمهم بها كما في الحديث الصحيح: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصَدَقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» [أخرجه مسلم (١٩٠٩)].

كان من مؤسسي الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وقد دعمها بمليون دولار، ووقف عليها عمارتين. وكان عضواً في رابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى للمساجد، ومشاركاً قوياً في المؤتمرات والمجامع الإسلامية، ويعرف له العلماء فضله وقدره.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللهُ صبيحة الأحد ١٠ شعبان (١٤٢٧هـ) الموافق ٣ سبتمبر (٢٠٠٦م)، عن ثمانين عامًا حافلةً بصالح الأعمال، نحسبه كذلك والله حسيبه، فنسأل الله تعالى أن يرحمه بواسع رحمته.

الفوائد:

- ١- الكويت بلد معطاء، عُرف أهلها بالعمل الخيري.
- ٢- العم أبو بدر رَحِمَهُ اللهُ من رموز العمل الخيري في الكويت والعالم أجمع.

مراجع للاستزادة:

- ١- كتاب عبد الله العلي المطوع رائد العمل الخيري.
- ٢- بعض المقالات في مجلة الوعي الإسلامي.

والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
تصدير إدارة الشؤون الفنية	٥
الباب الأول: العقيدة الإسلامية	١١
الدرس الأول: الإيمان بالله تعالى	١٣
الدرس الثاني: الإيمان بالملائكة <small>عليهم السلام</small>	٢١
الدرس الثالث: الإيمان بالكتب	٢٤
الدرس الرابع: الإيمان بالرسول <small>عليه السلام</small>	٢٧
الدرس الخامس: الإيمان باليوم الآخر	٣٠
الدرس السادس: الإيمان بالقضاء والقدر	٣٥
الدرس السابع: معنى الشهادتين وشروطهما	٣٩
الدرس الثامن: أركان العبادات القلبية	٤٣
الدرس التاسع: فضائل التوحيد	٤٧
الدرس العاشر: خطر الشرك	٥٠
الدرس الحادي عشر: محبة الله تعالى	٥٣
الدرس الثاني عشر: محبة النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٥٧
الدرس الثالث عشر: من حقوق النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٦٢
الدرس الرابع عشر: محبة أهل البيت والأصحاب	٦٨
الدرس الخامس عشر: مخالقات عقدية قولية	٧٢
الدرس السادس عشر: مخالقات عقدية فعلية	٧٥
الدرس السابع عشر: السحر	٧٨
الدرس الثامن عشر: التنجيم	٨١

الصفحة

الموضوع

٨٥

الباب الثاني: الفقه والعبادات

٨٧

الدرس التاسع عشر: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»

٩١

الدرس العشرون: سنن الفطرة

٩٤

الدرس الحادي والعشرون: منزلة الصلاة

٩٩

الدرس الثاني والعشرون: صلاة الجماعة

١٠٥

الدرس الثالث والعشرون: السنن الرواتب

١٠٨

الدرس الرابع والعشرون: فضل نوافل الصلاة

١١٢

الدرس الخامس والعشرون: صلاة الاستخارة

١١٦

الدرس السادس والعشرون: بعض آداب المسجد

١٢٠

الدرس السابع والعشرون: عقوبة مانع الزكاة

١٢٣

الدرس الثامن والعشرون: فضل نوافل الصيام

١٢٦

الدرس التاسع والعشرون: فضل الحج

١٢٩

الدرس الثلاثون: أحكام اليمين

١٣٣

الدرس الحادي والثلاثون: الوصية

١٣٦

الدرس الثاني والثلاثون: أحكام الجِداد

١٤١

الباب الثالث: الأخلاق

١٤٣

الدرس الثالث والثلاثون: الصدق

١٤٦

الدرس الرابع والثلاثون: الأمانة

١٤٩

الدرس الخامس والثلاثون: الكرم

١٥٢

الدرس السادس والثلاثون: الحلم

١٥٥

الدرس السابع والثلاثون: التواضع

الصفحة

الموضوع

١٥٨	الدرس الثامن والثلاثون: لين الجانب
١٦١	الدرس التاسع والثلاثون: العدل
١٦٣	الدرس الأربعون: المواساة
١٦٦	الدرس الحادي والأربعون: المروءة
١٦٩	الدرس الثاني والأربعون: سلامة الصدر
١٧٣	الدرس الثالث والأربعون: بر الوالدين
١٧٦	الدرس الرابع والأربعون: حسن الجوار
١٧٩	الدرس الخامس والأربعون: حقوق الأخوة
١٨٢	الدرس السادس والأربعون: أدب الحديث
١٨٧	الدرس السابع والأربعون: من آداب المجالس
١٩٠	الدرس الثامن والأربعون: «إمْلِكْ عليك لسانك»
١٩٣	الدرس التاسع والأربعون: كف الأذى
١٩٧	الدرس الخمسون: الغضب
٢٠١	الباب الرابع: الرقائق
٢٠٣	الدرس الحادي والخمسون: البكاء من خشية الله تعالى
٢٠٦	الدرس الثاني والخمسون: الجنة ونعيمها
٢١٠	الدرس الثالث والخمسون: عذاب القبر ونعيمه
٢١٤	الدرس الرابع والخمسون: الافتقار إلى الله تعالى
٢١٧	الدرس الخامس والخمسون: مراقبة الله تعالى
٢٢١	الدرس السادس والخمسون: تلاوة القرآن الكريم
٢٢٥	الدرس السابع والخمسون: الذُّكْر

الصفحة

الموضوع

٢٢٩	الدرس الثامن والخمسون: الدعاء
٢٣٤	الدرس التاسع والخمسون: الورع
٢٣٧	الدرس الستون: الشكر
٢٤٠	الدرس الحادي والستون: السَّتر
٢٤٣	الدرس الثاني والستون: الصبر عن المعاصي
٢٤٦	الدرس الثالث والستون: شروط التوبة
٢٤٩	الدرس الرابع والستون: قبول العمل
٢٥٢	الدرس الخامس والستون: بين الخوف والرجاء
٢٥٧	الدرس السادس والستون: حسن الخاتمة
٢٦١	الدرس السابع والستون: الحذر من سوء الخاتمة
٢٦٥	الباب الخامس: الفكر
٢٦٧	الدرس الثامن والستون: مبدأ الشورى
٢٧١	الدرس التاسع والستون: أسرتك والفضائيات
٢٧٤	الدرس السبعون: المواطنة في شريعتنا
٢٧٧	الدرس الحادي والسبعون: أدب الخلاف
٢٨١	الدرس الثاني والسبعون: مخالفات اجتماعية
٢٨٥	الدرس الثالث والسبعون: خطورة التكفير
٢٨٩	الدرس الرابع والسبعون: خطورة التبديع
٢٩٤	الدرس الخامس والسبعون: الاستهزاء بالدين
٢٩٧	الدرس السادس والسبعون: الحرية وضوابطها
٣٠٤	الدرس السابع والسبعون: الترفيه المباح

الصفحة

الموضوع

- ٣٠٧ الدرس الثامن والسبعون: التلازم بين العمل والعلم
- ٣١٠ الدرس التاسع والسبعون: خصائص الدين الإسلامي
- ٣١٧ **الباب السادس: السّير والتراجم**
- ٣١٩ الدرس الثمانون: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٣هـ)
- ٣٢٢ الدرس الحادي والثمانون: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٣هـ)
- ٣٢٦ الدرس الثاني والثمانون: الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٥هـ)
- ٣٢٩ الدرس الثالث والثمانون: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤٠هـ)
- ٣٣٣ الدرس الرابع والثمانون: عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦١-١٠١هـ)
- ٣٣٧ الدرس الخامس والثمانون: الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢١-١١٠هـ)
- ٣٤١ الدرس السادس والثمانون: الإمام أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨٠-١٥٠هـ)
- ٣٤٤ الدرس السابع والثمانون: إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٩٣-١٧٩هـ)
- ٣٤٧ الدرس الثامن والثمانون: الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٥٠-٢٤٠هـ)
- ٣٥١ الدرس التاسع والثمانون: الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٦٤-٢٤١هـ)
- ٣٥٧ الدرس التسعون: عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١١٨-١٨١هـ)
- ٣٦١ الدرس الحادي والتسعون: صلاح الدين الأيوبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥٣٢-٥٨٩هـ)
- ٣٦٦ الدرس الثاني والتسعون: شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦٦١-٧٢٨هـ)
- ٣٧٢ الدرس الثالث والتسعون: الشيخ العلامة عبد الله بن خلف الدحيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(١٢٩٢-١٣٤٩هـ)

الصفحة

الموضوع

- الدرس الرابع والتسعون: الشيخ العلامة عبد العزيز الرشيد رحمته الله
(١٣٥٦-١٣٠١هـ) ٣٧٧
- الدرس الخامس والتسعون: الشيخ أحمد عطية الأثري رحمته الله
(١٣٨١-١٣٣٢هـ) ٣٨١
- الدرس السادس والتسعون: الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رحمته الله
(١٣٩٣-١٢٩٦هـ) ٣٨٤
- الدرس السابع والتسعون: الشيخ عبد الله بن محمد النوري رحمته الله
(١٤٠١-١٣٢٣هـ) ٣٨٨
- الدرس الثامن والتسعون: الشيخ محمد بن أحمد الفارسي رحمته الله
(ولد بين ١٣٠٨-١٣١٨، وتوفي ١٤٠٥هـ) ٣٩٢
- الدرس التاسع والتسعون: محمد بن سليمان الجراح رحمته الله (١٣٢٢-١٤١٧هـ) ٣٩٥
- الدرس المكمل مئة: المحسن علي عبد الله المطوع رحمته الله
(١٤٢٧-١٣٤٥هـ) ٣٩٩

إصدارات إدارة الشؤون الفنية

مرتبة حسب تاريخ سنة إصدارها

أولاً: كتب التحقيق:

- ١- رسالة في أصول الفقه، العُكْبَرِي (ت٤٢٨هـ)، تحقيق مكتب الشؤون الفنية، ط١ / ٢٠٠٦م. ط٢ / ٢٠١٠م.
- ٢- تعظيم الفتيا، ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق فيصل العلي، ٢٠٠٦م.
- ٣- كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام (٧ مجلدات)، السِّفَّارِينِي (ت١١٨٨هـ)، تحقيق نور الدين طالب، ٢٠٠٧م.
- ٤- شرح كتاب الشهاب للقضاعي، ابن بدران (ت١٣٤٦هـ)، تحقيق نور الدين طالب، ط١ / ٢٠٠٧م. ط٢ / ٢٠١٠م.
- ٥- عادات الإمام البخاري في صحيحه، عبد الحق الهاشمي (ت١٣٩٢هـ)، تحقيق محمد ناصر العجمي، ٢٠٠٧م.
- ٦- غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى (مجلدان)، مرعي الكرمي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق ياسر إبراهيم المزروعى، ورائد يوسف الرومي، ٢٠٠٧م.
- ٧- الروض الندي شرح كافي المبتدي (مجلدان)، البعلي (ت١١٨٩هـ)، تحقيق نور الدين طالب، ط١ / ٢٠٠٧م. ط٢ / ٢٠١٠م.
- ٨- الأسئلة الكويتية روضة الأرواح، ابن بدران (ت١٣٤٦هـ)، تحقيق محمد ناصر العجمي، ٢٠٠٧م.
- ٩- درة الغواص في حكم الزكاة بالرصاص، ابن بدران (ت١٣٤٦هـ)، تحقيق محمد ناصر العجمي، ٢٠٠٧م.
- ١٠- شرح منظومة الآداب الشرعية، الحجاجي (ت٩٦٨هـ)، تحقيق نور الدين طالب، ط١ / ٢٠٠٧م. ط٢ / ٢٠١٠م.
- ١١- الحُطَبُ السَّيِّئَةُ، مصطفى البولافي (ت١٢٦٣هـ)، تحقيق وليد العلي، ٢٠٠٧م.
- ١٢- المنبر (مجموعة خطب جُمُعِيَّة)، عبد الله النوري (ت١٤٠١هـ)، ٢٠٠٧م.

- ١٣- الخطب الجمعة في المواعظ الأسبوعية، محمد أحمد الفارسي (ت ١٤٠٢هـ)، ٢٠٠٧م.
- ١٤- الأحكام المفيدة في الأقوال السديدة، عبد الله بن عبد الرحمن السند (ت ١٣٩٧هـ)، اعتنى به نور الدين مسعي، ط ١ / ٢٠٠٧م. ط ٢ / ٢٠١٠م.
- ١٥- رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سنه، (مع المدخل إلى سنن أبي داود)، تحقيق محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠٠٨م. ط ٢ / ٢٠١٠م. ط ٣ / ٢٠٢٣م.
- ١٦- المصعد الأحمدي في ختم مسند الإمام أحمد، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق محمد ناصر العجمي، ٢٠٠٨م.
- ١٧- القول العلي لشرح أثر الإمام علي، السّفاريني (ت ١١٨٨هـ)، تحقيق محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠٠٨م. ط ٢ / ٢٠١٠م.
- ١٨- تحفة الخلان في أحكام الأذان، الدمرداشي (ت ١١٤٩هـ)، تحقيق محمود الكباش، ٢٠٠٨م.
- ١٩- فرائد الفوائد في أحكام المساجد، ابن طولون (ت ٩٥٣هـ)، تحقيق مكتب الشؤون الفنية، ط ١ / ٢٠٠٨م. ط ٢ / ٢٠١١م.
- ٢٠- سوالات علامة الكويت عبد الله خلف الدحيان (العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية)، ابن بدران (ت ١٣٤٦هـ)، تحقيق الطاهر خذيري، ط ١ / ٢٠٠٨م. ط ٢ / ٢٠١٠م.
- ٢١- نصيحة الإنسان عن استعمال الدخان، عبد الله بن عبد الرحمن السند (ت ١٣٩٧هـ)، ٢٠٠٨م.
- ٢٢- الرشد، عبد الله النوري (ت ١٤٠١هـ)، اعتنى به نور الدين مسعي، ٢٠٠٨م.
- ٢٣- فتح الرحمن فيما يجب معرفته على كل إنسان، الوجيه (ت ١١٣٥هـ)، تحقيق محمود الكباش، ٢٠١١م.
- ٢٤- التيسير نظم التحرير، العمرطي (ت ٩٨٩هـ)، تحقيق ياسر المقداد، ٢٠١١م.
- ٢٥- إعلام الأنام بفضائل الصيام، البكري الشافعي (ت ٩٥٢هـ)، تحقيق سامي صبح، ٢٠١٤م.
- ٢٦- نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الغلاوي الشنيطي (ت ١٢٠٩هـ)، تحقيق محمد أحمد جدو، ٢٠١٤م.

٢٧- الأسباب المعينة على الصبر على أذى الخلق، ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق البدر، ٢٠١٥م.

٢٨- ست رسائل في أحكام المساجد، تحقيق سامي صبح، ٢٠١٥م، وهي:

- تحفة الراكع والساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد، عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ).

- سعادة الماجد بعمارة المساجد ورغبة طالب العلوم إذا غاب عن درسه، الشُّرُّبَلَالِي (ت ١٠٦٩هـ).

- البشري بعظيم المنة في حديث «من بنى لله مسجدًا بنى له بيتًا في الجنة»، الطحلاوي.

- فضل عمارة المساجد، عليّ الأجهوري (ت ١٠٦٦هـ).

- فضل بناء المسجد، الطوخي (ت بعد ١٣٠٣هـ).

- فضل بناء المساجد وعمارته وعمّاره، محمد عبد الفتاح الشافعي.

٢٩- الأصول من علم الأصول، ابن عثيمين (ت ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، ٢٠١٦م.

٣٠- ملحّة الإعراب، الحريري (ت ٥١٦هـ)، ٢٠١٦م.

٣١- قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاية الأمور، ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق البدر، ٢٠١٨م.

٣٢- ذخيرة الإخوان في اختصار الاستغناء بالقرآن لابن رجب، اختصار محمد بن عبد الله الحضرمي الملقب بـ (بحرق)، ٢٠١٨م.

٣٣- البيت المسلم، أحمد أحمد جلباية (ت ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م)، اعتنى به ياسر إبراهيم نجار، ٢٠٢٥م.

ثانيًا: كتب التأليف:

١- ضوابط الفتوى، ٢٠٠٥م.

٢- التأصيل الشرعي لما ينبغي أن يتجنبه الإمام والخطيب، الطاهر خذيري، ط ١/ ٢٠٠٥م. ط ٢/ ٢٠١٠م.

٣- رسائل التواصل مع الأئمة والخطباء (١ و ٢)، ٢٠٠٥م.

- ٤- رسائل التواصل مع الأئمة والخطباء (٣ و ٤)، ٢٠٠٥ م.
- ٥- المختصرات النافعة (١)، ٢٠٠٥ م.
- ٦- المختصرات النافعة (٢)، ٢٠٠٥ م.
- ٧- المختصرات النافعة (٣)، ٢٠٠٦ م.
- ٨- محمد ﷺ من الميلاد الأسنى إلى الرفيق الأعلى، كمال محمد درويش، ٢٠٠٦ م.
- ٩- سعة الخلاف ورحمة الاتفاق والاختلاف، الطاهر خذيري، ط ١ / ٢٠٠٦ م.
ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ١٠- كيف نعيد للمسجد مكانته، محمد أحمد لوح، ط ١ / ٢٠٠٦ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ١١- الخطب المنبرية لعام (٢٠٠٥ م)، ط ١ / ٢٠٠٦ م. ط ٢ / ٢٠١١ م.
- ١٢- بريق الجمان في شرح أركان الإيمان، محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١١ م.
- ١٣- المدخل إلى صحيح مسلم، محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
ط ٣ / ٢٠١٤ م. ط ٤ / ٢٠٢٣ م.
- ١٤- المدخل إلى جامع الترمذي، الطاهر خذيري، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
ط ٣ / ٢٠٢٣ م.
- ١٥- الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والأصحاب، السيد بن إبراهيم، ٢٠٠٧ م.
- ١٦- مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، كتبها تلميذه: أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني الشنقيطي، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ١٧- كيف يؤدي الموظف الأمانة، عبد المحسن العباد البدر، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ١٨- المنهل العذب النмир في سيرة السراج المنير (خطب)، وليد العلي، ٢٠٠٧ م.
- ١٩- أنيس الخطباء، الطاهر خذيري، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١١ م.
- ٢٠- الخطب المنبرية لعام (٢٠٠٦ م)، ط ١ / ٢٠٠٧ م. ط ٢ / ٢٠١١ م.
- ٢١- المدخل إلى سنن أبي داود، محمد النورستاني، ومعه رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سنته، ط ١ / ٢٠٠٨ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م. ط ٣ / ٢٠٢٣ م.

- ٢٢- المدخل إلى سنن النسائي، محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠٠٨ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ط ٣ / ٢٠٢٣ م.
- ٢٣- المدخل إلى موطأ مالك بن أنس، الطاهر خذيري، ط ١ / ٢٠٠٨ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ط ٣ / ٢٠٢٣ م.
- ٢٤- المدخل إلى سنن ابن ماجه، نور الدين مسعي، ط ١ / ٢٠٠٨ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ط ٣ / ٢٠٢٣ م.
- ٢٥- حكم صلاة الجمعة قبل الزوال، صالح الصاهود، ٢٠٠٨ م.
- ٢٦- الثناء المتبادل بين الآل والأصحاب، ٢٠٠٨ م.
- ٢٧- طالب العلم بين أمانة التحمل ومسؤولية الأداء (رسائل التواصل مع الأئمة والخطباء (٥)، محمد بن خليفة التميمي، ط ١ / ٢٠٠٨ م. ط ٢ / ٢٠١٠ م.
- ٢٨- الكسب الطيب، أحمد جلباية، ٢٠٠٨ م.
- ٢٩- الخطب المنبرية لعام (٢٠٠٧ م)، ط ١ / ٢٠٠٩ م. ط ٢ / ٢٠١١ م.
- ٣٠- المدخل إلى صحيح البخاري، محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠١٠ م. ط ٢ / ٢٠١٤ م.
- ط ٣ / ٢٠٢٣ م.
- ٣١- الخطب المنبرية لعام (٢٠٠٨ م)، طبع ٢٠١٠ م.
- ٣٤- المدخل إلى صحيح ابن خزيمة، محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠١١ م. ط ٢ / ٢٠٢٣ م.
- ٣٥- بلوغ المرام في أحكام الفتح على الإمام، نور الدين مسعي، ٢٠١١ م.
- ٣٦- القول التمام في استخلاف الخطيب والإمام، سيد حبيب، ٢٠١١ م.
- ٣٧- الأعذار المبيحة للجمع بين الصلاتين، ياسر مقداد، ٢٠١١ م.
- ٣٨- طاعة ولي الأمر، إعداد مكتب الشؤون الفنية، ٢٠١١ م.
- ٣٩- مراتب الدلالة، محمد الحسن الددو، ٢٠١١ م.
- ٤٠- دروس الإمام (الجزء الأول)، ط ١ / ٢٠١١ م. ط ٢ / ٢٠١٤ م. ط ٣ / ٢٠١٦ م.
- ٤١- أيها الخطيب، عبد الرحمن الصاعدي، ٢٠١١ م.
- ٤٢- الخطب المنبرية لعام (٢٠٠٩ م)، طبع ٢٠١١ م.
- ٤٣- المدخل إلى صحيح ابن حبان، محمد النورستاني، ط ١ / ٢٠١٢ م. ط ٢ / ٢٠٢٣ م.

- ٤٤ - فقه الصيام في الإسلام، حمادة مَسِير الدَّبْلَانِي، ٢٠١٤م.
- ٤٥ - قواعد ومهارات في إدارة المساجد، سامي صبح، ٢٠١٤م.
- ٤٦ - المقتطفات النافعة من ثمار المطالعة، محمد الأمين بن مزيد، ٢٠١٤م.
- ٤٧ - دروس الإمام (الجزء الثاني)، ٢٠١٤م.
- ٤٨ - الخطب المنبرية لعام (٢٠١٠م)، طبع ٢٠١٤م.
- ٤٩ - الخطب المنبرية لعام (٢٠١١م)، طبع ٢٠١٤م.
- ٥٠ - الخطب المنبرية لعام (٢٠١٢م)، طبع ٢٠١٤م.
- ٥١ - أصول في المعاملات المالية المعاصرة، خالد المصلح، ٢٠١٥م.
- ٥٢ - حرمة الدماء، خالد الكندري، ٢٠١٥م.
- ٥٣ - الخطب المنبرية لعام (٢٠١٣م)، طبع ٢٠١٥م.
- ٥٤ - اللطائف القرآنية، ابن القيم (ت ٧٥١هـ)، جمع متعب المطيري، ٢٠١٦م.
- ٥٥ - الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان، ٢٠١٦م.
- ٥٦ - شرح الدروس المهمة لعامة الأمة، عبد الرزاق العباد البدر، ٢٠١٦م.
- ٥٧ - أحكام المساجد من صحيح البخاري، سيد حبيب، ٢٠١٦م.
- ٥٨ - صفوف الصلاة فضائل وأحكام، فؤاد الجرافي، ٢٠١٦م.
- ٥٩ - صور من حياة السابقين في تعلقهم بالمساجد، يونس الطلول، ٢٠١٦م.
- ٦٠ - شرف إمام المسجد والمؤذن، سليمان الرحيلي، ٢٠١٨م.
- ٦١ - علم المواقيت والقبلة والأهلة من الناحيتين الشرعية والفلكية، صلاح الدين أحمد محمد عامر، ٢٠١٩م.
- ٦٢ - المدخل إلى مسند الإمام المبجل أحمد بن حنبل، سامي صبح، ٢٠٢٣م.
- ٦٣ - دروس الإمام، (٦ مجلدات)، ٢٠٢٥م.
- ٦٤ - صناعة الخطبة والخطيب (مجلدان)، حمادة مَسِير الدَّبْلَانِي، ٢٠٢٥م.

ثالثاً: الدوريات:

- مجلة الإمام القدوة: العدد (١) و (٢) ٢٠١٤م. العدد (٣) ٢٠١٦م.
- العدد (٤) ٢٠١٧م. العدد (٥) ٢٠١٨م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

